

الْجَوْهَرُ الثَّمِينُ

فِي

تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

لِلْعَلَّامَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ شَيْخِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مراجعة وتعليق

السَّامِعِ السَّاعِي

الجواهر الثمينة

في

تفسير الكتاب المبين

للعلامة السيد عبد الله شبر

الجزء الأول

التحقيق والتعليق للفقير

إسماعيل الشافعي

شبر ، عبدالله ، ١٧٧٤ - ١٨٣٦ م .
الجواهر الثمين فى تفسير الكتاب المبين / لعبدالله
شبر؛ التحقيق والتعليق اللغوى اسامه الساعدي.
قم: ذوى القربى، ١٣٨٨.
٢١٦٠ ص .

دوره ٦ جلدی 7 - 318 - 518 - 964 - ISBN:978
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
کتاب حاضر تفسیر وسیط از تفاسیر سه گانه مولف
می باشد

موضوع: تفاسیر شیعه - قرن ١٣ ق،
رده بندی کنگره: ٩ ج ٢ ش / ٩٧ BP
رده بندی دیویی: ١٧٢٦ - ٢٩٧



□ اسم الكتاب: الجواهر الثمين فى تفسير الكتاب المبين ج ١

□ المؤلف: السيد عبدالله الشبر

□ الناشر: ذوى القربى

□ الطبعة: الأولى

□ تاريخ الطبع: ١٤٣١ هـ ق

□ الكمية: ١٠٠٠

□ المطبعة: سليمانزاده

□ شابك دوره: ٧ - ٣١٨ - ٥١٨ - ٩٦٤ - ٩٧٨

□ شابك (ج ١): ٠ - ٣٥٩ - ٥١٨ - ٩٦٤ - ٩٧٨

□ مرکز التوزيع: قم - پاساژ قدس - الطابق الاول - رقم ٥٩ - تليفون: ٧٧٤٤٦٦٣ - ٢٥١ - ٩٨ +

مقدمة التحقيق

نبذة عن المؤلف (ره)

ولد العلامة السيد عبد الله شبر الحسيني الكاظمي سنة ١١٩٢ هـ في النجف الأشرف ويعد من أكثر أهل العلم والأدب ثراء علميا، ويُرجع أهل العلم نسبه إلى الإمام زين العابدين (ع). وقد كان السيد شبر (ره) من المراجع المعروفين في الكاظمية. وفضلا عن تصديّه للمرجعية وإصدار الفتاوى واهتماماته الاجتماعية فإنه كان منشغلا أيضا بالتأليف. وكثيرا ما كان يشاهد وهو جالس مع بعض طلابه يستمع إليهم وفي نفس الوقت يحمل قلمه بيده ويسطر على الورق - على ما نقل بعض معاصريه - .

أقوال العلماء فيه

قال العلامة الشيخ جعفر النجفي المعروف بـ (كاشف الغطاء) في مقدمة كتاب (حق اليقين) الذي كتبه السيد شبر بعد أن اطلع عليه ما يلي:

"لقد جثت بما بهر العقول وأذعن له علماء المعقول والمنقول وبما فتح مقفلات المسائل وأثبتها بالشواهد والدلائل رويدا فقد رقيت أعلى المراقي ومهلا فما بقي من مهمات المطالب باقي لقد بنيت للعلم مدينة فرفعت البناء وبالغت في بنيانها حتى بلغت عنان السماء ولا غرو فإنك من أهل بيت علا فوق السبع الطباق وابن

من دنا فكان قاب قوسين أو أدنى من محلّ تجلي المصور الخلاق فقل غير متأثم
وأنت محق صادق:

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

أساتذته

- ١ - والده السيد محمد رضا شبر الذي حضر عنده في مدينة الكاظمية
- ٢ - السيد محسن الأعرجي
- ٣ - الشيخ جعفر النجفي كاشف الغطاء
- ٤ - الأمير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض
- ٥ - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي
- ٦ - الشيخ أسد الله الكاظمي
- ٧ - الميرزا محمد مهدي الشهرستاني
- ٨ - الميرزا أبو القاسم القمي، صاحب القوانين

تلامذته

- ١ - الشيخ عبد النبي الكاظمي صاحب تكملة الرجال
- ٢ - السيد علي بن السيد محمد أمين
- ٣ - المولى محمد علي التبريزي
- ٤ - الشيخ محمد رضا زين العابدين
- ٥ - المولى محمود الخوئي

- ٦ - الشيخ أحمد بن محمد علي بن عباس البلاغي
- ٧ - الشيخ محمد إسماعيل الخالصي
- ٨ - الشيخ مهدي والشيخ إسماعيل ابنا الشيخ أسد الله التستري
- ٩ - الشيخ محمد جعفر الرجيلي
- ١٠ - السيد محمد علي بن السيد كاظم بن السيد محسن صاحب المحصول
- ١١ - الشيخ حسن بن محفوظ العاملي
- ١٢ - السيد هاشم بن السيد راضي بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي

وفاته

توفي السيد عبد الله شبر في مدينة الكاظمية في شهر رجب سنة ١٢٤٢ هـ

مؤلفاته

ذكرنا في الأسطر السابقة بأن المترجم له أمتاز بكثرة مؤلفاته ومنها:

١ - الأصول الأصلية والقواعد المستنبطة من الآيات والأخبار

٢ - أنيس الزائر

٣ - تفسير القرآن الكريم (التفسير المزجي في مجلد واحد)

٤ - أدب سلوك الدين والدنيا

٥ - البرهان المبين

٦ - حق اليقين في أصول الدين

- ٧ - الأربعون حديثاً
- ٨ - تحفة الزائر
- ٩ - كشف الحجاب للدعاء المستجاب وهو شرح دعاء السمات
- ١٠ - إرشاد المستبصر
- ١١ - الجوهرة المضيئة
- ١٢ - شرح الزيارة الجامعة
- ١٣ - الاستخارات
- ١٤ - زاد العارفين
- ١٥ - شرح طب الرضا
- ١٦ - أسرار العبادات
- ١٧ - زبدة الدليل
- ١٨ - مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام
- ١٩ - الأخلاق
- ٢٠ - صفوة التفاسير
- ٢١ - أصول الدين
- ٢٢ - صلاح العابدين
- ٢٣ - أعمال الشهور والسنين
- ٢٤ - طب الأئمة
- ٢٥ - أعمال اليوم والليلة والأسبوع وبعض أدعية الحوادث والعادات
- ٢٦ - نخبة الشارحين

٢٧ - الانفتاحية في علم الأصول

٢٨ - الوجيز في التفسير

٢٩ - الأنوار الساطعة في العلوم الأربعة

٣٠ - رسالة في الطهارة والصلاة

٣١ - أنيس الذاكرين

٣٢ - رسالة في عمل اليوم والليل

٣٣ - الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين (وهو هذا الكتاب الذي بين يديك).

حول هذا الكتاب

هذا التفسير يعتبر من مصادر التفسير المعروفة عند الشيعة الأثني عشرية فبعد ان اشتهر في الأوساط التفسير المزجي الذي كتبه السيد شبر في مجلد واحد وطبع طبعات مختلفة ومتعددة وكان تفسيراً مختصراً قام المؤلف بتوسيع دائرة الشرح والتعليق فكتب هذا السفر الذي أسماه: (الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين) وقد ابدع فيه المؤلف كثيراً وجمع عدداً كبيراً من الروايات التي تتعلق بموضوعه حتى بلغ الغاية والذي يروقه وانت تقرأ هذا التفسير هو ايراد المؤلف لكثير من المسائل اللغوية والبلاغية المرتبطة بالآيات التي يبحث فيها ومهما يكن من أمر فهذا الكتاب مفتاح أولي لمن أراد فهم القرآن واستجلاء معانيه. وخصوصاً مع هذه الطبعة الحديثة المحققة بحلتها القشبية والتي بلغت الستة اجزاء.

عملنا في التحقيق

اقتصرنا في تحقيق هذا الكتاب على شرح الألفاظ والعبارات المغلفة التي وردت متفرقة بين طيات الكتاب والتي يعسر فهمها على متوسطي الثقافة من القراء الكرام. وكذلك قمنا بإرجاع الأمثلة والشواهد الأدبية الى أصولها مستندين في ذلك كله الى أمهات المصادر والمراجع المعتمدة. وأما بالنسبة الى الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب - وهي قليلة جدا - فقد ذكرنا اسم الشاعر متبوعا بمطلع القصيدة ومناسبتها ان امكن لنا ذلك مع ذكر المصدر. وفي الغالب لم نستخرج مصادر الروايات لأسباب عديدة: منها ان المؤلف (ره) قام بذلك غالبا وذكر المصدر قبل ذكر الرواية، ومنها ان استخراجها جميعا يسبب زيادة حجم الكتاب الى أكبر من الحجم المطلوب.

وقد استمر العمل على هذا الكتاب لأكثر من ثلاث سنين توخينا فيها الدقة ومتانة العمل ليخلو الكتاب من الأخطاء الإملائية والمطبعية التي حفلت بها الطباعات الأخرى. ولا يسعنا في الختام الا ان نشيد بالجهد المشكور الذي تبذله (منشورات ذوي القربى) في خدمة التراث الإسلامي والفكري وليكن هذا مسك الختام لكلمتنا الافتتاحية التي أردنا فيها الالمام الى بعض الجوانب المهمة حول هذا التفسير قبل البدء في مطالعته، والله ولي التوفيق.

أسامة الساعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منزّل القرآن الكريم، والفرقان العظيم والذكر الحكيم ومرسل النبي القويم ذي الفيض العميم والفضل الجسيم الهادي إلى صراط مستقيم، والصلاة على سيّد المرسلين وخاتم النبيين، ومن كان نبياً وآدم بين الماء والطين، وآله خلفاء الخلائق وأرباب المعارف والحقائق وكنوز الأسرار والدقائق، الذين أوتوا علم الكتاب تأويلاً وتفسيراً، وأذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أما بعد:

فيقول: المذنب الجاني والأسير الفاني، أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني « وفقه الله لطاعاته ومراضيه، وجعل مستقبل حاله خيراً من ماضيه»: إني بعد ما صرفت عمري، وأفنيت دهري - بفضل الله ومنه وتوفيقه ويمنه - في تتبع الأخبار واستقراء الآثار الواردة عن النبي وآله الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار آناء الليل وأطراف النهار، جمعاً وتأليفاً وكتابةً ومطالعةً وقراءةً وتدريساً وشرحاً فوردت - بحمد الله تعالى - حياضها، ورويت من زلالها وميّزت بين صحاحها ومراضها، اشتد شوقي إلى تفسير الكتاب المجيد، (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكان يمنعني من ذلك قصور الباع^(١)، وقلة الإطلاع في هذه الصناعة،

(١) الباع في اللغة: همسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً. يقال فلان طويل الباع في كذا أي انه بلغ الغاية فيه. والمؤلف

(قده) يرى أنه قصير الباع تواضعاً منه (قده) راجع المعجم الوسيط مادة (باع). ص ٧٦ ط القاهرة.

١٢الجواهر الثمين / الجزء الأول

وصرف جوهرة العمر في الإضاعة، مع تبلبل البال، وكثرة الاشغال، وتفاقم الأحوال، واختلال أمر العلم والاشتغال، فرأيت - بعد ان استخرت الله سبحانه - ان أحرر تفسيراً يشير إلى جملة من النكات اللطيفة والمعاني، وتصحيح القراءة والمباني، ويشتمل على جملة من الأخبار والآثار، المروي عن النبي وآله الأطهار، وسميته بـ «الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين» وأرجو من الله - تعالى - أن يوفقني بعد إتمامه إلى كتابة تفسير كالبحر الغزير يحيط بكل منطوق ومفهوم، ويجمع جميع العلوم ويشتمل على التأويل والبيان، والتفسير والنقير والقطمير^(١) وبالله أستعين، وانه خير موفق ومعين.

الاستعاذة - من تفسير الإمام - هي ما أمر الله بها عباده عند قراءتهم القرآن قال ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾^(٢) وعن علي (ع) «أعوذ: أمتنع بالله السميع لمقال الأخيار والأشرار ولكل المسموعات من الأعلان والأسرار العليم بأفعال الأبرار والفجار، وبكل شيء مما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ﴿ من الشيطان ﴾ البعيد من كل خير ﴿ الرجيم ﴾ المرجوم^(٣) باللعن المطرود من بقاع الخير.

عبد الله شبر

(١) النقير هو ما يضرب به المثل في الشيء الصغير. قال تعالى ﴿ ولا يظلمون نقيراً ﴾ وكذلك القطمير وهو الجزء الصغير في وسط الحبة . والمعنى انه

يريد ان يكتب تفسيراً يشتمل على كل شيء حتى على صفات الأمور . (راجع لسان العرب) في مادتي (نقر) و(قطمر).

(٢) سورة النحل الآية ٩٨.

(٣) اصل الرجم هو الرمي بالأحجار ثم استخدم - مجازاً - في الطرد والشنم . لسان العرب مادة (رجم).

سورة الفاتحة

وهي سبع آيات مكية، وقيل نزلت ثانياً بالمدينة، وتسمى «فاتحة الكتاب» لأنها مفتحة و«أم الكتاب» لاشتمالها على جمل معانيه و«الحمد» لذكره فيها و«السبع المثاني» لأنها سبع آيات اتفاقاً وإن اختلفت في عدد البسملة دون أنعمت عليهم أو العكس وتثنى في الفريضة، أو الإنزال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾

روي: (ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن) وقال الباقر (ع): (من لم يرثه الحمد لم يرثه شيء)، وقال الصادق (ع): (لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان عجباً) وقال (ع): (اسم الله الأعظم يقطع في أم الكتاب)، وفي النبوي أنها (أفضل سورة أنزلها الله في كتابه)، وانها (شفاء من كل داء إلا السام) يعني الموت، وسئل الصادق (ع) عن قوله تعالى: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني)^(١)

قال: هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها (بسم الله الرحمن الرحيم) وانما سميت المثاني لأنها تشنى في الركعتين ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ آية من الفاتحة، ومن كل سورة عدا براءة باجماعنا والنصوص المتواترة، (والباء) للاستعانة إشعاراً بأن الفعل لا يوجد بدونه، أو المصاحبة لأن التبرك باسمه تعالى ادخل في الأدب من جعله آلة، وفي الرد على المشركين بتبركهم باسم آلهتهم، والسورة مقولة على ألسنة العباد تعليماً لهم؛ أو إشعاراً بأن التصدير باسمه وحده في كل فعل وتأليف أمر واجب؛ والتعبير بلفظ الغائب للتعظيم كقول الخليفة: «الأمير يأمر بكذا»؛ وكسر الباء ولام الأمر ولام الاضافة داخلاً على المظهر، وحق الحروف المفردة الفتح لاختصاصها بلزوم الجر والامتيار عن لام الابتداء، وانما كان حقها ذلك لأنه أخ السكون في الخفة ومتعلق الظرف فعل لاصالته في العمل؛ وقلة الإضمار مؤخر لأهمية اسمه تعالى؛ ويقدر في كل مقام ما يناسبه كـ«أتلو» و«أقرأ» و«أحلّ» و«أرتحل» و«أذبح» في القراءة والحل والارتحال والذبح. والاسم: من السّموا وأصله «سمو» حذف عجزه وسكن أوله وزيد في ابتدائه همزة بشهادة التكبير والتصغير، أو من السمة وأصله «وسم» حذفت الواو وعوّض عنها الهمزة ولم يقل «بالله» لأن التبرك باسمه، وليعم كل أسمائه و«الله» أصله «إله» حذفت الهمزة وعوض عنها أداة التعريف لكنّه مختص بالمعبود بالحق، والإله كان لكل معبود ثم غلب في المعبود بالحق وهو من «إله» بالفتح عبد أو تحير، أو الكسر سكن أو فزع أو وُلِعَ لأنه معبود تتحير فيه العقول، وتطمئن بذكره القلوب، ويفزع إليه اهل الذنوب. وقيل: «أصله لاه ليها ولاها» احتجب وارتفع فأدخلت عليه الأداة. وفي المرتضوي: «الله معناه المعبود الذي تأله فيه الخلق ويوله إليه المستور عن ادراك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات» وهو علم شخص للذات

المقدسة الجامعة لكل كمال وإلا لم تفد كلمة الشهادة التوحيد، وقيل: اسم لمفهوم واجب الوجود بدليل سورة التوحيد، وتفخّم لأمه إذا فتح ما قبلها أوضم، وحذف ألفه لحن و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ صفتان مشبهتان من «رَحِمَ» بالكسر - بعد نقله إلى المضموم كغضبان من غضب، وعليم من علم و«الرحمة» في الأصل: رقة القلب المفضية للإحسان، وهي ونحوها بالنسبة إليه تعالى من باب: خذ الغايات واترك المبادئ فالمقصود غاياتها من الأفعال، لا مبدئها من الانفعالات، و«الرحمن» أبلغ لاقتضاء زيادة المباني زيادة المعاني، وهي هنا أما باعتبار الكم بحسب كثرة أفراد المرحومين وقتلتها، وعليه حمل «يا رحمن الدنيا» لشموله المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» للاختصاص بالمؤمن، أو باعتبار الكيف، وعليه حمل «يا رح الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا» لجسامة نعم الآخرة كلها بخلاف نعم الدنيا، فمعنى الرحمن: البالغ في الرحمة غايتها، ولذا اختص به تعالى، وإنما قدم - ومقتضى الترقى العكس - لصيرورته بالاختصاص كالواسطة بين العلم والوصف فناسب توسيطه بينهما، أولأن الملحوظ في مقام التعظيم جلائل النعم وغيرها كالتمتة، فقدم وادف بالرحيم للتعميم تنبيهاً على أن جلائلها ودقائقها منه - تعالى - لئلا يأنف عباده من سؤال الحقير من جنابه وللفاصلة، وخص البسملة بهذه الأسماء إعلاماً بأن الحقيق بان يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي، البالغ في الرحمة غايتها، المولي للنعم كلها. وفي النبوي (بسم الله الرحمن الرحيم: آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم) وسئل الصادق (ع) عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قيل: (بسم الله الرحمن الرحيم) من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهن، وقال علي (ع): (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة

الكتاب وهي سبع آيات تمامها (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال الصادق (ع): «لا تدع (بسم الله الرحمن الرحيم) وان كان بعده شعر» وسئل الرضا (ع) عن الاسم ما هو؟ قال: « صفة لموصوف ...، وعنه (ع): معنى قول القائل (بسم الله) أي: أسم على نفسي بسمة من سمات الله عز وجل وهي العبادة، قيل له ما السمة؟ قال: العلامة» وسئل الصادق (ع) عن أسماء الله - عز وجل - واشتقاقها فقال: «الله» هو مشتق من اله، واله يقتضي مألوهاً و«الاسم» غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، ثم قال (ع): «لله - عز وجل - تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كل اسم منها هو اله،^(١) ولكن الله - عز وجل - معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره» وعنه (ع): «اسم الله غير الله، وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله». وسئل الكاظم (ع) عن معنى «الله» قال: «استولى على ما دقّ وجل» وعنه (ع) «الرحمن» اسم خاص بصفة عامّة و«الرحيم» اسم عام بصفة خاصة وقال الرضا (ع) في دعائه «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما» وسئل الصادق (ع) عن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: «الباء» بهاء الله و«السين» سناء الله و«الميم» مجد الله، وروى بعضهم ملك الله، و«الله» إله كل شيء و«الرحمن» بجميع خلقه و«الرحيم» بالمؤمنين خاصّة، وفي آخر «الرحمن» بجميع العالم «الرحيم» بالمؤمنين خاصّة، وفي تفسير الإمام: «الله» هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطع الأسباب عن جميع ما سواه

(١) هكذا وردت في الاصل. والصحيح «الهأ» لأنها وقعت خبراً لا كان،

يقول: «بسم الله» أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قيل الحمد: هو الثناء باللسان على جميل اختياري - نعمة وغيرها - والمدح: هو الثناء على الجميل مطلقاً، وقيل: انهما أخوان، وقيل «الحمد: اظهار كمال المحمود - قولاً أو فعلاً أو حالاً - ليكون حمده تعالى ذاته حقيقياً وحمده تعالى على صفاته حمداً على الآثار الاختيارية الصادرة منه تعالى، ونقيضه الذم، والشكر: ما قابل النعمة - من قول أو عمل أو اعتقاد ومنه الحمد على النعمة بل هو أظهر شعبه دلالة عليها لخفاء الاعتقاد، واحتمال عمل الجوارح، ولذا قال (ص): «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده» فجعله كأشرف الأعضاء فكأن الشكر متف بانتفائه. وخصه بعض بالقول فيتساويان ونقيضه الكفران ورفع بالابتداء وخبره «لله» وأصله النصب، لأنه من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة، وعدل إلى الرفع دلالة على الدوام والثبات دون التجدد، ولامه للجنس، أو الاستغراق، أو العهد أي حقيقة الحمد، أو كل أفرادها وأكملها ثابت له - تعالى - على وجه الاختصاص كما تفيد اللام، وفي السجّادي: «من قال الحمد لله فقد أذى شكر كل نعمة لله تعالى» ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّبُّ - في الأصل - هو المالك، فهو اما صفة مشبهة من فعل متعد، لكن بعد جعله لازماً من ربه يربّه بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر، واما وصف بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، وهو مفرد لا يطلق على غيره تعالى إلا مضافاً كـ «رب الدار» او مجموعاً كـ «الأرباب». والتربية: تبليغ الشيء كماله تدريجاً وصف به للمبالغة، أو صفة مشبهة من ربه يربّه وإضافته حقيقة لانتفاء عمل النصب لاشتقاقه من اللازم، ولقصد الاستمرار الثبوتي كـ «كريم البلد» فساغ وصف المعرفة به وسمي به المالك لحفظه ما يملكه وتربيته له و«العالم» اسم لما يعلم

به كـ«الطابع» غلب في كل جنس مما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض كما يقال: «عالم الأرواح» و«عالم الأفلاك» و«عالم العناصر» ويطلق على مجموعها أيضاً ولا يجمع إلا بالإطلاق الأول، فيتعين هنا، وإنما جمع ليشمل كل أجناس مسماه وافرادها ايضاً، وجمع بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه، وتغليب العقلاء. وقيل: اسم لكل جنس من ذوي العلم من الملائكة والثقلين،^(١) ودخول غيرهم بالتبعية. وقيل: جمعه بالواو والنون اشارة إلى سريان الصفات الكمالية من العلم والحياة وغيرهما في كل موجود من الموجودات. وفي المرتضوي: «ربّ إذ لا مربوب». وفي الباقرى: «لعلك ترى ان الله انما خلق هذا العالم الواحد أوترى ان الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله، لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين» وفي الصادقي: «ان لله - عزّ وجل - اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم ان لله - عزّ وجل - عالماً غيرهم وأنا الحجة عليهم» وفي المرتضوي: «رب العالمين» وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كرر اشعاراً بشدة اعتناؤه - سبحانه - بالرحمة، وتبثاً للرجاء بان مالك يوم الجزاء: هو البالغ في الرحمة غايتها، فلا يقنط من عفوه المذنبون ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءة عاصم والكسائي ويؤيده (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)^(٢) وقرأ الباقر (ملك) وبه قرأ الصادق (ع) ما لا يحصى كما قرأ بالأول ويؤيده (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)^(٣) وأنه أدخل في التعظيم، وانسب بالإضافة إلى يوم

(١) المقصود به الثقلين «هو الإنس والجن».

(٢) سورة الانفطار الآية ١٩ .

(٣) سورة غافر الآية ١٦ .

الدين كـ«ملك العصر» وبوصفه - تعالى - بالملكية بعد الربوبية في خاتمة الكتاب؛ ليوافق الافتتاح الاختتام و(المالك): من له التصرف فيما في حوزته و(الملك) من له التصرف في الأمور بالأمر والنهي بالغلبة و«الدين» الجزاء، وعن الباقر والصادق (ع) «الحساب» وعن الرضا (ع) (مالك يوم الدين) إقراراً له بالبعث والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة له كما يجاب ملك الدنيا وعن السّجاد (ع) انه إذا قرأ (مالك يوم الدين) يكرّرها حتى يكاد ان يموت وفي اختياره على سائر الأسامي رعاية للفاصلة، وافادة للعموم، فان الجزاء يتناول جميع احوال القيامة إلى السرد، واطافة اسم الفاعل إلى الظرف لاجرائه مجرى المفعول به توسعاً وسوْغ وصف المعرفة به قصد معنى الماضي تنزيلاً لمحقق الوقوع منزلة ما وقع، أوقصد به الاستمرار الثبوتي، والمعنى ملك الأمر كلّ في ذلك اليوم، أوله الملك - بكسر الميم - فيه فاضافته حقيقية، وكذا اضافة «ملك» إذ لا مفعول للصفة المشبهة، وتخصيص «اليوم» بالإضافة - مع أنه تعالى مالك وملك لجميع الأشياء في كل الأوقات - لتعظيم ذلك اليوم، أولتفرده تعالى بالملك فيه كما في (لمن الملك اليوم) قيل: وفي التعبير باسم الذات الدال على إستجماع الكمالات وتعقيب بتلك الصفات المنفيّة عما سواه تعالى؛ دلالة على انحصار استحقاق الحمد فيه، وقصر العبادة والاستعانة عليه تعالى، وإرشاد إلى المبدأ والمعاد، وتنبيه على أن من يحمده الناس: إما أن يحمده لكمال الذاتي، أولانعامه عليهم، أولرجائهم إحسانه في المستقبل، أولخوفهم من كمال قهره، فكأنه - تعالى - يقول يا أيّها الناس ان كنتم تحمدون للكمال الذاتي فانا الله، أوللانعام والتربية فانا رب العالمين، أوللرجاء في المستقبل فانا الرّحمن الرحيم، أولللخوف من كمال القهر فانه مالك يوم الدين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (آيا) ضمير منصوب منفصل،

٢٠الجوهر الثمين/الجزء الأول

ولواحقه من الكاف والياء والهاء حروف لبيان الخطاب والتكلم والغيبة، لا محل لها من الاعراب، ككاف (ذلك) - على أصح الأقوال - وقيل: انه مضمّر مضاف إلى ما بعده، وردّ بان الضمير لا يضاف، وقيل ان (إياك) بكماله ضمير، و«العبادة» أعلى مراتب الخضوع والتذلل، ولذا لا يستحقها إلا المولي لأعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعها. و«الاستعانة» طلب المعونة في الفعل، ولعلّ المراد بها - هنا - طلب المعونة في كل المهمّات، ولذا حذف المستعان فيه، أوفي أداء العبادة بوظائفها، ولعل استعماله بلا واسطة الحرف إشارة إلى ان العبد ينبغي ان لا يرى بينه وبين الحق واسطة في الاستعانة بان يقصر نظره عليه أو يرى الوسائط منه وتقديم المفعول لقصر العبادة والاستعانة عليه - تعالى - قصراً حقيقياً أو اضافياً افرادياً، ولتقدمه - تعالى - في الوجود، وللتنبيه على ان العابد والمستعين ينبغي ان يكون نظرهما بالذات إلى الحق - سبحانه - ثم منه إلى أنفسهم لا من حيث ذواتها، بل من حيث أنها ملاحظة له تعالى، ثم إلى عبادتهم ونحوها، لا من حيث صدورها عنهم، بل من حيث انها وصلة بينهم وبينه - تعالى - لعل تكرار الضمير للتنخيص على التخصيص بالاستعانة، فيستفي توهم التخصيص بالأمرين، وتقدير مفعول الاستعانة مؤخراً، ولبسط الكلام مع المحبوب كآية: (هي عصاي)^(١) ولعل تقديم العبادة على الاستعانة لتوافق الفواصل، ولكون تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى إلى الإجابة، ولمناسبة تقديم مطلوبه - تعالى - من العباد على مطلوبهم منه، ولان المتكلم لمّا نسب العبادة إلى نفسه كان كالمتعبد بما يصدر منه، فاستدراك ذلك بان العبادة لا تتم إلا بمعونته، ولعلّ إثارة صيغة المتكلم وحده لملاحظة القارئ

دخول الحفظة، أو حاضري صلاة الجماعة، أو كل موجود (وان من شيء إلا يسبح بحمده)^(١) أولأن كل جارية وعضومنه تشتغل بذلك، أولادخال عبادته واستعانتة في عبادة الغير إيداناً بحقارتها بإنفرادها، وجعلها مع الغير كبيع الصفقة، إما أن يقبل الجميع، أو يرد الجميع وهو تعالى - أكرم من أن يرد الجميع، إذ لا بد من وجود عبادة مقبولة فيهم كامام الزمان فيقبل الجميع، وللاحتراز عن الكذب لو انفرد في ادعائه قصر خضوعه التام، أو استعانتة عليه - تعالى - وفي الجمع يمكن ان يقصد تغليب الخالص على غيرهم فيصدق. ولعل النكته في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب - مضافاً إلى التفنن في الكلام والتطرية^(٢) وتنشيط السامع - أن الأوصاف المذكورة أوجبت التميز والانكشاف بحيث صار حاضراً مخاطباً أو ان القراءة انما يعتد بها إذا صدرت عن قلب حاضر مقبل على المنعم ولم يزل في ازدياد حتى أوجب الحضور، وأن الحمد اظهر مزايا المحمود، فالمخاطب به غيره - تعالى - فالمناسب له طريق الغيبة، والعبادة ونحوها ينبغي كتمانها عن غير المعبود للقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء فناسبه طريق الخطاب، أو التلويح إلى قوله (ع) «اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»، وعن الصادق (ع) «لقد تجلّى الله لعباده في كلامه، ولكن لا يبصرون»، وعنه (ع) أنه خرّ مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال: «ما زلت أرددها حتى سمعتها من المتكلم»، وفي النبوي: «(إياك نعبد) إخلاص للعبادة، و(إياك نستعين) أفضل ما طلب به العباد حوائجهم» وقال الرضا (ع): «(إياك نعبد) رغبة وتقرّب إلى الله، وإخلاص له بالعمل دون غيره، و(إياك نستعين) استراة من توفيقه وعبادته، واستدامة

(١) سورة الأسراء الآية ٤٤.

(٢) تطرية الكلام أي جعله ليناً.

٢٢الجوهر الثمين /الجزء الأول

لما أنعم الله عليه ونصره ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فصل عما قبله لكمال الانقطاع، لتخالفهما خبراً وإنشاءً، أولكمال الاتصال، لأنه بيان للإعانة المطلوبة كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا، و«الهداية»: الدلالة بلطف وإن لم توصل إلى المطلوب، وقيل: الموصلة ويدفعه (فهديناهم فاستحبوا العمى)^(١) وقيل: إراءة ما يوصل ويدفعه (انك لا تهدي من أحببت)^(٢) وقيل: إن تعدت إلى ثاني مفعوليه بنفسها فالموصلة، ولا تسند إلا إليه - تعالى - أوبالحرف فالإراءة، وتسند إلى النبي (ص) والقرآن، ويدفعه (وهديناه النجدين)^(٣) والاسناد إلى غيره - تعالى - في (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)^(٤) والحق استعمالها في الجميع قيل: وهداية الله - تعالى - تنوع أنواعاً لا يحصيها عدّ لكنها تنحصر في أجناس مترتبة: الأول: إفاضة القوى والحواس لجلب النفع ودفع الضرر (اعطى كل شيء خلقه ثم هدى)^(٥) الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل (وهديناه النجدين) الثالث: إرسال الرسل وإنزال الكتب و(أما ثمود فهديناهم)^(٦) الرابع: إزالة الغواشي البدنية، وإراءة الأشياء كما هي بالوحي والإلهام أو المنام الصادق والاستغراق في ملاحظة جماله وجلاله، وهذا يختص به الأنبياء والأولياء ونحوهم (أولئك الذين هدى

(١) سورة فصلت الآية ١٧.

(٢) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٣) سورة البلد الآية ١٠.

(٤) سورة مريم الآية ٤٣.

(٥) سورة طه الآية ٥٠.

(٦) سورة فصلت الآية ١٧.

اللَّهُ فبهدهم اقتده^(١) فغير الواصل يطلب المرتبة الاخيرة، والواصل يطلب الزيادة والثبات (والذين اهتدوا زادهم هدى)^(٢) وفي المرتضوي (اهدنا) ثبتنا و (الصراط) الجادة، من سراط الطعام أي: ابتلعه فكأنه يستراط السابلة^(٣)، وهم يستراطونه وجمعه سُرُط كَ (كُتِبَ)، ويذكر ويؤنث كالسبيل، وأصله السين قلبت صاداً لتطابق الطاء في الاطباق وقرأ ابن كثير بالأصل، وحمزة بالإشمام^(٤)، والباقون بالصاد وهي لغة قريش و﴿الصراط المستقيم﴾ طريق الحق، أودين الاسلام، أو كتاب الله، وفي النبوي «اهدنا الصراط المستقيم» صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم، وروي انه كتاب الله وفي الصادقي: «انه امير المؤمنين (ع) ومعرفته» وفيه: «والله نحن الصراط المستقيم»، وفي آخر: «هو الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فاما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى به مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم» وعنه (ع) في وصفه: «ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حdal» وسئل (ع) عن الصراط فقال: «هو أدق من الشعر، وأحد من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً، وعنه (ع) في الآية إرشاد للزوم الطريق

(١) سورة الانعام الآية ٩٠.

(٢) سورة محمد (ص) الآية ١٧.

(٣) أي المارة من الناس.

(٤) الاشمام عند القراء هو الاشارة بالشفنتين الى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون من غير تصويت بهذه الضمة.

المؤدي إلى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من ان تتبع هوانا فنعطب، أونأخذ بآرائنا
 فنهلك ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم
 الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) كما عن علي والعسكري (ع)،
 وقيل: المراد بهم المسلمون فإن نعمة الإسلام أصل كل النعم. وقيل: الأنبياء، وهو بدل
 كل مما قبله وعن الصادق (ع): ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ يعني محمداً وذريته،
 و«الانعام» إيصال النعمة، وهي - في الأصل - مصدر بمعنى: الحالة المستلذة، ثم
 أطلقت على نفس الشيء المستلذ تسمية للسبب باسم المسبب قيل: ونعمه - سبحانه -
 على كثرتها، وتعذر حصرها (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) ثمانية انواع: أما
 دنيوي موهبي روحاني، كإفاضة العقل، أوجسماني كخلق الأعضاء، وأما دنيوي
 كسبي روحاني كتحلية النفس بالأخلاق الزكية، أوجسماني كترتين البدن بالهيئات
 المطبوعة، وأما أخروي موهبي روحاني كغفران ذنب من لم يتب، أوجسماني كأنهار
 العسل، وأما أخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب، أوجسماني كاللذات
 الجسمانية المستجلبة بالطاعات، والمراد هنا الاربعة الاخيرة وما يكون وصلة إليها من
 الاربعة الأول لاشارك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
 الضَّالِّينَ﴾ و«الغضب» ثوران النفس لإرادة الانتقام، واسناده إليه - تعالى - باعتبار الغاية
 - كما مرّ في الرّحمة - ولعلّ العدول عن اسناده إليه - تعالى - الى صيغة المجهول
 بخلاف (أنعمت) ونحوه لتأسيس مباني الرّحمة، فكأن الغضب والعذاب لم يصدر
 منه - تعالى - وإنما هو العمل السيء تجسّم «إنما هي أعمالكم» بخلاف الرّحمة
 والانعام فإنها تفضّل منه - تعالى - لا يستوجبها العبد بفعله كما قال (ع): «لن يدخل
 أحدكم الجنة بعمله» ومثله في التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قوله: (لئن شكرتم

لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد^(١). ولم يقل (لأعذبنكم) و«الضلال»
العدول عن الطريق النبوي ولو خطأ وشعبه كثيرة، بشهادة قوله (ص): «ستفترق
أمّتي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار» والمشهور تفسير
(المغضوب عليهم) باليهود و(الضالّين) بالنصارى لقوله تعالى في اليهود (من لعنه
الله وغضب عليه)^(٢) وفي النصارى (قد ضلّوا من قبل واطلّوا كثيراً)^(٣) وقيل المراد
بهما مطلق الكفار وقيل مطلق من اتصف بذلك من الكفار وغيرهم و(غير): بدل
كل من (الذين) أي ان المنعم عليهم هم الذين اسلموا من الغضب والضلال،
فيفيد التأكيد والتنصيب، اوصفة ويكون تعريف الموصوف وتوغل الصفة في
النكارة مخرجاً لأحدهما عن الصرافة، اما بجعل الموصول مقصوداً به جماعة
لا بأعيانهم، فيصير معهوداً ذهنياً فيجري مجرى النكرات كالمعرف بلام الجنس
والمراد به فرد غير معيّن، اوبجعل (غير) بالإضافة إلى ذي الضد الواحد معيّناً تعيّن
المعارف فينكسر إبهامه فيصح وصف المعرفة به.

(١) سورة ابراهيم الآية ٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٧٧.

سورة البقرة

مدنية، وقيل أول سورة نزلت بالمدينة وهي

مائتان وست أوسع وثمانون آية.

[الآيات (١-٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

عن النبي (ص) «من قرأ هذه السورة أعطاه الله بكل حرف أماناً من حرّ جهنم.

﴿الم﴾ قيل: هي اسماء للقرآن للاخبار عنها به وللكتاب، وقيل: اسماء الله - تعالى -

لقول علي (ع) «يا كهيعص» «يا حمعسق» وقيل مختصرة من كلمات فـ (آلم) معناه انا

الله اعلم ونحوه، وقيل: اشارة إلى مدد وآجال بحساب الجمل، وقيل: مقسم بها

لشرف الحروف، لأنها مباني أسمائه - تعالى - وكتبه وقيل: سرّ الله تعالى وقيل من

المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وقيل: يتألف منها الاسم الأعظم كما يتألف من (الر)

و(حم) و(ن) الرحمن فان جعلت اسماء الله - تعالى - أو السور، أو القرآن، فمحلها

الرفع على الابتداء، أو الخبر، أو النصب بتقدير (أتلى) أو (فعل القسم، أو) (الجر)

ياضمار حرف القسم وان عدّدت مبقاة على معانيها، فان أوّلت بالمؤلف فالرفع، وان جعلت مقسماً بها، فالنصب أو الجر، وإلا فلا محل لها وفي الباقر («الم» وكل حرف في القرآن مقطعه من حروف اسم الله الأعظم، الذي يؤلفه الرسول والإمام فيدعوه فيجاب)، ونحوه عن الصادق (ع)، وعنه (ع): «الم في أول سورة البقرة معناها انا الله الملك»، وعن الباقر (ع) ما يدل على القول الرابع، وروى العامة، عن علي (ع) قال «لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»، وسئل الصادق (ع) عن «الم» فقال: «في الالف ست صفات من صفات الله، الابتداء فان الله - عز وجل - ابتداء جميع الخلق، والالف ابتداء الحروف، والاستواء فهو عادل غير جائر، والالف مستوفي ذاته. والانفراد فالله فرد، والالف فرد، واتصال الخلق بالله، والله لا يتصل بالخلق، وكلهم يحتاجون إليه، والله غني عنهم، والالف كذلك لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به، وهو منقطع عن غيره والله - تعالى - بائن بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالف فكان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تألفت الحروف وهو سبب ألفتها» ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ الإشارة إلى «الم» أي هذه الحروف التي ينتظم منها كلامكم، أو هذا المؤلف منها، أو القرآن، أو السورة، وحيث شابه البعيد لتقصيه اتى بصفته، أو إلى الكتاب، ويكون صفته أي الكتاب الموعود به ف(الم): ان جعلت اسماً للسورة، أو القرآن، أو مؤولة بالمؤلف مبتدأ، و(ذلك) مبتدأ ثان، و(الكتاب) خبره، والجملة خبر الأول ومعناه: انه الكتاب الكامل الحري بان يسمى كتاباً أو الخبر (ذلك) و(الكتاب) صفة. أو (آلم) خبر لمحذوف و(ذلك) خبر ثان أو بدل و(الكتاب) صفته. أو (ذلك) مبتدأ و(الكتاب) خبره، أو صفة والخبر (لا ريب فيه) ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وفي تفسير الإمام: «يعني القرآن الذي افتتح بـ (آلم) هو ذلك

الكتاب الذي أخبرت به موسى ومن بعده من الأنبياء، وهم أخبروا بني إسرائيل أنني سأنزله عليك يا محمد، لا شك فيه لظهوره عندهم ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بيان من الضلالة لهم، لأنهم هم المنتفعون به وإن كان هدى للناس، أوزيادة ثبات لهم، أو المراد المشارفون للتقوى وفي تفسير الإمام: «معناه بيان وشفاء للمتقين من شيعة محمد وعلي، اتقوا أنواع الكفر فتركوها، واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار الله وأسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمد (ص) فكتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها، المستحقين لها، ففهم نشرها وفي الباقرى: (الكتاب) أمير المؤمنين لا شك فيه أنه إمام هدى للمتقين، وقيل ووافق الوجوه الاعرابية كون الآية أربع جمل متناسقة تقرر كل لاحقة سابقتها، ولذا لم يتخللها العاطف، فالجمله تفيد التحدي، و(ذلك الكتاب) ثانية تقرر جهة التحدي، و(لا ريب فيه) ثالثة تسجل كماله، و(هدى للمتقين) رابعة تقرر كونه يقيناً لا يشك فيه. وللتقوى مراتب ثلاث: التوقي من الشرك و﴿الزمهم كلمة التقوى﴾^(١) أي: التوحيد والتجنب عن المعاصي، والتزهر عما يشغل السر عن الحق. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ في الصادقي: (يصدقون بالبعث والنشور، والوعد والوعيد)، وفي آخر: (الإقرار بقيام القائم)، وقيل يعم ما غاب عن الحواس من التوحيد، ونبوة الأنبياء، وقيام القائم، والرجعة واليوم الآخر، وسائر ما يعرف بالمشاهدة ويلزمهم الإيمان به ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يعدلون أركانها وأفعالها، بصيانتها عما يفسدها أو ينقصها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال والأبدان والجاه والعلم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ وفي الصادقي: (مما علمناهم يشنون)،

و«الرزق»: ما ينتفع به الحيوان. ودلّ اسناده إليه - تعالى - ومدحهم بالإنفاق منه، على ان الحرام ليس منه لتعالیه سبحانه عن القبائح وعدم اقتضاء انفاق الحرام المدح، وتقديم الظرف للاهتمام به، لحليته، ورعاية الفواصل، وأشير بـ(من) التبعية إلى الكف عن التبذير ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن والشرعة ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من سائر كتب الله المنزلة ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ الدار التي بعد هذه الدار ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لا يشكّون، وفي تقديم الظرف، وبناء (يوقنون) على (هم) تعريض غيرهم من أهل الكتاب، وأن ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن ايقان ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ على صواب، وعلم بما أمرهم به، وفي الاستعلاء اشارة إلى تشبيه تمسكهم بالهدى، وثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركبه، وتنكير هدى للتعظيم، والاسناد إلى الرب تأكيد لتعظيمه بأنه ممنوحه وهو اللطف والتوفيق ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بما يؤملون، وتكرير ﴿أُولَئِكَ﴾ يفيد اختصاصهم، وتميزهم عن غيرهم بكل واحدة من المرتبتين، وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوماً، و(هم) فصل يفصل الخبر عن الصفة، ويحصره في المبتدأ ويؤكد الحكم، وتعريف المفلحون للعهد اي: «المتقون» هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآجل، أوللجنس بارادة حصره في المسند إليه، أواتحاد المسند إليه به. قيل: فانظر كيف تبه - تعالى - على اختصاص المتقين بالأثرين: بذكر اسم الإشارة المفيد للعلية مع الإيجاز، وتكريره وتعريف المفلحين، وضم الفصل اعلاناً بفضلهم وحثاً على لزوم نهجهم.

[سورة البقرة الآيات ٦-١٦]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ يَوْمَ الْآخِرِ وَمَا
 هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ تَتَخَدَّعُونَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تَتَخَدَّعُونَ إِلَّا
 أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي
 الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
 وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا
 أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ؕ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ
 ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا
 إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَزَقَتْ
تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله، وبما آمن به أولئك المؤمنون ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى الاستواء، وصف به كما وصف بالمصادر، ورفع بانه خبر (ان) وما بعده رفع بالفاعلية، أي: مستو عليهم إنذارك وعدمه، أو أنه خبر لما بعده أي: إنذارك وعدمه سواء عليهم، والجملة خبر (ان) وعدل إلى الفعل ملاحظة للتجدد ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أي خوفتهم ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ اخبر عن علمه - تعالى - فيهم، ولا يلزم ال جبر، ولا تكليف ما لا يطاق، لان الاخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه، كاخباره - تعالى - عما يفعله هو والعبد باختياره، وفي الآية ونحوها اخبار بالغيب، واعجاز ان أريد بهم معنيون ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فلا يفقهون الحق، ولا يستمعون إليه ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فلا يبصرونه، قيل ذلك كناية عن تمكن اعراضهم عن الحق في قلوبهم واسماعهم حتى صار لهم كالجبلة الصادرة عنه - تعالى - أو تمثيل حال قلوبهم بحال قلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن أو من الاسناد إلى السبب، أو مجاز عن ترك قسره على الإيمان كناية عن رسوخهم في الكفر، أو تهكم بهم وحكاية لقولهم: (قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)^(١) أو في الآخرة، والتعبير بالماضي لتحقيقه بشهادة (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) وفي تفسير الإمام: أي وسمها

بسمه يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون وعلى سمعهم كذلك سمات ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ وذلك لما أعرضوا عن النظر فيما أريد منهم وجعلوا ما لزمهم من الإيمان، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافر، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد ان يستصلحه بما انزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعة، أو من عذاب الاصطلام^(١) ليصير إلى عدله وحكمته (وعلى سمعهم) عطف على (قلوبهم) لقوله تعالى: (وختم على سمعه وقلبه)^(٢) ولوقفهم عليه، وتكرير الجار للدلالة على شدة الختم في الموضعين، وافراد السمع للأمن من اللبس مع الخفة والتفنن، أولأنه في الأصل مصدر، وهولا يجمع أو على تقدير مضاف، أي: مواضع سمعهم، أولرعاية المناسبة بين المدرك والمدرك، فان مدرك السمع واحد وهو الصوت، ومدركاتهما أنواع، و(غشاوة) رفع بالإبتداء أو الظرف، والتكثير للتعظيم أو النوعية أي نوع غير متعارف ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ نزلت في الذين زادوا على كفرهم النفاق، والمراد الإيمان بالمبدأ والمعاد للذين هما المقصود الأعظم من الإيمان ولذا خصاً بالذكر، وتكرير الباء لادعاء الإيمان بكل منهما على الصحة و(اليوم الآخر) من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى دخول السعداء الجنة والأشقياء النار ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نفي لما ادعوه وتكذيب لهم، والأصل يقتضي (وما آمنوا) لمطابقة قولهم (آمنّا) وعدل عنه مبالغة، لأن إخراجهم عن جملة المؤمنين أبلغ من

(١) أي: الاستئصال والابادة . راجع المعجم الوسيط مادة : «صلم» ص ٥٢١.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣.

نفي ايمانهم في الماضي، ولذا أكد النفي بالباء ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي يعاملونه - تعالى - معاملة المخادع اويخادعون رسول الله (ص) بابدائهم له خلاف ما في جوانحهم^(١) لأن مخادعة الرسول مخادعة الله (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)^(٢) والخدع ان: توهم غيرك خلاف ما تريد به من المكروه، اي صورة صنعهم معه تعالى، من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وصنعه - تعالى - معهم بإجراء احكام المسلمين عليهم، وهم أبغض الكفرة إليه، لمصالح يعلمها ﴿و﴾ يخادعون أيضاً ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ كذا قرأ نافع، وابن كثير، وابوعمر، أي: ضرر خداعهم إنما يعود إليهم، وانهم خدعوا أنفسهم، حيث منوها الأباطيل، وخدعتهم هي كذلك، وقرأ الباقر (وما يخدعون) ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ان الأمر كذلك وان الله يطلع نبيه (ص) على نفاقهم، فهم لفرط غفلتهم، كفاقد الحس ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ حقيقة، لأنها متألمة حزناً على فوت الرئاسة منهم، وحقاً^(٣) على الرسول والمؤمنين، أومجاز عن الكفر، والغل، وحب المعاصي، ونحوها من الأمراض القلبية، او عن الجبن الذي داخل قلوبهم حين رأوا شوكة المسلمين وقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ تألماً، بإعلان شأن رسوله (ص)، اوطبعاً على قلوبهم لاستحقاقهم ذلك، أوجبناً بتضاعف النصر لرسوله (ص) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجه غاية الإيجاع ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف في قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، أي: لسبب كذبهم في قولهم: آمنا، اوبمقابلته والباقر بالتشديد لتكذيبهم الرسول بقلوبهم دائماً اوبألستهم إذا خلوا إلى شياطينهم،

(١) جمع (جانحة) وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر . والمعنى : خلاف ما في صدورهم المعجم الوسيط مادة (جنح) ص ١٣٩.

(٢) سورة النساء الآية ٨٠.

(٣) أي: غيضاً وحقداً. «المعجم الوسيط مادة (حنق) ص ٢٠٣.

اوللمبالغة كَيِّن الشيء، اوالتكثير كمؤنث الابل، ولفظ (كان) للاستمرار، و(الكذب):
 الاخبار بالنسبة على خلاف ما هي به، والآية تفيد حرمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ﴾ يظهار النفاق لعباد الله المستضعفين فتشوشوا عليهم دينهم، وبإثارة
 الفتن والحروب بخداع المسلمين، ومعاونة الكفار بإفشاء أسرارهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ﴾ نرضى محمداً (ص) في الظاهر، ونعتق أنفسنا من رقه في الباطن، وفي
 هذا صلاح حالنا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ بفعلهم، لأن الله يعرف نبيه نفاقهم،
 فهو يلعنهم، ويأمر المؤمنين بلعنهم، ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين، لأنهم يظنون
 انهم ينافقون أيضاً، وفيه رد دعواهم مع المبالغة بالإستيناف به وتصديره بالمؤكدين:
 (ألا) المنبهة على تحقق ما بعدها، و(ان) وتوسط الفصل وتعريف الخبر ﴿وَلَكِنْ لَا
 يَشْعُرُونَ﴾ بكونهم مفسدين مع ظهوره كالمحسوس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ قال لهم خيار
 المؤمنين ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ المؤمنون قالوا فيما بينهم، إذ لا يجسرون على
 مكاشفة المؤمنين بهذا الجواب ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ المذلون أنفسهم لمحمد
 (ص)؟ استفهام إنكاري، واللام للعهد والمعهود الناس، اوللجنس وهم داخلون فيه
 على رغمهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ الاخفاء العقول والآراء ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 وفيه ردّ بليغ لتجهيلهم بجهلهم المؤذن برسوخه فيهم، مع ما في سابقها، ولعل الفصل
 هنا بـ (لا يعلمون) وما سبق بـ (لا يشعرون) التلويح ان معرفة الحق من الباطل تحتاج
 إلى نظر، والنفاق المؤدي إلى الفساد يدرك بأدنى تفتن. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
 آمَنَّا﴾ صدر القصة بيان لمذهبهم، وهذه بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفار فلا
 تكرار ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ إخوانهم من المنافقين المظهرين للكفر، المماثلين
 للشيطان في عتوهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين والاعتقاد - كما كنا - وخاطبواهم

بالاسمية تحقيقاً لثباتهم على دينهم، وأكدوها بـ (ان) لاعتنائهم بشأنه، وتوقعهم رواجه منهم والمؤمنين بالفعلية اخباراً باحداث الإيمان، ولم يعتنوا به ولم يتوقعوا رواجه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾ بالمؤمنين ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم جزاء من يستهزأ به، اما في الدنيا فياجراء احكام المسلمين عليهم، واما في الآخرة فبأن يفتح لهم بابا إلى الجنة، فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه، سدّ عليهم اويجازيهم على استهزائهم. سمي جزائه باسمه كجزاء سيئة سيئة ولعل العدول عن مستهزاء طبق قولهم ليفيد حدوث الاستهزاء وقتاً فوقتاً ﴿وَيَمْدُهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ وهو مجاوزة الحد في العتو، وأصله تجاوز الشيء عن موضعه ﴿يَغْمَهُونَ﴾ والعمة: التحير^(١) وهو في البصيرة كالعمى في البصر ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ استبدلوها به إستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، أي: تركوا الهدى الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها إلى الضلالة ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز، لما ذكر الاشتراء أتبعه ما يشاكله تصويراً لما فاتهم لصورة خسارة التجارة وأسند إلى التجارة، لتلبسها بالفاعل ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق والصواب، ولا إلى طرق التجارة، إذ ضيّعوا رأس مالهم وهو الهدى.

(١) راجع المعجم الوسيط ، مادة (عمه) ص ٦٢٩.

سورة البقرة الآيات ١٧-٢٤

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ
 اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَى
 فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
 وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي ءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ
 وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا
 أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
 بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ؕ إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا
 النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ؕ فَلَا تَجْعَلُوا
 لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ
 اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا
 النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿مِثْلُهُمْ﴾ حالهم العجبية ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ ليصر بها ما حوله
 ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ حول المستوقد ان تعدى وإلا فالفاعل (ما)
 والتأنيث لأنها أشياء وامكنة ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جواب لـ (ما) وجمع نظراً إلى
 المعنى بإرسال ريح أو مطر اطفأها، وذلك انهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق واعطوا
 احكام المسلمين فلما أضاء ايمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم الله، وصاروا في ظلمات
 عذاب الآخرة ولم يقل (بنارهم) لأن المراد من إيقادها النور، والضمير للمنافقين،
 وجواب (لَمَّا) محذوف أي: خمدت واسناد الإذهاب إليه - تعالى - لأنه المسبب
 للاطفاء، وعدي ذهب بـ (الباء) لإفادتها الاستصحاب بخلاف الهمزة، أي: أخذ الله
 نورهم وأمسكه، وعدل عن الضوء الموافق لأضاءت إلى النور للمبالغة إذ لو قيل:
 (ذهب بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً، والغرض طمس النور
 عنهم أصلاً ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ بأن منعهم المعاونة واللفظ، وخلي
 بينهم وبين اختيارهم وتنكير الظلمات وهي عدم النور للتعظيم وجمعها للمبالغة
 بشدتها كأنها ظلمات متراكمة، أو المراد ظلمة النفاق وظلمة سخط الله وظلمة العقاب
 السرمد، ومفعول (لا يبصرون) متروك، كأن الفعل لازم. قيل: والآية مثل لانتفاعهم
 بكلمة الإسلام مدة حياتهم القليلة وانقطاعه بالموت، ووقعهم في الظلمات

المتراكمة باستضاءة المستوقد التي حصلت بعد السعي فزالت بإطفاء النار فبقي في ظلمة شديدة، أو مثل لهداهم الذي باعوه بالنار الموقدة للاستضاءة والضلالة التي اشتروها فطبع بها على قلوبهم بإطفاء الله - تعالى - إياها وذهاب نورها ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾ في الآخرة، أوفي الدنيا عما يتعلق بالآخرة، وهو على التشبيه لأنهم لما سدوا آذانهم عن إصغاء الحق، وألستهم عن النطق به، وأبصارهم عن مشاهدة آياته، جعلوا كأنما إنتفت مشاعرهم ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى الذي باعوه، أو عن الضلالة التي اشتروها ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ عطف على (الذي استوقد)، أي: كمثل ذوي صَيْبٍ لقوله (يجعلون) و(أو) للاباحة أي يباح تمثيلهم بكل منهما، والصَيْب: المطر الذي يصبوب أي ينزل، ويقال للسحاب، وتنكيره للتهويل، وتعريف السماء اشارة إلى تطبيق السحاب لكل آفاقها لا أفق واحد، فانه سماء أوالسماء السحاب فاللام للجنس ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ مثل للشبهات ﴿وَرَعْدٌ﴾ مثل للتخويف والوعيد ﴿وَبَرْقٌ﴾ مثل للآيات الباهرة. ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ استئناف، كأنه قيل (ما حالهم مع ذلك الرعد؟) فأجيب به، والضماير لذوي الصَيْب، وإيثار الأصابع على الأنامل للمبالغة ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي من أجلها ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ مقتدر عليهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط، قيل: شبه تصاممهم عما يسمعون من الوعيد وما يطرقون به من النكايات بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع انه لا خلاص له منها ﴿يَكَاذُ الْبَرْقِ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يذهب بها، وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، ولم يفضوا عنه أبصارهم لتسلم من تلاكؤه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون ان يتخلصوا فيه

بضوء البرق، فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة التي يشاهدونها يبطل عليهم كل ما يعرفونه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ في مطرح ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا وتحيروا، فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبون في دنياهم فرحوا بإظهار طاعتهم، وإذا رأوا ما يكرهون فيها وقفوا، وأتى مع الإضاءة بـ (كلما) ومع الاظلام بـ (إذا) لحرصهم على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصف الرعد ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ بوميض البرق حتى لا يتأتى لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم، وحذف مفعول (شاء) لدلالة الجواب عليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء، قيل: والتمثيل: إما مركب تشبيه لحال المنافقين من الشدة والدهشة بحال من أخذه المطر في ليل مظلم مع رعد قاصف، وبرق خاطف، وخوف من الصواعق، او مفرق تشبيه لذواتهم بذوي الصيب، وإيمانهم المشوب بالكفر بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق، فإنه وإن كان رحمة في نفسه لكنه نقمة في هذه الصورة، ونفاقهم حذراً مما يطرق به غيرهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت، وتحيرهم بشدة الأمر بأنهم كلما أضاء لهم انتهزوا الفرصة فمشوا قليلاً وإذا أظلم عليهم وقفوا متحيرين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ قيل لما ذكر - تعالى - فرق المكلفين وأحوالهم التفت إليهم بالخطاب، تنشيطاً للسامع، و(يا) لنداء البعيد، ويستعمل في القريب منزلاً منزله، أما لعظمته كـ (يا الله) أولغفلته، أوللاعتناء بالمدعوله، و(أي) وصلة إلى نداء المعروف باللام لتعذر دخول (يا) عليه واعطى حكم المنادى، وجعل ذواللام صفة موصحة له ملترماً دفعه لأنه المقصود، واقحمت بينهما (هاء التنبيه) تأكيداً وتعويضاً لأي من الاضافة، وانما قال (ربكم) تنبيهاً على ان الموجب القريب

للعادة التربية، ولذة النداء والخطاب أزال مشقة التكليف ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة
للتعظيم والتعليل ﴿وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من
فاعل (اعبدوا) أي: راجين وصولكم إلى التقوى التي هي أعلى مراتب العادة، وعن
مفعول خلقكم وما عطف عليه، أي: خلقكم ومن قبلكم في صورة المرجومنه
التقوى لإجماع أسبابها ودواعيها، وغلب المخاطب على الغائب والمراد الجميع
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، مطا
لحرثكم ودفن موتاكم، لا شديدة الحر فتحرقكم، ولا شديدة البرد فتجمدكم، ولا
شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة التتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين
كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم، في دوركم وأبنيتكم وقبور
موتاكم ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفاً محفوظاً يدير فيها كواكبها لمنافعكم ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ﴾ أي: السحاب أومما فوقه إليه ومنه إلى الأرض ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ﴾ بان جعله سبباً في خروجها، او مادة لها كماء الفحل للولد مع قدرته على
إنشاء الأشياء كلها بلا أسباب ومواد، كما انشأ الأسباب والمواد ولكن ذلك لحكم
كثيرة، و(من) للتبعيض و(رزقاً) مفعول له و(لكم) صفة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾
أشباهاً وأمثالاً فهي معطوف على (اعبدوا) أونفي منصوب بإضمار (أن) جواباً له
﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم، ولا على مثل أفعاله، فالجملة
حال من فاعل (تجعلوا)، ومفعول (تعلمون) متروك، أي: والحال انكم من أهل العلم
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ حتى جحدتم نبوته والقرآن الذي أتى به
﴿فَاتَّوَا بِسُورَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ والضمير ل(ما) و(من) للتبعيض أوللتبين أوزائده،

أي مماثلة للقرآن في البيان وحسن النظم والبلاغة، اولعبدنا و(من) للابتداء أي: ممن على حاله لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء، أوصلة (فأتوا) والضمير لعبدنا ويرجع الاول بمطابقته ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ وبأن الحديث فيه لا في المنزل عليه ﴿ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ متعلق ب(ادعوا) أي: ادعوا إلى المعارضة كل من حضركم غير الله لأنه القادر على الإتيان بمثله، اودعوا من دون الله من يشهدون بصدقكم، أي: لا تستشهدوا بآياته كما يفعله العاجز عن البيّنة، أوشهدائكم، أي: ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله، وزعتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة ليعينوكم في المعارضة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بأن محمداً (ص) يقوله من تلقاء نفسه ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ وتأتوا بمثله ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ولا يكون هذا منكم أبداً اعتراض واخبار بالغيب ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا ﴾ حطبها ﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ حجارة الكبريت لأنها أشد الأشياء حراً، أو الأصنام التي نحتوها كما في (إِنْ كُنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)^(١) عذبوا بها محمداً على خلاف ما أملوا زيادة في إيلاهم كما عذب الكافرون بما كفروا، وجيء بـ (إِنْ) التي للشك مكان (إذا) التي للوجوب تهكماً بهم، وعبر عن الإتيان بالفعل الأعم منه إيجازاً، وتعريف النار للعهد إذ سمعوا في سورة التحريم (ناراً وقودها الناس والحجارة)^(٢) ﴿ أُعِدَّتْ ﴾ هيئت ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فهي الآن مخلوقة - كما تواترت به الاخبار - والجملة إستيناف احوال من النار بتقدير (قد).

(١) سورة الانبياء الآية ٩٨.

(٢) سورة التحريم الآية ٦.

[سورة البقرة الآية ٢٥ - ٢٩]

وَنَشَرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي
رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ
كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه إشارة إلى ان السبب في استحقاق الجنات الجمع بين الأمرين ﴿أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمعت وتكررت لاشتغالها على جنان كثيرة متنوعة على مراتب متفاوتة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت أشجارها النابتة على الشواطئ، واللام للجنس أو العهد في قوله: (فيها أنهار من ماء) ^(١) ﴿كُلُّمَا﴾ نَصَبَ ظَرْفًا ﴿رَزَقُوا مِنْهَا﴾ من تلك الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ مفعول ثان ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا فأسماءه كاسمائه، لكنه في غاية اللطافة والطيب واللذة غير مستحيل إلى ما تستحيل إليه ثمار الدنيا ﴿وَأَتُوا بِهِ﴾ أي بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً بأنها كلها خيار، وبأنها متفقات الألوان مختلفات الطعوم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أبداناً وأخلاقاً من انواع الأقدار والمكارة، وإفراد الصفة على تأويل الجماعة ولم يقل: طاهرة، لأن مطهرة أبلغ، وإشعاراً بأن مطهرهن هو الله، والزوج يقال للذكر والأنثى ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون وبهذا الوعد تمت النعمة لازالة ما ينقصها من خوف الانقطاع، وروي ان آية: (وبشر الذين آمنوا) نزلت في علي وجعفر وحزمة وعبيدة بن الحارث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ للحق يوضحه لعبادة المؤمنين، ومحل (ان يضرب) النصب بـ (يستحيي) أو بنزع الخافض ﴿مَا﴾ أي مثل كان، فهي إبهامية تزيد النكرة إبهاماً كـ (اعتق عبداً ما) أي عبد كان، أوزائدة للتأكيد كما في (فَبِمَا رَحْمَةٍ) ﴿بِعُوضَةٍ﴾ عطف بيان، أو مفعول (يضرب) و (مثلاً) حال عنه مقدمة لتذكيره، أوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل،

ويطلق غالباً على صغار البق^(١) ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على (بعوضة) أي: ما زاد عليها في القلّة والحقارة كجناحها، ضرب به مثلاً للدنيا، أوفي الحجم كالذباب والعنكبوت ونحوهما، ونزلت الآية رداً على الطاعنين في ضربه - تعالى - الأمثال في كتابه بالذباب والعنكبوت ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثل المضروب ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي أراد به الحق وإبانته ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ لم يقل: فلا يعلمون، ليطابق قرينه للدلالة قولهم على كمال جهلهم، فكنى به عنه ليكون كالبرهان عليه ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ (ما) استفهامية و(ذا) بمعنى الذي، وتاليه صلتة، والمجموع خبر (ما) أو (ماذا) اسم واحد بمعنى: أي شيء، ومحلّه النصب بـ(أراد) و(مثلاً) تمييز حال ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ أي يقول الذين كفروا لا معنى للمثل لأنه - وإن نفع به من يهديه - فهو يضرّ به من يضلّ به، فردّ الله عليهم بقوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن دين الله كذا في تفسير الإمام، وقيل أنّه جواب (ماذا) أي إضلال كثير وإهداء كثير بإنكاره وقبوله، ووضع الفعل موضع المصدر لإرادة الحدوث والتجدد وكثرة القبيلتين حقيقة لا بالقياس إلى مقابليهم، فإن المهتدين قليلون بالنظر إلى أهل الضلال كما قال تعالى: (وقليل من عبادي الشكور)^(٢) وإن كانت اضافية فكثرة الضالين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف، كما قيل:

(١) راجع (لسان العرب) لابن منظور . مادة (بعض).

(٢) سورة سبأ الآية ١٣.

قليل إذا عدوا كثيراً إذا شدوا^(١)

واسناد الإضلال إليه تعالى لأنه السبب ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم لله بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة ولأخيه بالإمامة ولشييعتهما بالمحبة، وقيل: هو ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد وصدق الرسل، وقيل: هو المأخوذ بالرسل على الخلق بأنهم إذا بعث إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدقوه، وقيل عهوده - تعالى - ثلاثة: عهد أخذه على جميع ذرية آدم بالإقرار بربوبيته، وعهد أخذه على النبيين بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، وعهد أخذه على العلماء بتبيين الحق وعدم كتمه ﴿مَنْ بَغَدَ مِيثَاقَهُ﴾ أحكامه. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقربات، أو كل قطعة وتفرقة لا يرضاها الله، مما فيه رفض خير أو تعاطي شر ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه، أو بالدعاء إلى الكفر، أو قطع الطريق، أو نقض العهد. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لما صاروا إلى النيران وحرموا الجنان، أو لاستبدالهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الخطاب لكفار قريش واليهود إنكاراً لكفرهم، وتوبيخاً لهم عليه، مع علمهم بحال تقتضي خلاف ذلك ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم، أو كنتم عناصر وأغذية وأخلاطاً ونظفاً وما يتعقبها إلى ولوج الأرواح ﴿فَأَحْيَاكُم﴾

(١) هذا عجز بيت لأبي الطيب المتنبى من قصيدة يمدح فيها محمد بن يسار التميمي، يقول في أولها:

أقل فمالي بله أكثر مجد وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

وأصل البيت هكذا:

تقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كبير إذا شدوا قليل إذا دعوا.

راجع: شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقي ج ١ ص ٣٨٦.

بنفخ الأرواح فيكم، وعطف بالفاء لتعقبه الموت بلا تراخ والبواقي بـ (ثم) للتراخي ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُخْيِيكُم﴾ في القيامة، أوفي القبور للسؤال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد النشور للجزاء، أوتبعثون من قبوركم للحساب، فلا (واو) وكنتم للحال، والحال هي العلم بجملة القصة لا كل جملة منها لمضي بعضها، وإستقبال بعضها، وكلاهما لا يصح حالاً، والمعنى: على أي حال تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأسرها، وفيه إشارة إلى أن القادر على الأحياء الأول أولى بالقدرة على الثاني. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ لتعبروا به وتتوصلوا إلى رضوانه وتتوقوا من عذاب نيرانه فـ (اللام) للارتفاع، ويفيد إباحة الأشياء النافعة وأنه تعالى يفعل لغرض (الأرض) داخلة فيما في الأرض إن أريد بها جهة السفلى، كالسماوات لجهة العلو، وإلا فلا (جميعاً) حال من (ما) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أخذ في خلقها وإتقانها، أوقصد إليها، أواستولى، وفيه دلالة على تقدم خلق الأرض على السماء كما في قوله في السجدة (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين)^(١) إلى قوله: (ثم استوى إلى السماء) وقيل: بالعكس لقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها)^(٢) أي: بعد رفع سمك السماء، وجمع بينهما بأن (ثم) لتفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على خلق الأرض، أوالخلق في الآيتين بمعنى: التقدير، أو أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ودحوها مؤخر عنه ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ عدلهن مصونة عن العوج والفطور. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ بدل أو مفسر ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ علم المصالح فخلق لكم ما فيه صلاحكم.

(١) سورة فصلت الآية ٩.

(٢) سورة النازعات الآية ٣٠.

[سورة البقرة الآية ٣٠-٣٧]

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِهٰذَا ۖ إِنَّا نَسْمَعُ وَأَنبِئُكَ أَنْتَ أَعْلَمُ الْغٰثِ وَالنَّاسِطِ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُكَ الْمَلٰٓئِكَةُ بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذْ مِمَّا يَكُونُ لَكُمْ رَعْدًا مِّمَّا تُشِئُونَ وَلَهُ الْفَلَاحُ وَالشَّرَافُ ۚ أَلَمْ تَكُنْ أَتَقَرَّبُ إِلَيْنَا لِنَخْلُقَكَ ۖ فَلَمْ أَهْبِطُ إِلَيْكَ ۚ فَلَمَّا أَهْبَطُوكَ إِلَى الْأَرْضِ فَطَرْنَا مِنْهَا إِنسًا وَعَجْلًا ۚ أَتَعْجَبُونَ ۚ وَلَقَدْ جَاءُوكَ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُم أَهْلٌ بِهٖ غَفْلًا ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ جَاءُوكَ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُم أَهْلٌ بِهٖ غَفْلًا ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ جَاءُوكَ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُم أَهْلٌ بِهٖ غَفْلًا ﴿٣٧﴾

لِبَعْضِ عَدُوٍّ وَلَكُم فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦٦﴾ فَتَلَقَّىٰ

ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ الذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجن لإفسادهم فيها، (و) إذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية يقع فيه أخرى نصب محلاً بإضمار (اذكر) أي: اذكر الحادث إذ قال، فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه أوب (قالوا) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ نائباً عني، يكون حجة لي في أرضي على خلقي ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعلته الجن والنسناس ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي: حال كوننا متلبسين به، فتترهك عما لا يليق بك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نظهر أرضك ممن يعصيك، فاجعل ذلك الخليفة منا، أونظهر نفوسنا عن المعاصي لأجلك، أونترهك عن السوء و (اللام) زائدة. ﴿قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصلاح الكائن فيه، ومن الكفر الباطن ممن دخل فيكم وهو إبليس ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماء المخلوقات، وقيل أريد أسماء الله الحسنى التي بها خلقت المخلوقات وبتعليمها كلها إياه، خلقه من أجزاء متباينة وقوى مختلفة ليستعد لإدراك أنواع المدركات، فيتأتى له بمعرفتها مظهريته لأسماء الله الحسنى كلها، وجامعيته جميع كمالات الوجود اللاتقة به ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الضمير للمسميات والمدلول عليها بالأسماء، إذ التقدير: أسماء المسميات، والتذكير لتغليب ما فيها من العقلاء ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المعروضات، أوبحقائقها التي هي أسماء الله التي بها خلقت هذه الأشباح التي هي مظاهرها

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنكم أحق بالخلافة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إقرار بالقصور، وإيدان بأن سؤالهم كان استعلاماً لا اعتراضاً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء بلا تعليم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المصيب في كل فعل ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم، ليعرفوا جامعيتك لها، وقدرة الله على الجمع بين الصفات المتباينة في مخلوق واحد ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سرهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من ردكم علي ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من انه لا يأتي أفضل منكم، وفي الآية دلالة على شرف الإنسان والعلم وفضله على العبادة، وتوقف الخلافة عليه، وإن آدم أفضل من الملائكة لأنه اعلم منهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ لما في صلبه من نور محمد (ص) وأهل بيته (ع)، وهذا السجود كان لهم تعظيماً وإكراماً، ولله سبحانه عبودية، ولآدم طاعة وقيل جعل قبله لهم تعظيماً لشأنه، وفيه دلالة على ان الأنبياء أفضل من الملائكة ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ انما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم، أو أنه دخل تغليياً، أو ان الجن كانوا مأمورين معهم، فاستغنى بذكر الأكابر عن الأصاغر، لقوله تعالى: (الْإِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) فالقول بأنه من الملائكة باطل، إلا أن يقال أن جنساً من الملائكة سمووا بالجن لاجتنانهم واستتارهم، بشهادة (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) لقولهم: الملائكة بنات الله ﴿أَبَى﴾ امتنع عما أمر به ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ ترفع، وانما يستعمل الاستكبار حيث لا استحقاق بخلاف التكبر ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: صار منهم بذلك، أو كان ذلك كامناً فيه ثم ظهر ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ حواء، ولم يخاطبها أولاً إشعاراً بأنه المقصود وهي تبع ﴿الْجَنَّةَ﴾ المعهودة، وهي دار الثواب إذ لا معهود غيرها وروي: أنها من جنان الدنيا، فالهبوط معنوي، أو انتقال كـ (اهبطوا مصرأ) ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾

رَغَدًا ﴿وَاسْعًا﴾ بلا تعب ﴿حَيْثُ شِئْنَا﴾ أي مكان منها شئنا ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بالأكل منها، قيل: انه نهى تنزيه لا تحريم، فكانا بالأكل منها تاركين فضلاً لعصمة الأنبياء وهي الحنطة، أو الكرمة أو التينة، وروي: انها شجرة علم محمد وآل محمد يلتمسان بالأكل منها درجاتهم فإنها لهم خاصة، وكانت شجرة تحمل أنواع الفواكه والأطعمة ولذلك اختلف الحاكون بذكرها وهي شجرة من تناول منها باذن الله علم علم الأولين والآخرين من غير تعلم، ومن تناول بغير إذن الله منها خاب من مراده وعصى ربه ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ حملهما على الزلة بسبب الشجرة، أو أزالهما عن الجنة، أي: اذهبهما، ويؤيده قراءة حمزة (فأزالهما) وهما من الزوال، لكن مع عشرة في الاول، وإزاله لهما بوسوسته ودعائه إياهما إلى الأكل منها، ومقاسمته لهما أنه ناصح، واختلف في كيفية توصله إلى ذلك - بعد ان قيل له اخرج منها - فقيل: انه انما منع الدخول تكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنعه للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء، وقيل: وقف عند الباب فكلمهما، وقيل: دخل في فم الحية فدخلت به وقيل كلمهما من الأرض ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة ﴿وَقُلْنَا﴾ يا آدم ويا حواء ويا إبليس ويا حية (اهبطوا) من الجنة، أو هبوطاً معنوياً ﴿بَغْضُكُمُ لِبَغْضِ عَدُوِّ﴾ آدم وحواء وولدهما عدو للحية وإبليس، وإبليس والحية وأولادهما أعداؤهم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزل ومقر للمعاش ﴿وَمَتَاعٌ﴾ منفعة ﴿إِلَى حِينٍ﴾ الموت والقيامة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ونصب ابن كثير (آدم) ورفع (كلمات)، على معنى تداركته، وقد تضافرت الروايات، بان الكلمات هي: التوسل بمحمد (ص) وآله (ع) الطاهرين، وقيل: هي (ربنا ظلمنا

أنفسنا إلخ) ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ القابل للتوبات، أو الكثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالتائبين، واقرانه بالتوَّاب وعد للتائب بالإحسان مع العفو.

[سورة البقرة الآيات ٣٨ - ٥٣]

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ
فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا

نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا
يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنَ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ
فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا
مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا
مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ كرر تأكيداً أولاً لاختلاف الحالين، إذ الأول هبوط قرن
بالتعادي، والثاني هبوط للتكليف، أو الأول مطلق الهبوط، والثاني إن لا يتقدم أحدهم
الآخر، وقيل: الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
مِّنِّي هُدًى ﴾ (ما) زائدة تؤكد (إن) الشرطية ليحسن تأكيد الفعل وإن لم تتضمن طلباً،
وجواب الشرط جملة (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) ﴿ فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ حين يخاف الكافرون ﴿ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ﴾ حين الموت، أي: إن

يأتكم منى هدى برسول أو كتاب فمن تبعه منكم نجا وفاز، وأتى بحرف الشك وإتيان الهدى كإين قطعاً إيداناً باقتضاء العقل وجوب الإيمان بالله وان لم يأت به رسول، ولم يضم الهدى الثاني - مع تقدمه - لأنه اعم من الاول لشموله النقلي والعقلي، أي: فمن تبع ما أتاه وما اقتضاه العقل فلا يلحقهم خوف فضلاً عن المخوف، ولا يفوتهم محبوب فيحزنوا عليه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ودلالاتنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (والذين) مبتدأ و (أولئك) بدل منه و (أصحاب)، خبره أو خبر (أولئك) والجملة خبره وما بعدها مقرر لها ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال الصادق (ع): (يعقوب) إسرائيل ومعنى إسرائيل عبد الله لأن (إسرا) هو عبد و (إيل) هو الله ، وفي آخر: (إسراء القوة) أي: قوة الله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ من بعث محمد (ص) في مدينتكم، وإيضاح دلائل صدقه، وعلى إباتكم من انجائهم من فرعون والفرق وغير ذلك ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ إليكم بالإيمان والطاعة، أوالذي أخذته عليكم بلسان انبيائكم واسلافكم لتؤمنن بمحمد (ص) ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم من حسن الثواب، أضيف إلى المفعول والاول إلى الفاعل، وقيل: كلاهما مضاف إلى المفعول، أي: أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان أوف بما عاهدتكم من الثواب ﴿وَأَيَّاءَ فَارِهُتُونَ﴾ في نقض العهد، و (اياء) نصب بمضمر يفسره المذكور، وهو أكد في إفادة التخصيص من (اياء ارهبوا) وفي الآية وعد ووعد، وإيجاب الشكر والوفاء بالعهد، والخوف من الله وحده ﴿وَأَمِنُوا بِمَا آتَيْنَا﴾ على محمد (ص) من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتب الإلهية ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أخبر به عن الجمع بتقدير فريق، أو: لا يكن كل واحد منكم أول كافر به، قيل: ونهيه عن سبق الكفر وقد سبقهم مشركو قريش أريد به

التعريض بان الواجب ان يكونوا أول من يؤمن به، لمعرفتهم ببعثه وتبشيرهم بمن اوحى إليه، واستفتاحهم به، أو أول كافر به من أهل الكتاب، أو ممن كفر بما معه لكفره بصدقه فضمير به لـ (ما) ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ﴾ بتحريف آيات من التوراة فيها ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا، ولا تستبدلوا بالإيمان بالآيات الرياسة والرشا والكتمان ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ في كتمان أمر محمد (ص)، أو اتباع الحق ومجانبة غيره ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ لا تخلطوه به، قالوا نعلم ان محمداً (ص) النبي ولكن لست أنت ذاك ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ من نبوته ونعته في التوراة ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ انكم كاتمون لابسون، والجملة حالية وهو أقبح إذ لا عذر للعالم ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ صلاة المسلمين وزكاتهم فالكفار مخاطبون بالفروع كالأصول ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ صلّوا في جماعتهم، عبّر عن الصلاة بالركوع لخلوص الصلاة اليهود عنه أو أريد به الخضوع والانقياد للحق ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ تتركونها ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قبح ذلك، قيل: نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم كانوا يأمرّون سرّاً من نصحوه باتباع محمد (ص) ولا يتبعونه، أو بالصدقة ولا يتصدقون، وتعمّ كل من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره، وفيها حث الواعظ على تكميل نفسه وتقويمها حتى يقوم غيره، لا منع الفاسق عن الوعظ ﴿ وَاسْتَعِينُوا ﴾ على البر، أو على مشقة ما كلفتموه من اتباع الحق ورفض الجاه والمال. ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ عن المعاصي، أو بكفّ أنفسكم عن هواها، وروي: الصيام ﴿ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا ﴾ أي: ﴿ الصَّلَاةُ لَكَبِيرَةٌ ﴾ عظيمة شاقة ثقيلة ﴿ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ الخائفين عقاب الله

ومخالفته ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ يوقنون انهم يعيشون ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يتوقعون لقاء ثوابه والحشر إليه فيجازيهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ فضلت أسلافكم، عطف على (نعمتي) أي: وتفضيلي آباءكم قبل التغير ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، الذين خالفوا طريقتهم بالإيمان والعلم، وجعل الأنبياء فيهم، وإنزال الكتب عليهم ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ وقت النزاع، أو القيامة مفعول به أي عذابه ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تدفع عنها عذاباً قد استحقته ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ بتأخير الموت مأخوذ من الشفع، كأن المشفوع له الفرد صار شفعاً بضم الشفع نفسه إليه ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء بان يمات ويترك، وإن أريد الشفاعة في الآخرة، فالآية مخصوصة باليهود لثبوت الشفاعة للنبي والائمة بل المؤمنين ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ في دفع الموت والعذاب ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ واذكروا إذ نجينا أسلافكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وأصل (آل) اهل إذ تصغيره بـ(اهيل)^(١) وخص باولي الخطر، و(فرعون) لقب لملك العمالة كقيصر وكسرى لملكي الروم والفرس، وفرعون هذا: مصعب بن الريان، أوابنه وليد، وفرعون يوسف ريان، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ يعذبونكم، أويولونكم من سامه خسفاً أي: أولاه ذلاً ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شديدة ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ لما قيل لفرعون انه (يولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده هلاكك) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يبقونهن ويتخذونهن إماء ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ أي: صنعهم، أو الإنجاء أو كليهما ﴿بَلَاءٌ﴾ نعمة، أو اختبار بمحنة أو نعمة أو بهما ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴿جَعَلْنَا مَاءَهُ يَنْقُطُ﴾ بعضاً من بعض حتى صارت فيه مسالك

(١) نص على ذلك صاحب (لسان العرب) في مادة (اول).

بسلوككم فيه، أوسيبكم، أومتلبسا بكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ هناك ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هو وقومه، واقتصر عليهم للعلم بأولويته به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إليهم وهم يغرقون، أو ينظر بعضكم بعضاً، أو تنظرون فرق البحر، وروي: (انه - تعالى - أمر موسى ان يسري ببني إسرائيل، فأتبعهم فرعون وجنوده فصبحوهم على شاطي البحر، فأوحى إليه: ان اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق عن اثني عشر طريقاً يابساً بعدد الأسباط، فسلكوها فقالوا: يا موسى نخشى ان يغرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله لهم كواء، فترأوا حتى عبروا البحر، ولما وصل إليه فرعون ورأى انفلاقه اقتحم هو وجنوده، فالتطم عليهم، فغرقوا جميعاً، قيل: وهذه من أجل النعم على بني إسرائيل، وأبهر الآيات الدالة على وجود الصانع وصدق موسى (ع)، ولما كان في قومه من البلادة ما لا يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفية، اقتضت الحكمة نصب الآيات الباهرة لهم بحسب حالهم، الا ترى انهم لما عبروا ورأوا عبدة الأصنام قالوا- بعد ما شاهدوا من الآيات -: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، واتخاذهم العجل، وطلبهم الرؤية، وامة نينا (ص) لما كانوا من الذكاء بحيث يمكنهم الاستدلال بالمعجزات النظرية الدقيقة، حتى قال بعض علمائنا: لولم أشاهد من النبي (ص) الا قوله «خير الأمور أوسطها» لآمنت، به جاءت آياتهم مشاكلة لما فيهم من الذكاء ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وعده بعد هلاك فرعون ان يعطيه التوراة بعد ثلاثين ليلة، فلما تمت استاك^(١) فذهب طيب فمه، فأتته بعشر، وعبر بالليالي لأنها غرر الشهور، وقرأ ابن كثير ونافع

وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (واعدنا) لأنه - تعالى - وعده الوحي ووعدده موسى المجيء للميقات إلى الطور ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بأشراككم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ عن اوائلكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ فرّق بين الحق والباطل، والمحق والمبطل، أو التوراة الجامع بين كونه كتاباً وفارقاً بينهما ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا بما فيه .

[سورة البقرة الآيات ٥٤ - ٦١]

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
 فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾
 وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ^ط
 فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا^ط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ^ط
 كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
 وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ
 لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا^ط
 قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا
 فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ
 رَبِّ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ
 بَارِئِكُمْ﴾ ارجعوا إليه، والبارئ: الخالق للخلق برياً من التفاوت، ومميزاً بعضه عن

بعض بصور مختلفة ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقتل من لم يعبد العجل من عبده، وروي: ان الرجل كان يبصر ولده وقريه فلم يمكنه المضي لأمر الله - تعالى - فغشيهم ظلمة شديدة لا يتباصرون فيها، فاقتلوا من الغداة إلى المساء، حتى دعا موسى وهارون فانجلت الظلمة عن سبعين ألف قتيل، ونزل رفع القتل وقبول التوبة، وقيل: المراد ان يقتل كل رجل نفسه ويهلكها، وقيل: المراد قطع الشهوات والاستسلام للقتل على سبيل التوسع، وقيل أمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل، أو هو مع التوبة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من الحياة الفانية المتعقبة بالعذاب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم، وقبل استيفاء القتل لجماعتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ البليغ في الرحم والانعام ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ﴾ بانك نبي، أوبان الله كلمك واعطاك التوراة ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً، نصبت على المصدر لأنها نوع رؤية، أو على الحال من الفاعل، أو المفعول قيل: وللقائل السبعون الذين صعقوا، وقيل: عشرة آلاف ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بالتعنت وطلب المحال لأنه - تعالى - لا تدركه الأبصار، ولا ستلزامها الجسمية من المقابلة والجهة والاحاطة، قيل: جاءتهم نار من السماء فأحرقتهم، أو صيحة فماتوا يوماً وليلاً وكانت صعقة موسى غشية بدليل فلما أفاق ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى الصاعقة تنزل، أو إلى أسباب الموت ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بسبب الصاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحياة، أو نعمة البعث، وفيه حجة على صحة البعث والرجعة ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سخرنا لكم السحاب يستركم من الشمس لما كنتم في التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ الترنجيب

ينزل بالليل مثل الثلج فيأكلونه ﴿وَالسَّلَوى﴾ السمانى،^(١) يجيء بالعشاء مشوياً، فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم ﴿كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المباح اللذيذ فظلموا بكفرهم هذه النعم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما غيروا وبدلوا ما به أمروا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر إذ لا يتخطاهم ضرره ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ حين خرجوا من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ اركبا من بلاد الشام أوبيت المقدس ﴿فَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً نصب على المصدر، أوالحالية من الواو ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية أوبيت المقدس ﴿سُجِّدَا﴾ لله شكراً، أو منحنين متطامنين^(٢) ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ سجودنا حطة لذنوبنا وأمرك حطة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ البالغة، وقرأ نافع بالياء وابن عامر بها بصيغة المجهول ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ من لم يقارف الذنوب منكم ثواباً ﴿قَبْدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ روي: دخلوها بأستاهم، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوتها أحب إلينا من هذا الفعل والقول ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ عذاباً، وأقيم الظاهر مقام الضمير زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذاناً بأن عذابهم بظلمهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ قيل: هو الطاعون وروي مات منهم في بعض يوم مائة وعشرون ألفاً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب خروجهم عن طاعة الله ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ المعهود، روي: انه كان حجراً طورياً مربعاً حملة معه، وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في

(١) نوع من الطيور معروف.

(٢) أي: مطاطاي رؤسكم.

جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر إثني عشر ميلاً، وروي: أنه كان ذراعاً في ذراع، وروي: انه كان على شكل رأس الإنسان، والعصا كانت عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة، وعن الباقر (ع): «ثلاثة أحجار من الجنة: مقام ابراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود» ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي قبيلة اوسبط ﴿مَشْرِبَتُهُمْ﴾ ولا يزاحم الآخريين في مشربهم ﴿كُلُّوا واشْرَبُوا﴾ على ارادة القول ﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ من المن والسلوى والماء ﴿وَلَا تَغْتَوُوا﴾ لا تعتدوا ولا تطغوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ وإنما قيد به لأن منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم بفعله ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى، قيل أريد بالواحد أنه لا يتبدل - وإن تعدد - أوضرب واحد لأنهما معا طعام المتلذذين، وهم فلاحه نزعوا إلى ما ألفوه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا﴾ من بعض ما ﴿تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ من الخضر وأطاييه الذي يؤكل، و(من) للتبيين ﴿وَقَتَائِهَا وَقَوْمِهَا﴾ الحنطة أو الخبز أو الثوم، والاول مروي ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ الله تعالى، أو موسى (ع) ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أدون قدراً، وأصل الدنو: القرب في المكان، واستعير للخسة كالبعد للشرف ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي: المن والسلوى، فانه ألدّ وانفع، ومستغن عن الكدّ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ من الأمصار، وقيل أريد به العلم، وصرف لسكون وسطه ﴿فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الجزية والفقر، والزموهما لزوم المسمار للشيء المضروب عليه ﴿وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ﴾ رجعوا وعليهم الغضب واللعنة ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من فلق البحر، واطلال

الغمام، وإنزال المن والسلوى، وانفجار الحجر، أوبالإنجيل والقرآن، أوبما في التوراة من صفة محمد (ص) ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ﴾ أي: ويقتلهم الأنبياء كشعيب وزكريا ويحيى وغيرهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بلا جرم منهم إليهم، ولا إلى غيرهم ﴿ذَلِكَ﴾ كرر تأكيداً، أودلك الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: بسبب عصيانهم وإعتدائهم حدود الله.

[سورة البقرة الآيات ٦٢ - ٧٢]

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فجعلناها نكلاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا
خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؕ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ؕ فَافْعَلُوا مَا
 تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ؕ قَالَ إِنَّهُ
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آدَعُ
 لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
 لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا
 تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ؕ قَالُوا الْكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ ؕ
 فَذَنَّبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا
 وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بأفواههم، وهم المنافقون، أو مطلقاً ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يقال: هاد وتهود إذا دخل في اليهودية، و(يهود) إما عربي من (هاد) أي: تاب، سموا به لتوبتهم من عبادة العجل، أو معرب من (يهود بن يعقوب الأكبر) ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصران كسكران، وياء (نصراني) للمبالغة كياء (احمري) سموا به لنصرهم المسيح (ع) كما في: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) ^(١) أولكونهم معه في

قرية تسمى ناصرة ﴿وَالصَّابِّينَ﴾ الذين زعموا أنهم صبوا إلى دين الله وهم كاذبون،
وقيل: قوم بين اليهود والمجوس لا دين لهم، وقيل: دينهم يشبه دين النصارى
يزعمون انه دين نوح (ع)، وقيل: هم عبدة النجوم أو الملائكة ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم
ونزع عن كفره ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالمبدأ والمعاد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ﴾ على الإيمان والعمل الصالح ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ
يَخْزَنُونَ﴾ على فوت الثواب و﴿مَنْ﴾ مبتدأ خبره «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ»، والجملة خبر (ان)
أوبدل من أسم (ان) وخبرها (فلهم أجرهم) والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط ﴿وَ﴾
اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهودكم ان تعملوا بما في التوراة فأيتهم ذلك ﴿وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين قطعة على قدر معسكر
أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم ﴿خُذُوا مَا
آتَيْنَاكُمْ﴾ قال لهم موسى اما ان تأخذوا بما أمرتم به فيه، واما ان القي عليكم هذا
الجبل، فالحجثوا إلى قبوله كارهين الا من عصمه الله من الفساد ﴿بِقُوَّةٍ﴾ من قلوبكم
وأبدانكم، أوبجد وعزم ﴿وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من جزيل ثوابنا على قيامكم به وشديد
عقابنا على إبانكم، له أو احفظوه واعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتتقوا المخالفة، أولكي
تتقوا الذنوب، اورجاء منكم ان تكونوا متقين ﴿ثُمَّ تَوَكَّلْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء
بالميثاق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد أخذه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بامهالكم
للتوبة، أوبمحمد (ص) يهديكم للحق ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ باهلاككم انفسكم
بالمعاصي ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ حيث أمروا بتجريده
للعادة، ونهوا عن اصطياذ الحيتان فيه، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود (ع)

إذ كانت قريتهم على البحر ولم يبق فيه حوت الا اخرج خرطومه يوم السبت، فإذا مضى تفرقت، فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين من كل خير، أوجامعين بين القرذية والخسؤ وهو: الطرد، والمراد به (كونوا) سرعة التكوين لا الأمر ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: المسخة ﴿نَكَالاً﴾ عقوبة، أو عبرة تنكل المعتر بها أي: تمنعه ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما قبلها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من الأمم، أولمعاصريهم ومن بعدهم، أولأجل ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم أو كل متق سمعها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ حين قتل رجل منهم ابن عمه، ثم جاء به إلى موسى يدّعي على أناس انهم قتلوه وعن الصادق (ع): «قتله ابن عمه ليتزوج ابنته، وقد خطبها فردّه وزوجها غيره» ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ على المبالغة، أو مهزوء بنا، وسكنه حمزة وإسماعيل عن نافع مع الهمزة، وضمّه حفص مع الواو وضمّه الباقون مهموزاً ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ الهزء في هذا جهل فانسب إلى الله ما لم يقل لي ﴿قَالُوا اذْعُ كُنَّا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما صفتها؟ وما حالها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ ان الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ لا مسنة ﴿وَلَا بَكْرٌ﴾ ولا فنية ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وسط بين الفارض والبكر ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به ﴿قَالُوا اذْعُ كُنَّا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾ الفقوع شدة الصفرة، وروي: (حسنة الصفرة ليس بناقص ولا مشبع) ﴿تَسْرُّ النََّاظِرِينَ﴾ لحسنها، وفي الصادقي: (من لبس نعلأ صفراء لم يزل مسروراً حتى يبلها، كما قال - تعالى - (صفراء إلخ) ﴿قَالُوا اذْعُ كُنَّا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ تكرير للسؤال وزيادة توضيح ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ الموصوف بالتعوين والصفرة كثير ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا

وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١﴾ إِلَى الْبَقَرَةِ الْمَرَاد ذَبْحُهَا، أَوِ الْقَاتِل وَرَوِي: أَنَّهُمْ لَوْلَمْ يَسْتَشْنُوا
لَمَّا بَيَّنْتَ لَهُمْ أَبَدًا ﴿٢﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴿٣﴾
لَمْ تَذَلِّ لِلْكَرَابِ وَسَقَى الْحَرْثَ، وَلَا ذَلُولَ صِفَةُ بَقَرَةٍ، وَالْفَعْلَانِ صِفَتَانِ لِلذَّلُولِ، أَيِ:
لَا ذَلُولَ مَثِيرَةٌ وَسَاقِيَةٌ وَ(لَا) الثَّانِيَةُ تَأْكِيدٌ لِلأُولَى ﴿٤﴾ مُسَلِّمَةٌ ﴿٥﴾ لِعُيُوبِ كُلِّهَا أَوِ الْعَمَلِ
﴿٦﴾ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴿٧﴾ لَا لَوْنٍ فِيهَا مِنْ غَيْرِهَا، مِنْ وَشَاءَ وَشَيْءٌ وَشَيْءٌ إِذَا خَلَطَ بِلَوْنِهِ لَوْنًا آخَرَ
﴿٨﴾ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴿٩﴾ بِحَقِيقَةٍ وَصَفَهَا ﴿١٠﴾ فَذَبَّحُوهَا ﴿١١﴾ أَيِ: فَحَصَلُوا الْبَقَرَةَ
الْمَوْصُوفَةَ فَذَبَّحُوهَا ﴿١٢﴾ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ مِنْ عَظَمِ ثَمَنِهَا، أَوِ الْخَوْفِ الْفُضِيحَةِ فِي
ظُهُورِ الْقَاتِلِ، أَوِ لَغْلَاءِ ثَمَنِهَا قِيلَ: اشْتَرَوْهَا بِمَلءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا، وَكَانَتْ لَيْتِيمٌ وَكَانَتْ
الْبَقَرَةُ حِينَئِذٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ﴿١٤﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴿١٥﴾ خَوَّطَ الْجَمِيعُ لَوْجُودِ الْقَتْلِ فِيهِمْ
﴿١٦﴾ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴿١٧﴾ اخْتَلَفْتُمْ وَتَدَافَعْتُمْ فِي الْقَتِيلِ، وَاصِلُهُ (تَدَارَأْتُمْ) أَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي
الدَّالِ وَوَصَلَ بِالْهَمْزَةِ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴿١٩﴾ مَظْهَرٌ ﴿٢٠﴾ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ مِنْ خَبَرِ الْقَاتِلِ
وَارَادَةَ تَكْذِيبِ مُوسَى .

[سورة البقرة الآيات ٧٣ - ٨٣]

فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۖ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ
وَإِنْ لَمَّا مِنْهَا يَقْشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ

خَشْيَةَ اللَّهِ ۖ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ
 وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا
 عَقِلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
 خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
 الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا
 قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾
 وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتُخَذُتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا
 فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ
 مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ۖ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَآتُوا ثَمًّا تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ مُّعْرِضُونَ وَأَنْتُمْ

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ اضربوا المقتول بذنوب البقرة ليحيى ويخبر بقاتله، وقيل: بفخذها اليمنى، وقيل بلسانها، وقيل: باذنها فضربوه فحيى ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ في الدنيا والآخرة، والخطاب لحاضري الأحياء أو النزول، وروي: (انهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دمًا وقال: قتلني فلان ابن عمي ثم قبض) ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ دلائل قدرته ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تعملوا بمقتضى عقلكم، وتعلموا أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء الكل ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ معشر اليهود ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ بعد ما تبينت الآيات الباهرات، أوبعد ذلك الأحياء ﴿ فَهِيَ ﴾ في قساوتها ﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ولم يقل أقسى، لأن (شد) أبلغ ولوصف القسوة بالشدّة وزيادة المفضل فيها، و(أو) للتخيير، أو أن من عرفها شبهها بالحجارة أوبما هو أقسى منها، أو أنه أبهم أولا للترديد، ثم بين أن قلوبهم أقسى من الحجارة ﴿ وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ بيان للتفضيل ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ وهوما يقطر منه الماء دون الأنهار ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه، أو إشارة إلى تعالى (كوانزلنا هذا القرآن على

جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٧٣﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ وعيد، وقرأ ابن كثير ونافع بالتاء ﴿٧٥﴾ أَفَتَطْمَعُونَ ﴿٧٦﴾ الخطاب للرسول والمؤمنين ﴿٧٧﴾ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴿٧٨﴾ يصدقكم اليهود بقلوبهم ﴿٧٩﴾ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴿٨٠﴾ طائفة من أسلافهم ﴿٨١﴾ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴿٨٢﴾ في اصل جبل طور سيناء ﴿٨٣﴾ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴿٨٤﴾ إذا ادّوه إلى من وراءهم ﴿٨٥﴾ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴿٨٦﴾ فهموه بعقولهم ﴿٨٧﴾ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ أنهم مبطلون ﴿٨٩﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا ﴿٩٠﴾ أي: منافقوهم ﴿٩١﴾ آمَنَّا ﴿٩٢﴾ بأنكم على الحق، وأن محمداً (ص) هو المبشر به في التوراة ﴿٩٣﴾ وَإِذَا خَلَا بِغَضِّهِمْ إِلَى بُغْضٍ قَالُوا ﴿٩٤﴾ أي: الذين لم ينافقوا عائبين على المنافقين ﴿٩٥﴾ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿٩٦﴾ بينه لكم في التوراة من صفة محمد (ص)، أو من دلائل نبوة محمد (ص) ﴿٩٧﴾ لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿٩٨﴾ بأنكم قد علمتم هذا فلم تؤمنوا به، أوليحتجوا عليكم بما في كتاب ربكم، يقال: (عند الله كذا) أي: في كتابه ﴿٩٩﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ أن الذي تخبرون به حجة عليكم عند ربكم فيكون تمة اللوم، أو أفلا تعقلون انهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في ذلك ﴿١٠١﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ القائلون لإخوانهم أ تحدثونهم ﴿١٠٣﴾ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٠٤﴾ جميعه، ومنه إسرارهم الكفر وإعلانهم ﴿١٠٥﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴿١٠٦﴾ لا يقرأون ولا يكتبون ﴿١٠٧﴾ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴿١٠٨﴾ التوراة ﴿١٠٩﴾ إِلَّا أَمَانِيٌّ ﴿١١٠﴾ في تفسير الإمام: إلا أن يقرأ عليهم، ويقال: هذا كتاب الله لا يعرفون ان ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه، وقيل: منقطع أي: لكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً عن المحرفين من ان الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً، والنار لا تمسهم إلا أياماً معدودة وغير ذلك ﴿١١١﴾ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١١٢﴾ لا علم لهم، ويدل على منع التقليد ﴿١١٣﴾ فَوَيْلٌ ﴿١١٤﴾ شدة من العذاب في أسوأ بقاع جهنم، وابتدأ به نكرة لأنه دعاء ﴿١١٥﴾ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿١١٦﴾ يحرفون من

أحكام التوراة ﴿ ثُمَّ قُولُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من أعراض الدنيا الفانية - وإن جلّ - ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من المُحَرَّف ﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المعاصي والرشا ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ قلائل أربعين يوماً، أيام عبادة العجل ﴿ قُلْ أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ أن عذابكم على كفركم منقطع، أو أنه لا يعذبكم إلا هذه المدة، وأظهر الذال ابن كثير وحفص وأدغمه الباقون ﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ متعلق بمحذوف أي: أن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بل أنتم في أيهما ادعيتم كاذبون. ﴿ بَلَى ﴾ ردّ عليهم ﴿ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ أي: الشرك ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ بأن تحيط بأعماله فتبطلها، وتخرجه من جملة دين الله ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ شَفَعَ - تعالى - الوعد بالوعيد ليرجي ثوابه ويخشى عقابه ﴾ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ﴿ عهدهم المؤكد عليهم ﴾ لا تعبدون ﴿ أي: أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ ﴿ إِلَّا اللَّهَ ﴾ خبر بمعنى النهي، وهو أبلغ من صريحه لإيهامه المسارعة إلى الانتهاء فهو يخبر عنه، ويؤيده قراءة (لا تعبدوا) وعطف (قولوا) عليه، وقرأ نافع وابن عامر وابوعمر ووعاصم بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لغيبتهم ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وأن تحسنوا، أو أحسنوا لهما إحساناً ﴿ وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾ من سكن الضر والفقر حركته ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ ﴾ مؤمنهم ومخالفهم ﴿ حُسْنًا ﴾ عاملوهم بخلق جميل، وصف بالمصدر مبالغة، وفتح حمزة والكسائي أي: قولاً حسناً ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الوفاء بالعهود التفات،

أَوْخَاطَابَ لِلْمُؤَدِّينَ مِنْهُمْ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ وَسَلَفِهِمْ عَلَى التَّغْلِيبِ ﴿٨٤﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ ﴿٨٥﴾
مَنْ أَسْلَمَ ﴿٨٦﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٧﴾ عَنِ الْعَهْدِ تَارِكِينَ لَهُ.

[سورة البقرة الآيات ٨٤ - ٨٨]

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴿٨٥﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴿٨٧﴾ فَلَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴿٨٩﴾ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٩٠﴾ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ

فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ لا يريق بعضكم دم بعض
 ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً، وجعل غير الرجل
 نفسه لاتصاله به أصلاً أوديناً، أولاً يجب القتل القصاص، أو المعنى: لا تفعلوا ما يبيح
 قتلكم وإخراجكم من دياركم ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك الميثاق، كما أقر به أسلافكم
 ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك، أو على أنفسكم فيكون تأكيداً ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾
 الناقضون، إستبعاد لما فعلوه بعد الميثاق والإقرار به والاشهاد عليه، و (أنتم) مبتدأ
 خبره (هؤلاء) أي: وأنتم بعد ذلك هؤلاء الناكثون، نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
 ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾
 تظاهرون عليهم ﴿يَعَاوَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عَلَى الْإِخْرَاجِ﴾ والفعل حال من فاعل
 (تخرجون)، أو مفعوله، أو منهما، وحذف عاصم والكسائي إحدى التائين وأدغمها
 الباقيون بالظاء ﴿بِالْإِثْمِ﴾ القبيح المستحق به اللوم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الإفراط في الظلم
 ﴿وَإِنْ يَأْتُواكُمْ﴾ الذين ترومون إخراجهم وقتلهم ﴿أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ﴾ منهم
 بأموالكم، روي: (ان قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضر حلفاء الخزرج، وكان كل
 فريق يعاون حلفاءه في القتال، وإذا أسر رجل من الفريقين فدوه، ف قيل لهم: كيف
 تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فيقولون: أمرنا أن نفديهم ونهينا عن قتالهم، وكلنا نستحي ان
 نذل حلفاءنا)، وقرأ حمزة (أسرى) جمع (أسير) و (أسارى) جمعه كسكاري، وقرأ

ابن كثير وابوعمر ووحمة وابن عامر تفدوهم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الضمير للشأن،
أومبهم يفسره: ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ أولمصدر (تخرجون) وأعاد (إخراجهم) للتأكيد،
أولثلا يتوهم أن المحرم هو المفادة ﴿أَفْتَوِمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ الذي أوجب
المفادة ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ الذي حرم القتل والإخراج ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو ضرب الجزية، أو قتل قريظة وأسره وإجلاء
النظر ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وعن عاصم (تردون على الخطاب)
﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تأكيد للوعيد، وقرأ ابن كثير ونافع وأبوبكر بالياء
والضمير لمن ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ابتاعوا حظوظ الدنيا
بنعيم الآخرة ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ بنقص الجزية في الدنيا والعقوبة في
الآخرة. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بالدفع عنهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة
﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (قفاه): أتبعه إياه، أي: أرسلنا على أثره الرسل
﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص والإخبار بالمغيبات، أو الإنجيل، و(عيسى) بالسريانية ايشوع معناه: المبارك،
ومريم بمعنى: العابدة، أو الخادم ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح
المقدسة أي: جبرئيل، أو روح عيسى، أو الإنجيل، أو الاسم الأعظم الذي يحيي به
الموتى وسكن ابن كثير القدس حيث وقع ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أيها اليهود
﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ بما لا تحبون، قيل: وسطت الهمزة بين الفاء وما
تعلقت به من إيتاء أنبيائهم ما أوتوا توبيخاً لهم وتعجيباً من حالهم، والفاء للعطف على
مقدّر ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان والاتباع ﴿فَقَرِيفاً كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى وعيسى
﴿وَفَرِيفاً تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر

في النفوس للفظاعة وللفاصلة، وأسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به ﴿وقالوا قلوبنا غُلْفٌ﴾ بضم اللام، أي: أوعية للخير والعلوم ومع ذلك لا تعرف لك فضلاً أوبسكونها، أي: في غطاء فلا نفهم حديثك من الأغلف الذي لم يختن، وكلا القراءتين حق وقد قالوا بهذا وبهذا ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من الخير ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ رد لقولهم، أي: انها خلقت على الفطرة متمكنة من قبول الحق، ولكن الله خذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهو إيمانهم ببعض الكتاب إيماناً قليلاً و(ما) مزيده، أو أريد بالقلة العدم.

[سورة البقرة الآيات ٨٩ - ٩٩]

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۚ

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
 مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي
 قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
 خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾
 وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾
 وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ
 أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ
 يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ
 فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى
 وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ من كتابهم وهو التوراة، وحذف جواب (لَمَّا) لدلالة جواب الثانية عليه ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أن يظهر محمد (ص) بالرسالة ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يسألون الله الفتح والنصر ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أعدائهم ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ من الحق ﴿ كَفَرُوا بِهِ ﴾ حسداً وطلباً للرياسة ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ أي: غضبه ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وأتى بالظاهر ليفيد أنهم لعنوا لكفرهم (اللام) للعهد، أو الجنس الشامل لهم ﴿ بِشِمَاءِ ﴾ (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل (بش) المستكن أي: بشس شيئاً ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ باعوها به صفة ما ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ على محمد (ص) من القرآن ﴿ بَغْيًا ﴾ لبغيهم وحسدهم ﴿ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ ويختار من عباده ﴿ فَبَاوُوا بِغَضَبِ عَلَى غَضَبٍ ﴾ الغضب الأول حين كذبوا بعبسى فجعلهم قردة، والثاني حين كذبوا بمحمد (ص) فسلط عليهم السيف ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ مذل لهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ على محمد (ص) من القرآن ﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ وهو التوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ ما سواه، حال من فاعل (قالوا) ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ الضمير لما وهو القرآن لأنه ناسخ ما قبله ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ حال مؤكدة، رد لمقالهم، إذ كفرهم بما يوافق التوراة كفر بها ﴿ قُلْ فَلِمَ كُنتُمْ تَقْتُلُونَ ﴾ أسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به ﴿ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة، فان

فيها تحريم قتلهم ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الآيات التسع ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ
 الْعِجْلَ ﴾ معبوداً ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ بعد مجيئه، أودها به إلى الطور ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾
 حال، أي: اتخذتموه ظالمين بعبادته، أو اعتراض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم
 ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد وعزم
 ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ ما يقال لكم ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ بأذاننا ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ بقلوبنا، أو سمعنا قولك
 وعصينا أمرك ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ تداخلها حبه كما يتداخل الثوب
 الصبغ، و(في قلوبهم) بيان لمكان الإشراب نحو(انما يأكلون في بطونهم نارا)^(١)
 ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ بسببه، لأنهم مجسمة ﴿ بِشَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ ﴾ بموسى والتوراة ان
 تكفروا بي، إذ ليس فيها عبادة العجل، والمخصوص محذوف، أي: هذا الأمر،
 أوقبائحهم المعدودة سابقاً، وإسناد الأمر إلى إيمانهم تهكم ك(صلاتك تأمرك) وكذا
 إضافة الإيمان إليهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة
 دعواهم، وكرر رفع الطور لما فيه من زيادة ليست مع الأولى وهي التنبيه على أن
 طريقهم مع الرسول طريق أسلافهم مع موسى (ع) ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾
 الجنة ونعيمها ﴿ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾ حال من الدار، أي: خاصة بكم كما قلتم:
 (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً)^(٢) ﴿ مِنْ دُونِ سَائِرِ النَّاسِ ﴾ (اللام) للجنس،
 أو العهد، أي: المسلمون ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ انكم المجاب دعاؤكم،
 لأن في التوراة: أن أولياء الله يتمنون الموت ولا يرهبون، ولأن من أيقن أن له الجنة
 إشتاقها وتمنى التخلص من دار الفناء إلى نعيمها الدائم، كما قال علي (ع): (لا أبالي

(١) سورة النساء الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١١١.

سقطت على الموت، أم سقط الموت عليّ ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾
بما أسلفوا من موجبات النار، كالكفر بمحمد (ص)، أو بالقرآن، وتحريف التوراة، وعبر
عن النفس باليد لأنها آلة للإنسان بها عامة صنائعه، والآية اخبار بالغيب، وعنه (ص):
(لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض
يهودي) ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ تهديد لهم ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾
ليأسهم من نعيم الآخرة ﴿ وَ ﴾ احرص ﴿ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ افردوا بالذكر
لشدة حرصهم، إذ لم يعرفوا إلا الحياة الدنيا، وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف صفته
﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ ويراد به (الذين أشركوا) اليهود لقولهم (عزيز بن الله)، أي: ومنهم
أناس يود أحدهم وهو - على الاول - إستيناف لبيان استيناف زيادة حرصهم
﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ حكاية لما ودّوا و(لَوْ) بمعنى ليت ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ التعمير ألف سنة
﴿ بِمُزَخَزَحِهِ ﴾ بمباعدته (مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ) ابدال التعمير عن الضمير لثلاثتهم
عوده إلى التمني، أو الضمير لأحدهم وان يعمر فاعل مزخزحه، أي: وما أحدهم
منحيه عن النار تعميره، أولمصدر يعمر وأن يعمر بدل منه او مبهم بيانه أن يعمر
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ عليم بأعمالهم ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ قالت
اليهود: لو كان الذي يأتيك ميكائيل آمنا به، فانه ملك الرحمة، وجبرئيل ملك العذاب
وهو عدونا، وقرأ حمزة والكسائي جِبْرِيلَ كسلسيل، وابن كثير بفتح الجيم وكسر
الراء بلا همز، وعاصم كحجرش والباقون كقنديل، ومنع صرفه للعجمة والتعريف،
ومعناه: عبد الله ﴿ فَإِنَّهُ ﴾ أي: جبرئيل ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ أي: القرآن وفي إضماره مع - عدم
ذكره - تفخيم لشأنه، كأنه لتعينه يدل على نفسه ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي: فهمك وحفظك،

ولم يقل: (على قلبي) لحكاية كلام الله كأنه قيل: قل ما تكلمت به ﴿يَا ذُنِ اللَّهِ﴾
 بامرہ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كتب الله ﴿وَهْدَىٰ وَيُشْرِىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ احوال من
 مفعوله وجزاء الشرط فأنه نزلہ أي: من عادى منهم جبرئيل فغير منصف، لأنه نزل
 كتاباً يصدق الكتب السابقة، فحذف الجزاء وأقيم علته مقامه، أو المعنى: من عاداه
 فبسبب انه نزل عليك ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخالفاً له، أو عدواً
 لأوليائه، وصدر بذكره تفخيماً لشأنهم ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ فيه تنبيه على تسوية
 معاداة أحدهم والجميع، وأفردا بالذكر لفضلهما، كأنهما من جنس آخر، ولأن النزاع
 كان فيهما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم ما يفعل العدو بالعدو، أتى بالمظهر
 موضع الضمير ليفيد انه - تعالى - عاداهم لكفرهم، وأن عداوة المذكورين كفر، وقرأ
 نافع ميكائيل كميكاعل، وابوعمر ووعاصم كميعاد ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
 القرآن ودلالاته الواضحات، قيل: نزلت حين قال ابن صوريا للرسول (ص): ما جئنا
 بشيء نعرفه، وما انزل عليه من آية فتبعك ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون
 بالكفر والفسق.

[سورة البقرة الآيات ١٠٠ - ١٠٤]

أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ
 مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا

كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ
وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا
يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ
مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾

﴿أَوْكُلُّمَا﴾ الهمزة للإتكار، والواو عاطفة على مقدر، أي كفروا بالآيات
وكلما ﴿عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ نقضه، والنبد: الطرح، وقيل: منهم لأن
بعضهم لم ينقض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة فلا يبالون بنقض العهد
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كعيسى ومحمد (ص) ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من
التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة وسائر كتب الله
﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ تركوا العمل بها حسداً، ومثل تركهم بترك المرمي وراء الظهر

استغناء عنه ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ انه كتاب الله، أي: علموا وعاندوا ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: نبدوا كتاب الله، واتبعوا كتب السحرة التي يقرأها أو تتبعها الشياطين من الجن والانس ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ على عهده زعماء منه انه بالسحر نال ما نال، والمضارع حكاية حال ماضية، قال الباقر (ع): (لما هلك سليمان وضع إبليس السحر، ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره: (هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا فليقل كذا وكذا) ثم دفنه تحت السرير، ثم استأثره لهم فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا، وقال المؤمنون: هو عبد الله ونبيه، فقال الله: (واتبعوا... إلخ) ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ولا استعمل السحر كما زعم هؤلاء وسماه كفراً ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾ غواء، والجملة حال من الواو ﴿وَمَا أَنزَلَ﴾ وبتعليمهم إياهم ما أنزل عطف على (السحر) أو (ما تتلوا) ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ النازلين ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ أظهرهما الله للناس بصورة بشرين ليقفوا به على السحر، وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ السحر وإبطاله ﴿حَتَّى يَقُولَا﴾ للمتعليم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ إمتحان للعباد ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السحر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ مما تتلوا الشياطين، ومما أنزل على الملكين ﴿مَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي: سحراً يكون سبب تفرقهما ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتخليته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في دينهم ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فيه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ هؤلاء المتعلمون ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: السحر بدينه الذي ينسلخ منه بتعلمه ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ نصيب، لاعتقادهم أن لا آخرة ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ باعوا به أنفسهم ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ ورهنوها بالعذاب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعملون بعلمهم، إذ علم

من لا يعمل به كلا علم، فلا ينافي اثبات العلم لهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بمحمد (ص) والقرآن ﴿وَاتَّقُوا﴾ المعاصي، كنبذ كتاب الله، واتباع السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ جواب (لو)، أي: لأثبوا مثوبة، فحذف الفعل، وعدل إلى الاسم لتفيد ثبات المثوبة، ونكرت لأن المعنى: لشيء من الثواب خير لهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ قيل: كان المسلمون يقولون للرسول (ص) إذا علمهم شيئاً: راعنا، أي: تأن بنا حتى نفهمه، فخاطبه اليهود قاصدين نسبته إلى الرعونة، أوسبّه بكلمة عبرانية يتسابون فيها، فنهى المؤمنون عنه وأمروا بما هوفي معناه، وهو (أنظرننا) أي: انتظرننا، أو انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ إذا قال لكم أمراً وأطيعوا، لا كسماع اليهود إذ (قالوا سمعنا وعصينا)^(١) ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشاتمين المتهاونين بالرسول.

[سورة البقرة الآيات ١٠٥ - ١١٢]

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ^١ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ^٢ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا^٣ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ

أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
 مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ
 مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَن يَتَّبِدِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
 السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
 الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۚ تِلْكَ
 أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ بَلَىٰ مَنْ
 أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ الود: المحبة، و(من) للتبيين
 ﴿ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴾ (لا) لتأكيد النفي ﴿ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ مفعول (يود) ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾

أي: وحي، أو غيره، وزيدت (من) للاستغراق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (من) للابتداء أي: يحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ بالنبوة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فيه اشعار بأن النبوة من الفضل ﴿مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ بأن نرفع حكمها ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بأن نمحو من القلوب رسمها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ بما هو أعظم لثوابكم، وأجل لصلاحكم ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ من الصلاح ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ أيها المنكر للنسخ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقدر على الخير وما هو خير منه وما هو مثله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب للنبي (ص) وأتمه لقوله (وما لكم)، وأفرد لأنه اعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي صلاحكم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم، والفرق بينهما أن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ بل تريدون أيها الكفار واليهود ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ ما تقترحونه من الآيات ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ واقترح عليه ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ من ترك الثقة بالآيات المنزلة واقترح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسطه، فلا يصل إلى المقصد قيل: نزلت في أهل الكتاب حين سألوه ان ينزل عليهم كتاباً من السماء، أوفي المشركين حين قالوا: (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) إلى قوله (اوتأتي بالله والملائكة قبيلاً)^(١) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كحي بن اخطب ونظرائه ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ أي: أن يرجعوكم ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ مفعول ثان لا يردوا) أحوال من مفعول بما يوردونه عليكم من الشبه ﴿حَسَدًا﴾ لكم ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق ب(ود) أي:

تمنوا ذلك من عند تشهيمهم لا من قبل تدينهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ صدق محمد(ص) ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ اتركوا العقوبة والشريب^(١) ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم، بالقتل يوم فتح مكة، أو من قتل قريظة وإجلاء النظير، وضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الانتقام منهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة وإنفاق ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يضيع لديه عمل ﴿وَقَالُوا﴾ أي: أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يهودياً أونصرانياً، جمع بين قوليهما لأن اللبس لعلم السامع بالتعادي بينهما، و(هود) جمع هائد، وإفراد الاسم وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى ﴿تِلْكَ أَمَاتِيهِمْ﴾ التي يتمنونها بلا حجة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بالجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بلى ﴿رَدِّ لِمَقَالَتِهِمْ﴾ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴿أَخْلَصَ نَفْسَهُ﴾ لله ﴿لَمَّا سَمِعَ الْحَقَّ﴾ وهو مُحْسِنٌ ﴿فِي عَمَلِهِ﴾ لله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ و(من) شرطية، أو موصولة، والجملة جوابها، أو خبرها و(الفاء) لتضمنها معنى الشرط، فالرد ب(بلى) وحده، أو(من) فاعل فعل مقدر أي: بلى يدخلها من أسلم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[سورة البقرة الآيات ١١٣ - ١١٩]

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(١) الشرب عليهم هو تقيح فعلهم . قال تعالى حاكياً قول يوسف(ع): (قال لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) سورة يوسف الآية ٩٢.

مِثْلَ قَوْلِهِمْ^٤ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿٢٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
 خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ^٥ لَهُمْ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
 فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ^٦ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ
 اللَّهُ وَلَدًا^٧ سُبْحَنَهُ^٨ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^٩ كُلٌّ لَهُ
 قِنْتُونَ ﴿٢٩﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^{١٠} وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
 يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
 تَأْتِينَا آيَةٌ^{١١} كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ
 قُلُوبُهُمْ^{١٢} قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا^{١٣} وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿٣٢﴾

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ يعتد به ﴿وقالت النصارى ليست
 اليهود على شيء﴾ قيل: نزلت حين قدم وفد نجران على الرسول (ص) وأتاهم احبار

اليهود وتناولوا^(١) بذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (الواو) للحال، و(الكتاب) للجنس، أي: قالوا ذلك وهم من أهل التلاوة للكتب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كعبدة الأصنام والدهرية^(٢) ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يكفر بعضهم بعضاً، ويخهم على تشبههم بالجهلة ﴿قَالَ اللَّهُ يَخْخَكُم بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ عن الصادق (ع): نزلت في قريش حين منعوا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام، وعن علي (ع): أنه أراد جميع الأرض (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مفعول ثانٍ ل(منع) أو مفعول له، أي: كراهة أن يذكر ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ لثلاث عمر بطاعة الله ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ من عذابه، أو من المؤمنين أن يبطشوا بهم - فضلاً أن يمنعهم منها - أو ما كان لهم في علم الله، فهو وعد للمؤمنين بالنصر ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بطردهم عن الحرم، أو القتل، أو السبي أو الجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بظلمهم ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي يملك ناحيتي الأرض كلها، فإن منعم الصلاة في المساجد فصلوا حيث كنتم ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم ﴿فَشِمُّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ جهته التي جعلها قبلة لكم، أو ذاته إذ لا يخلو منه مكان ولا تخفى عليه خافية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يريد التوسعة لعباده، (يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر)^(٣) ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم، قيل: أن اليهود أنكروا تحويل القبلة عن بيت المقدس، فنزلت الآية رداً عليهم، وروي: أنها نزلت في قبلة المتحير، وفي التطوع في السفر على

(١) أي: قال بعضهم للبعض الآخر وأجابه الثاني.

(٢) الدهرية هم الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الله سموا بذلك لأنهم يقولون ببقاء الدهر.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

الراحلة ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ نزلت حين قال اليهود: عزيز بن الله، والنصارى: المسيح بن الله، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله، وترك ابن عامر العاطف ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿ بَلْ لَّهُ ﴾ أي: ملكه ﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومنه: الملائكة وعزيز، والمسيح ﴿ كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ ﴾ منقادون، مقرّون له بالعبودية، فكيف يجانسونه؟ والولد أبداً يجانس الوالد، وتنوين (كل) للعوض، أي: كل ما فيها ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ منشئهما لا من شيء، ولا على مثال سبق ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ أراد فعله وخلقه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (من) التامة أي: أحدث فيحدث، والمراد تمثيل حصول ما تعلق به ارادته بلا مهلة، بطاعة المأمور بلا توقف، لا حقيقة أمر وامثال، ونصب ابن عامر (فيكون) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جهلة المشركين، أواهل الكتاب ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاً ﴿ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ كما كلم موسى، أويوحى إلينا أنك رسوله استكباراً ﴿ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً ﴾ كما تأتيتك بزعمك ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ كذا (أرنا الله جهرة) ^(١) (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة) ^(٢) ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم، في العمى والعناد ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يطلبون اليقين، أوفيما ظهر من الآيات كفاية لمن يعانده ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ متلبساً به ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ فلا عليك إن كابدوا ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد تبليغك؟ وروي عن الامام (ع): (أنه على النهي) كما قرأ نافع.

(١) قاله قوم موسى (ع) كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة النساء الآية ١٠٣.

(٢) قاله قوم عيسى (ع) وقد أشار تعالى الى ذلك في سورة المائدة الآية ١١٤.

[سورة البقرة الآيات ١٢٠-١٢٦]

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا

وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^ط قَالَ وَمَنْ
كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٣٦﴾

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ * مبالغة له في إقناطه
عن إسلامهم ﴿قُلْ﴾ * مجيباً لهم ﴿إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ * أي: الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ * بالحق،
لا ما تدعون إليه ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ * أي: الدين
الصحيح، أو البيان ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ * يدفع عنك عقابه، وهو جزاء
(لن) من قبيل (إياك أعني واسمعي يا جارة) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ * القرآن
﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ * بالوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الأولى، ويستعيد في
الأخرى، أو بالتدبر له، والعمل بمقتضاه، ولا يحرفونه ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ * وعن
الباقر والصادق (ع): (هم الأئمة (ع)) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ * حيث
اشتروا الضلالة بالهدى ﴿يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ * قد مر ذكر الآيتين، ^(١) والتكرير لبعد ما بين
الكلامين تأكيداً للتذكير، ومبالغة في النصيح، وإقامة للحجة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
بِكَلِمَاتٍ﴾ * عامله معاملة المخبرين، روي: أنها السؤال بحق محمد وعلي وفاطمة
والحسن والحسين، وقيل بذبح ولده والنار، وبمناسك الحج، وبالكوكب والقمر
والشمس، وبالعشر الحنيفية ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ * أداهن بغير تفريط، وروي: أتمهن بمحمد

وعلي، والائمة من ولد علي في قول الله: (ذرية بعضها من بعض)^(١) ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ استيناف إن كان ناصب (ان) مضمرأ كأنه قيل: فما قال له ربّه؟ فأجيب به أويان للابتلى، فتكون الكلمات: ما ذكر من الامامة، وتطهير البيت ورفع قواعده، والإسلام، وان كان الناصب (قال) فالمجموع جملة عطفت على ما قبلها و(اماماً) ثاني مفعول (جاعلك) ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ (الواو) للاستيناف، أو العطف على محذوف، و(من) للابتداء، أو التبويض، أو زائدة، أي: إجعلني إماماً واجعل من ذريتي أو بعضها، أو ذريتي على جهة السؤال ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ﴾ أي: الامامة، وسكن الباء حفص وحمزة ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يكون السفیه إمام التقی، كما عن الصادق (ع)، وعنه (ع) من عبد صنماً، أو وثناً لا يكون إماماً، وفيه تعريض بالغير، والإمامة أمانة الله، والظالم لا يصلح لها، وإنما ينالها الأتقياء منهم، وفيها دلالة على عصمة النبي (ص) والإمام (ع) ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ ﴾ أي: الكعبة، غلب فيها ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ مرجعاً ومحل عود، أو موضع ثواب يثابون بحجه ﴿ وَأَمْنًا ﴾ موضع أمن لأهله، أو الملتجى إليه من التعرض، وعن الصادق (ع): «من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله وما دخله من الوحش والطير كان آمناً من ان تهاج أو تؤذى حتى تخرج من الحرم» ﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ بتقدير القول، أو عطف على (إذ) المقدر، أو على مضمر، أي: ثوبوا إليه ﴿ مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: الحجر الذي عليه أثر قدمه ﴿ مُصَلًّى ﴾ عن الباقر والصادق (ع): (يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة)، وقيل: مدعى من صليت، أي: دعوت أو قبلة، و(من) للتبويض أو الابتداء،

أو التبيين، أو زائدة، وقيل: مقام ابراهيم الحرم كله فتكون (من) تبعيضية ويكون المراد البعض المخصوص وهوالمقام الآن، وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار، وقيل الحج كله، وقرأ نافع وابن عامر (وَاتَّخَذُوا) ماضياً عطفاً على (جعلنا) أي: واتخذ الناس ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ بأن، أو أي ﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾ من الأصنام والأنجاس، وفتح الياء نافع وحفص وهشام ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الدائرین حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين عنده، أو المعتكفين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي: المصلين جمع راع وساجد، روي: (ينبغي للعبد أن لا يدخل البيت إلا وهو طاهر، قد غسل عنه العرق والأذى وتطهر) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ البلد، أو المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن كـ(عيشة راضية)، أو آمناً أهله كـ(ليل نائم) ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أنواع ما تحمله الأشجار، وروي: (من ثمرات القلوب) أي: وحبهم إلى الناس لينسابوا إليهم، أقول: ويشهد له: (واجعل افئدة من الناس تهوي إليهم)^(١) وعن الرضا (ع): لما دعا ابراهيم ربه أن يرزق أهله من الثمرات أمر بقطعة من الأردن فسارت بشمارها حتى طافت بالبيت، ثم أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع الذي سمي بالطائف ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل، بعض من (أهله) قال السجاد (ع): (إيانا عنى بذلك وأوليائه وشيعه وصيه) ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ عطف على محذوف، أي أرزق من آمن ومن كفر، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط وخبره ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾ زماناً، أو متاعاً ﴿قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرُّهُ﴾ الزه^(٢) ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٧.

(٢) لزه الى العذاب أي: ألصقه به وشده إليه وجعل العذاب لازماً له .

لِزَ الْمَضْطَرِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (فَأَمْتَعَهُ) مِنْ أَمْتَعِ ﴿وَبِشْرِ الْمَصِيرِ﴾ أَي: الْمَالِ،
وَالْمَخْصُوصِ مَحْذُوفٍ، أَي: عَذَابِ النَّارِ.

[سورة البقرة الآيات ١٢٧ - ١٣٤]

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا^ط
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾
وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
أَسْلِمْ^ط قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ
لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وَإِذِ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ حكاية حالٍ ماضية ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة وهي:
الأساس، ورفعها للبناء عليها لنقله إياها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع
﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ وفي إيهامها وتبيينها رفع لشأنها ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة
فعطف عليه لمدخلته في الرفع، أو كانا يتناوبانه، أو ينيان في طرفين يقولان:
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ والجملة حال منهما، وتفيد ندية الدعاء عقيب العبادة
﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا، عن الباقر (ع): (ان إسماعيل أول من
شق لسانه بالعربية، وكان أبوه يقول وهما ينيان: «هاي ابني» أي: اعطني، فيقول له
إسماعيل بالعربية: «يا أبه هاك حجراً» فإبراهيم يني وإسماعيل يناوله) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ﴾ مخلصين، أو مستسلمين أي: منقادين ﴿لَكَ﴾ والمراد: طلب الزيادة في
الإخلاص، أو الانقياد، أو الثبات عليه ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ واجعل بعضها، وخص البعض
لما اعلما أن فيهم ظلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ من (أمة) إذا قصده، قيل للجماعة لأنها تامة ﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾
عن الصادق (ع): (هم أهل البيت)، وروي: بنو هاشم خاصة، وقيل أمة محمد (ص)
﴿وَأَرِنَا﴾ عرفنا، أو بصرنا ﴿مَنَاسِكَنا﴾ متعبداتنا في الحج، أو مذابحنا، و(النسك) في
الأصل: العبادة، وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾
عما لا ينبغي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالعباد ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الأمة

المسلمة ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ من تلك الامة - كما عن الصادق (ع) - ولم يبعث من ذريتهما غير نبينا، وروي: من ولد إسماعيل، ولذا قال (ص): (أنا دعوة أبي إبراهيم)، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة، أو المعارف والاحكام مما تكمل به نفوسهم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك والمعاصي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغْلَب على ما يريد ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم له ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هي: دين الإسلام، والحنيفية العشرة التي جاء بها إنكار واستبعاد، أي: لا يرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أضلها وأذلها واستخف بها، قيل: سَفِهَ بالكسر متعد، وبالضم لازم، وقيل: نصب نفسه تمييزاً، أو يتزع الخافض ومحل المستثنى الرفع بدلاً من ضمير (يرغب) لعدم إيجابه، أو النصب بالاستثناء، عن السَّجَاد والباقر والصادق والعسكري (ع): (ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء) ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ إختارناه للرسالة ﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المستقيمين على الخير، والكلام حجة وبيان، أي: من كان كذلك كان حقيقاً بالإتباع لا يرغب عنه إلا سفيه ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ﴾ مبادراً إلى الإذعان ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا﴾ أي: بالملة، أو كلمة أسلمت، وقرأ نافع وابن عامر وأوصى ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ الأربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان، وقيل: أكثر ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي: ووصى بها يعقوب بنيه الاثني عشر ﴿يَا بَنِيَّ﴾ بتقدير القول، أو متعلق بـ(وصى) لأنه بمعناه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ الإسلام الذي هو صفوة الأديان ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثابتين على الإسلام ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ (أم) منقطعة والهمزة المقدرة للإنكار، أي: ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من

(إذ حضر)، قيل: ردّ على اليهود إذ قالوا لرسول الله (ص): أأنت تعلم إن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات؟ فتزلت، وأخطاب للمؤمنين، أي: ما شهدتم ذلك، وإنما علمتموه من الوحي ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ عطف بيان لـ (آبائك) وعدّ إسماعيل منهم لأن العرب تسمي العم أبا كالجدة لوجوب تعظيمه كالأب، وفي الخبر: عم الرجل صنو أبيه^(١)، وعنه (ص) في العباس: (ردّوا عليّ أبي) ﴿ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ تصريح بالتوحيد ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ حال من فاعل (نعبد) أو مفعوله، أو منهما، أو اعتراض ﴿ تِلْكَ ﴾ أي: إبراهيم ويعقوب وبنوهما ﴿ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ مضت ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ لكل جزاء عمله لا ينتفع أحد بكسب غيره ﴿ وَلَا تَسْتَلُونَهُمْ كَمَا لَبِثْتُمْ أَنْبِيَاءَ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ كَافِرِينَ ﴾^(٢) تؤاخذون بمعاصيهم كما لا تثابون بطاعاتهم.

[سورة البقرة الآيات ١٣٥ - ١٤١]

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا^ط وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ يَسَافَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ

(١) أي: مثل أبيه، لأن الصنوفي اللغة معناه: المثل والنظير.

لَهُدُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ^ط وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ^ط فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٦﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ^ط وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ^ط وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ
﴿١٣٧﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٨﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ^ط قُلْ ءَأَنْتُمْ
أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ^ط وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ^ط وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ^ط لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا
كَسَبْتُمْ ^ط وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

﴿وقالوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿كونوا هوداً أو نصارى﴾ أي: قالت اليهود: كونوا
هوداً، والنصارى: كونوا نصارى ﴿تهتدوا﴾ جواب (كونوا) ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾
أي: بل تتبع ملته، أو نكون أهل ملته ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق، حال عن
المضاف إليه ﴿وما كان من المشرِكين﴾ تعريض بالفريقين وغيرهم (إذا إدعوا)
إتباعه وهم مشركون، عن الصادق (ع): (الحنيفة هي الإسلام) وعن الباقر (ع):
(ما أبقت الحنيفة شيئاً حتى أن منها قص الشارب وقلم الأظفار والختان) ﴿قولوا آمنا﴾

بِاللَّهِ ﴿﴾ خطاب للمؤمنين ﴿﴾ وما أَنزَلَ إِلَيْنَا ﴿﴾ أي: القرآن ﴿﴾ وما أَنزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴿﴾ صحف إبراهيم، فإنها منزلة إليهم لأنهم متعبدون بما فيها، والأسباط: حفدة يعقوب ذراري بنيه الاثني عشر ﴿﴾ وما أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ﴿﴾ التوراة والإنجيل، وخصاً بالذكر لأنه احتجاج على أهل الكتابين ﴿﴾ وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ﴿﴾ المذكورون وغيرهم ﴿﴾ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿﴾ منزلاً منه ﴿﴾ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴿﴾ لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض، كاليهود والنصارى، وأضيف (بين) إلى (أحد) لعمومه في سياق النفي ﴿﴾ وَنَحْنُ لَهُ ﴿﴾ أي: لله تعالى ﴿﴾ مُسْلِمُونَ ﴿﴾ منقادون مخلصون، وعن الباقر (ع) في قوله (قولوا آمنا): (انما عنى بذلك علياً وفاطمة والحسن والحسين، وجرت بعدهم في الائمة (ع) ثم رجع القول من الله تعالى في الناس فقال: فان آمنوا يعني الناس بمثل ما امتتم به... إلخ). وسئل (ع): هل كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكونوا يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا ﴿﴾ فَإِنْ آمَنُوا ﴿﴾ أي: سائر الناس ﴿﴾ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴿﴾ مثل مقحم، كما في: (شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) ^(١) أي: عليه، وقيل: تبكيت لهم، ^(٢) إذ لا مثل لما آمن المسلمون ولا دين كالا سلام، أو (الباء) للإستعانة لا صلة، أي: إن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمتم بها ﴿﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿﴾ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴿﴾ أي: مخالفة للحق، فهم في شق غير شقه، وعن الصادق (ع): أي: في كفر

(١) سورة الأحقاف الآية ١٠.

(٢) إقامة الحجة عليهم وإسكانهم.

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين، ووعد لهم بالحفظ والنصر
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم ودعائكم ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنياتكم وإخلاصكم ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾
مصدر مؤكد لـ (آمنّا) أي: صبغنا الله صبغة وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، أو هداية
دينه، أو طهرنا بالإيمان تطهيره، سمّاه (صبغة) للمشاكلة، فإن النصارى كانوا يغمسون
أولادهم في ماء اصفر يسمّونه (المعمودية) يجعلون ذلك تطهيراً لهم ومحققاً
لنصرانيتهم، وفسر الصادق (ع) الصبغة بالإسلام، وعنه (ع) هي صبغ المؤمنين بالولاية
في الميثاق ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ لا صبغة أحسن من صبغته ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾
عطف على (آمنّا) وتعريض بهم أي: لا نشرك به كشركم ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ تجادلونا
﴿ فِي اللَّهِ ﴾ في شأنه وأصطفائه النبي من العرب دونكم، قيل: اهل الكتاب قالوا: الأنبياء
كلهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق فلو كنت نبياً لكنت منّا، فتزلت ﴿ وَهُورُبُّنَا وَرُبُّكُمْ ﴾
لا اختصاص له بقوم دون قوم، (يصيب برحمته من يشاء)^(١) ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ ﴾ والعبرة بالعمل، فلا يبعد ان يكرمنا بأعمالنا ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾
موحدون دونكم ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ (أم) منقطعة، و(الهمزة) للإتكار، وقرأ ابن عامر والكسائي
بالتاء، فجاز كونها عديلة همزة (أتحاجوننا) أي: أيّ الأمرين تأتون المحاجة، أم ادعاء
اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ وقد قال: (ما كان إبراهيم
يهودياً ولا نصرانياً)^(٢) وقال: (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده)^(٣)،

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف الآية ٥٦ (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين).

(٢) سوري آل عمران الآية ٦٧.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦٥.

والمعطوفون عليه أتباعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد اظلم من أهل الكتاب، إذ كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية، أو منا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض لكتمانهم شهادة الله لمحمد (ص) بالنبوة ولعلي (ع) بالوصاية في كتبهم، و(من) ابتدائية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كرر تأكيداً للزجر عن الإتكال على فضل الآباء والفخر بهم، أو الخطاب فيما سبق لهم وهنا لنا، أو المراد بالأمة سابقاً الأنبياء وهنا أسلاف أهل الكتاب.

[سورة البقرة الآيات ١٤٢-١٤٥]

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا^١
 قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ^٢ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
 وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^٣ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا
 لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ^٤ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً
 إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ^٥ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ^٦ إِنَّ اللَّهَ
 بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ^٧
 فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا^٨ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^٩ وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ
 أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ وَلَيْنَ أَتَيْتَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ
 وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الخفاف الأحلام، المنكرون تغيير القبلة، وقدم
 الاخبار به توطئاً للنفس وإعداداً للرد ﴿مَا وَلَا هُمْ﴾ صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
 عَلَيْهَا﴾ أي: بيت المقدس ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرض كلها لا يختص
 به مكان دون مكان ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ما توجه الحكمة
 والمصلحة من التوجه تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة ﴿وكَذَلِكَ﴾
 أي كما ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ مهتدين، جعلناكم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولاً، أَوْخِيَاراً ﴿لِتَكُونُوا
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأعمالهم المخالفة للحق في الدنيا والآخرة، أوحجة عليهم
 تبينون لهم الحق، أو يشهدون للأنبياء على أممهم المنكرين لتبليغهم ﴿وَيَكُونُوا
 الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ بما عملتم، وحجة بين لكم، أو يشهد بعد التكم، وعديت
 شهادته بـ (على) لأنه كالقريب عليهم وعنهم (ع): (إياناً عنى خاصة)، وعن الباقر (ع):
 (نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه)، وروي: (ليشهد محمد (ص) علينا
 ولنشهد على شيعتنا وليشهد شيعتنا على الناس)، وعن علي (ع): (فرسول الله (ص)

شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه)، وفي آخر: هي (ائمة) ولا يكون شهداء على الناس إلا الرسل والائمة فأما الامة فغير جائز إذ فيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي﴾ ثاني مفعولي (جعلنا) أي: الجهة التي ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أي: بيت المقدس، يعني: أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلك بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ نمتحن الناس، فيتين ويتميز ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ في الصلاة إليه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يرتد عن دينه إلفاً لقبله آبائه، وعنه (ع): (يعني: إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد)، وقيل: أولي علم أولياؤه الرسول والمؤمنون وقيل: المراد الكعبة لأنه (ص) كان يصلي بمكة إليها، ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، ثم ردَّ إليها بعد الهجرة، والمعنى: ما رددناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على دينك ممَّن يرتد ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ التحويلة أي: القبلة و(إن) مخففة الثقيلة ﴿لَكَبِيرَةٍ﴾ ثقيلة، واللام فارقة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ بلطفه إلى وجه الحكمة، أوعرفوا ان التعبد على خلاف الهوى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلواتكم إليها، نزلت حين قال المسلمون: كيف حال من صلى إلى بيت المقدس؟، أو ثباتكم على الإيمان، أو إيمانكم بالقبلة المنسوخة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّفٌ رَحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، ولا يترك مصالحهم، ومد ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص (رؤوف)، وقصره الباقون ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ﴾ تردد ﴿وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ تطلعاً للوحي، قيل كان (ص) يترقب ان يحوله ربه إلى الكعبة لأنها قبله أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب إلى إتباعه، ولمخالفة اليهود ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّ قَبْلَةَ تَرْضَاهَا﴾ تحبها وتشوق إليها لمقاصد صحيحه وافقت حكمة الله ﴿قَوْلٍ وَجْهِكَ﴾ أصرفه ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ نحوه ﴿الْحَرَامِ﴾ المحرم فيه القتال، والممنوع من تعرض الظلمة فيه، والتعبير

بـ(الشرط) و(المسجد) دون (البيت) يفيد: أن البعيد تكفيه مراعاة الجهة لا البيت كما هو للقريب، روي: أنه صلى إلى بيت المقدس ثلاثة عشر شهراً، ستة بمكة، وسبعة بالمدينة، فقالت اليهود: يتبع قبلتنا، فاعتم وانتظر الوحي، فأتاه جبرئيل وقد صلى الظهر ركعتين في مسجد بني سلمة، فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة، وانزل عليه الآية، وتحول الرجال مكان النساء وبالعكس، فأتى الصلاة فسمي مسجد القبلتين ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ وأي: مكان كنتم أيها الناس ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ خص الرسول (ص) بالخطاب تعظيماً له، وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم، وتأكيذاً لأمر القبلة، وتحريضاً للأمة على المتابعة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أن التحويل إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم أنه (ص) يصلي إلى القبلتين ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وعد، ووعيد للفريقين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ﴿وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ حجة على حقيقة قبلتك، و(اللام) موطئة للقسم وجوابه ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ لان المعاند لا تنفعه الدلالة، وسد مسد جواب الشرط، أي: لم يتركوا إتباعك لشبهة تدفعها بالحجة، وإنما تركوه عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ قطع لأطماعهم إذ قالوا: لو ثبت على ديننا رجونا أن يكون صاحبنا الذي نتظره طمعاً في رجوعه ﴿وَمَا بَغْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَغْضٍ﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى المشرق، لا يرجى وفاقهم ﴿وَلَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فرضاً، أو من باب (إياك اعني) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾ بالوحي ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أكد الوعيد له، وبالغ فيه تعظيماً للحق، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستعظاماً لصدور الذنب عن الأنبياء.

[سورة البقرة الآيات ١٤٦ - ١٥٣]

الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ^ط وَإِنَّ فَرِيقًا
مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ^ط فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا^ط فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَتِ^ع أَيْنَ
مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا^ع إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٨﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^ط وَإِنَّهُ
لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ^ط وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ
خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^ع وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ^ط لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنِّى نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ
ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: علمائهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً (ص) بأوصافه في التوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لا يشتبهون بغيرهم، أو الضمير للعلم، أو القرآن، أو تحويل القبلة ﴿وَإِنْ فَرِيقاً مِنْهُمْ﴾ وهم المعاندون ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ مبتدأ خبره (من ربك)، و(اللام) للعهد إشارة إلى ما عليه الرسول (ص)، أو الحق الذي يكتُمونه، أو للجنس أي: الحق ما كان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ كالذي أنت عليه، لا ما ليس منه كالذي عليه أهل الكتاب، أو الحق خبر لمحذوف أي: هو الحق، والظرف حال، أو خبر ثان ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ الشاكين في أنه من ربك، وفي كتمانهم والمراد تحقق الأمر بحيث لا يشك فيه، أو أمر الأمة بالنظر المزيل للشك لا نهيه (ص) لاستحالة منه ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ ولكل قوم قبله، أو لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة، والتنوين للعوض ﴿هُوَ مُوَلِّيْهَا﴾ وجهه، أو الله تعالى موليها إياه، وقرأ ابن عامر (مولاها) أي: مولى تلك الجهة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استبقوا غيركم من أهل القبلة وغيرها، وعن الباقر (ع): الخيرات الولايات ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ إلى المحشر ﴿جَمِيعاً﴾ من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومتفرقها، وعنهم (ع) المراد بهم: أصحاب المهدي (ع) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه جمعكم ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ من أي بلد ﴿خَرَجْتَ﴾ للسفر ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في الصلاة ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: التوجه للكعبة ﴿لِلْحَقِّ﴾ الثابت ﴿مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ ابو عمرو وبالياء

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ قيل: كثر الحكم لتعدد علله، من تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته، وجري العادة الإلهية أن يولي أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يتميز بها، ودفع حجج المخالفين، وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريباً وتقريراً، مع أن القبلة لها شأن، والنسخ من مظان الفتنة والشبهة، فبالحري أن يؤكد أمرها ﴿لَثَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ علة لقوله (فولوا) أي: توليتكم عن الصخرة إلى الكعبة ترد احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، والمشركون بانه يخالف قبله إبراهيم ويدعي ملته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إستثناء من الناس لثلا يكون حجة لأحد من الناس إلا المعاندين من اليهود القائلين: ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، وسمي (حجة) لسوقهم إياه مساقها، أو من العرب القائلين: رجع إلى قبله آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم، أو الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة إذ لا حجة للظالم، والقَمِي^(١): (الا) هنا بمعنى لا وليست استثناء يعني: ولا الذين ظلموا منهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بالخوف من مطاعنهم فإنها لا تضركم ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلَا تُنِمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالموت على الإسلام، ودخول الجنة عطف على (لثلا) أو علة محذوف أي: وأمرتكم لإتمامي النعمة عليكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: وإرادتي إهداؤكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ متصل بسابقه أي: ولأتم نعمتي عليكم بالقبلة، أو الثواب كما أتممتها بإرسال رسول منكم، أو بلا حقه أي: كما ذكرتكم بإرساله فاذكروني ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾

وَيُزَكِّيْكُمْ ﴿١٥٤﴾ يَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا تَصِيرُونَ بِهِ أَزْكِيَاءَ، وَقَدَّمَهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِاعْتِبَارِ الْقَصْدِ،
وَأُخْرَهُ فِي دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ بِالْفِكْرِ وَالنَّظَرِ، وَلَا طَرِيقَ لَهُ إِلَّا الْوَحْيُ، وَتَكَرُّرِ الْفِعْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى
أَنَّهُ جِنْسٌ آخَرُ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بِالطَّاعَةِ، وَفَتْحِ ابْنِ كَثِيرٍ الْبَاءَ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بِرَحْمَتِي
﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نِعْمَتِي ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بِجَحْدِهَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾
عَلَى الْجِهَادِ، أَوِ الطَّاعَاتِ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالصُّومِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ الَّتِي هِيَ أُمُّ
الْعِبَادَاتِ، وَأُمُّ الْعِبَادَاتِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْجَنَاتِ، وَالنَّاهِيَةِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالسَّيِّئَاتِ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالتَّوْفِيقِ.

[سورة البقرة الآيات ١٥٤-١٦٣]

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا
تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
أَمْوَالٍ وَأَنْفُسٍ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ
الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا
 بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا
 التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ
 لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٢﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ الْإِلَهِ وَحْدٌ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾

﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ هم ﴿أموات بل﴾ هم ﴿أحياء﴾ لما نالهم
 من جميل الذكر، أو تنعم أرواحهم في أبدان مثالية ﴿ولكن لا تشعرون﴾ كيف
 حياتهم، أو ما حالهم، سئل الصادق (ع) عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على
 صور أبدانهم لورأيته لقلت: فلان، ونحوه أخبار كثيرة، وعلى هذا فتخصيص الشهداء
 لمزيد قربهم من الله، قيل: نزلت في شهداء بدر، وكانوا أربعة عشر ﴿ولنبلوكم﴾
 نصيبكم إصابة المختبر لكم تصبرون على البلاء أم لا ؟ ﴿بشيء﴾ قليل
 ﴿من الخوف والجوع﴾ قلل بالنسبة إلى ما فوقه يخف عليهم، ويريهـم ان رحمته
 لا تزايلهم، وأخبروا به قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿ونقص من الأموال والأنفس
 والثمرات﴾ عطف على (شيء) أو الخوف وقيل: الخوف: خوف الله، والجوع،

الصوم، والنقص من المال الزكوات، ومن الأنفس: الأمراض ومن الثمرات: موت الأولاد لأنها ثمرة القلب، وفي النهج^(١): إن الله يتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وعن الصادق (ع): إن هذه علامات قدام القائم، تكون من الله للمؤمنين من الخوف من ملوك بني أمية في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال فساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس الموت الذريع، ونقص من الثمرات بقلة ريع^(٢) ما يزرع ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ عند ذلك بتعجيل خروج القائم، ثم قال هذا تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)^(٣) ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ روي: (كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة) ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في النهج قولنا: (انا لله) إقرار على أنفسنا بالملك وانا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلاك ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ ترقية وغفران ولطف ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وجمعت إيذاناً بكثرة أنواعها، وتفيد ان الصلاة ليست من خصائص النبي (ص)، وجواز أن يصلى على غيره منفرداً قاله بطريق أولى ﴿وَرَحْمَةً﴾ وإحسان وعنه (ص): من إسترجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقابه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ للحق في الإسترجاع

(١) أي: (نهج البلاغة) الحاوي لخطب الامام علي (ع).

(٢) الربيع هو ناتج الأرض المزروعة ومحصولها.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

والتسليم ﴿ إِنَّ الصَّفاَ والمَرْوَةَ ﴾ جبلان بمكة ﴿ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ من أعلام مناسكه، جمع (شعيرة) أي: علامة ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَاعْتَمَرَ ﴾ الحج - لغة: القصد، والاعتمار: الزيارة: وشرعاً: قصده وزيارته على وجه مخصوص، فمن حج البيت، أوعتمر الحج ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أي: لا حرج ﴿ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ ﴾ بهما أي: يسعى بينهما، وأصله (يتطوف) فأدغم، روي: أنها نزلت حين تخرج المسلمون عن الطواف بهما وعليهما الأصنام، وعن الصادق (ع): إن المسلمين كانوا يظنون إن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله هذه الآية، وعنه (ع): جعل السعي بين الصفا والمروة مذلةً للجبارين، والسعي واجب في الحج والعمرة بالسنة والإجماع ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ أي: فعل طاعة - فرضاً كانت أو نفلاً - من حج أو عمرة أو غيرهما، وقرأ حمزة والكسائي (يطوع) وأصله (يتطوع) فأدغم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ ﴾ مجاز على الطاعة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لا تخفى عليه طاعة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ الدلائل على أمر محمد (ص)، أو الأعم ﴿ وَالْهُدَى ﴾ ما يهدي إلى وجوب إتباعه، أو إلى الحق ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ التوراة، أو الإنجيل، أو الأعم، و(اللام) للجنس ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ يبعدهم عن رحمته ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والثقلين حتى أنفسهم، فإنهم يقولون: لعن الله الكفار، وعن الصادق (ع) في قوله (اللاعنون) قال: نحن هم، وقد قالوا: هوام الأرض ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ عن الكتمان، وسائر المعاصي ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ ما أفسدوا، أو نياتهم وبيّنوا ﴿ مَا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ فأولئك أثوب عليهم ﴿ بِالْقَبُولِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾ وأنا التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ الْبَالِغِ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ وَافَاضَةِ الرَّحْمَةِ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ مِنَ الْكَاتِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴾ وماتوا وهم كُفَّارٌ ﴿ أَي: لم يتوبوا ﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٤﴾ قِيلَ: الْأَوَّلُ لَعْنُهُمْ أَحْيَاءُ، وَهَذَا لَعْنُهُمْ أَمْوَاتًا ﴿١٥٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٥٦﴾ فِي اللَّعْنَةِ، أَوِ النَّارِ وَإِضْمَارُهَا قَبْلَ الذِّكْرِ تَفْخِيمًا لِسَانِهَا، وَتَهْوِيلًا، أَوْ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ اللَّعْنِ عَلَيْهَا ﴿١٥٧﴾ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ نَظَرٌ رَحْمَةً، أَوْ لَا يَمْهَلُونَ لِيَعْتَذَرُوا ﴿١٥٩﴾ وَإِلَهُكُمْ ﴿١٦٠﴾ الْمُسْتَحَقُّ مِنْكُمْ لِلْعِبَادَةِ ﴿١٦١﴾ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْإِلَهِيَّةِ ﴿١٦٣﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٦٤﴾ تَقْرِيرٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّ^(١) يَتَوَهَّمُ أَنَّ فِي الْوُجُودِ إِلَهًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مِنْهُمْ ﴿١٦٥﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾ كَالْحُجَّةِ أَوْ هُوَ الْمَوْلَى لَجَمِيعِ النِّعَمِ، أَصُولُهَا وَفُرُوعُهَا، وَمَا سِوَاهَا أَمَّا نِعَمٌ أَوْ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، فَلَا مُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ غَيْرُهُ، قِيلَ: لَمَّا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَآتِ بَايَةَ تَصَدَّقَكَ، فَتَزَلْتَ.

[سورة البقرة الآيات ١٦٤-١٦٩]

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ

(١) وردت هكذا في بعض النسخ والظاهر أن الصحيح (لئلا).

يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا عمد من تحتها تمنعها من السقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع، وما في السماء من الشمس المنيرة في نهاركم لتتشتروا في معاشكم، ومن القمر المضيء في ليلكم لتبصروا في ظلماتها ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما، كل يخلف الآخر، الكادين^(١) عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وربيع^(٢) وخصب وقحط، وخوف وأمن، أو اختلافهما بالزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ بنفعهم،

(١) الكاد: هو المشتد في عمله.

(٢) كان الأولى به (قده) إضافة الخريف إكمالاً لنسق الكلام.

أوبالذي ينفعهم من المنافع التي جعلها الله مطاياكم، لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً، أولاً تقتضيكم علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرياح مؤنة تسييرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لوركدت عنها الرياح، لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغكم الحوائج إلى أنفسكم، والقصد به إلى الاستدلال بالبحر وأحواله، وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والإطلاع على عجائبه، ولذا قدم على ذكر المطر والسحاب لأن منشئهما البحر في غالب الأمر، وتأنيث الفلك لأنه بمعنى السفينة، وقرأ بضميتين على الأصل، أو الجمع وضممة الجمع غير ضمة الواحد ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أوما فوقه، و(من) للإبتداء ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ بيان (لما)، وإبلاً وهطلاً ورذاذاً^(١) لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معائشكم، لكنه ينزل متفرقاً من علا حتى يعم الأوهاد^(٢) والتلال^(٣) ﴿فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات ﴿وَبَثُّ﴾ فرق ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ منها ما هي لأكلكم ومعائشكم، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم أنعامكم، عطف على (أنزل) أي: وما بث، أو على (فأحيى) أي: وبث بالمطر من الدواب، لأنهم ينمون بالخصب، و(من) للبيان، أو التبعض ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ قلبها في مهابها، وأحوالها المربية لحبوبكم، المبلغة لثماركم، النافية لركود الهواء والإقتار^(٤) عنكم وأفردها حمزة والكسائي ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرياح قلبه ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) المطر الوابل: هو المطر الشديد الضخم القطر، والمطر الهاطل: هو المطر المتتابع بفرق مع كونه عظيم القطر أيضاً، وأما المطر الرذاذ: فهو المطر

الضعيف، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغبار.

(٢) جمع (وهد) وهي الأرض المنخفضة.

(٣) جمع (تل) وهي الأرض المرتفعة بعكس الوهد.

(٤) الاقتار: ضيق العيش.

يحمل أمطارها ويجري بإذن الله، وتصبها حيث تقرر ﴿الآيات﴾ دلائل على وجود الإله، ووحدته وعلمه وقدرته ولطفه وحكمته، وسعة رحمته من وجوه شتى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون فيها بعين عقولهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ ذُنُوبِ اللَّهِ أَزْدَادًا﴾ من الأصنام، أو الرؤساء الذين يتبعونهم، عن الباقر والصادق (ع): هم والله أولياء فلان وفلان ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: يعظمونهم كتعظيمه، ويسوون بينه وبينهم في محبتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله لأندادهم، لأن المؤمنين يرون الربوبية والقدرة لله لا يشركون به شيئاً، فمحبتهم خالصة له، وعن الباقر والصادق (ع): هم آل محمد (ص) أي: الذين آمنوا ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ حين يبصرونه في القيامة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ القدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ساذ مسد مفعولي (يرى) وجواب (لو) محذوف أي: لندموا أي ندم، وقرأ ابن عامر ونافع (ولوترى) على الخطاب للرسول، أي: لو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً، وابن عامر (إذ يرون) مبنياً للمفعول، ويعقوب (إن) بالكسر وكذا ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ على الاستئناف ﴿إِذْ تَبَرَّأُ﴾ بدل (من إذ يرون) ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ من الأتباع ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ بإضمار (قد) ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم من مودة أو قرابة أو إتباع أو عهد، وهو عطف على (تبرأ) ففנית حيلتهم لا يقدرّون على النجاة من عذاب الله بشيء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الأتباع ﴿لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً﴾ ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ﴾ هناك ﴿كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْهَا﴾ هنا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما تبرأ بعضهم من بعض

﴿رَبِّهِمْ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ خَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات مفعول ثالث لا يرى، وعن الصادق (ع) هو الرجل يدع ماله، لا ينفعه^(١) في طاعة الله بخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أو معصية الله، فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله، قوّاه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ عدل عن (وما يخرجون) مبالغة في الخلود، وإقناطاً من الكرة^(٢) إذ لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من أنواع ثمارها وأطعمتها، قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام ﴿حَلَالًا﴾ مباحاً مفعول (كلوا)، أو صفة مصدر محذوف، أو حال من (ما) ﴿طَيِّبًا﴾ مستلذاً، أو طاهراً من الشبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يخطوبه إليكم ويغريكم به من مخالفة الله، فتحرموا حلالاً وتحللوا حراماً، وسكن الطاء نافع و أبو عمر و حمزة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة وعن الباقر والصادق (ع): من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكل يمين بغير الله ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ القبيح، أو ما لا حد فيه ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ ما تجاوز الحد في القبح، أو ما فيه حد ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كاتخاذ الأنداد، والأولاد وتحريم الحلال، وتحليل الحرام، والافتراء عليه، والقضاء والفتوى بلا علم، والآية بيان لعداوته، وتحريم إتباعه وأمره.

(١) وردت هكذا في بعض النسخ والظاهر أنها (لا ينفعه).

(٢) العودة والرجوع الى الدنيا.

[سورة البقرة الآيات ١٧٠ - ١٧٦]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
 ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾
 وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً
 وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
 تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ
 وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
 الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي
 بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ

وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۖ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ في كتابه، قيل: الضمير للناس، وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم، كأنه التفت إلى العقلاء وقال: انظروا إلى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا ﴾ وجدنا ﴿ عَلَيْهِ آبَاءُنَا ﴾ من الدين والمذهب، نزلت في المشركين واليهود ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ﴾ من الدين ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ للحق، دلت على ذم التقليد، ووجوب إعمال البصيرة - ولو في من يقلده - ﴿ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في عبادتهم الأصنام، واتخاذهم الأنداد ﴿ كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ يصوت ﴿ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ منه ﴿ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴾ ولا يفهم ما يراد منه، وعن الباقر (ع) مثلهم في دعائك إياهم إلى الإيمان، كمثل الناقق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم، وإنما تسمع الصوت، يعني: أن مثل داعيهم كمثل داعي البهائم التي لا تسمع إلا تصويته ولا تفهم معناه ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ رفع على الدم خبر محذوف ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أمر الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ من مستلذاته، أو حلاله، والإضافة بيانية، إذ لا يكون الرزق إلا الحلال - كما مر في أول السورة - فيفيد المنع من أكل الحرام كالضار والنجس وكل خبيث ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ على ما رزقكم وأحل لكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ إن صح أنكم تخلصونه بالعبادة وتقرون أنه المنعم، فإن العبادة لا تتم إلا بالشكر وعن النبي (ص): (يقول الله: إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق، ويُعبد

غيري، أَرْزَقَ وَيُشْكِرْ غَيْرِي ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أكلها، أو الانتفاع بها، وهي: ^(١) ما مات بغير تذكية شرعية ﴿وَالدَّمَ﴾ مطلقاً، إلا ما خرج بدليل، كالمتخلف ^(٢) في اللحم ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ إنما خص اللحم مع حرمة جميعه، لأنه معظم ما يؤكل، والباقي كالتابع له ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ أي: رفع به الصوت عند ذبحه للصنم، أو ما لم يسم الله عليه ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل شيء من هذه المحرمات، وكسّر النون عاصم وأبو عمرو وحمزة، وضمتها الباقون ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللذة ^(٣)، أو على الإمام ^(٤) ﴿وَلَا عَادٍ﴾ حد الضرورة، أو بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ﴾ لا حرج ﴿عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمعاصي، فكيف مع الرخصة؟ ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة على عباده، والحصر إضافي بالنسبة إلى ما حرموه على أنفسهم، أوحين نزول الآية، فلا ينافيه تحريم الأمور الأخر بعدها، عن الصادق (ع): الباغي الذي يخرج على الإمام، والعادي الذي يقطع الطريق لا تحل لهما الميتة، وفي رواية: الباغي: الظالم، والعادي: الغاصب، وعنه (ع): من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير، فلم يأكل شيئاً من ذلك حتى يموت فهو كافر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة وغيرها، من نعت محمد (ص) وغيره ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا﴾ عوضاً ﴿قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملؤها، يقال أكل في بطنه وفي

(١) أي: الميتة.

(٢) المتبقي.

(٣) إذا كان مصدره (الإبتغاء) وهو الإرادة والطلب.

(٤) ويكون مصدره حبتل (البغي) وهو التعدي ومجاوزة الحد.

بعض بطنه ﴿إِلَّا النَّارُ﴾ في الحال، لأنه يؤديهم إليها فكأنهم أكلوها، أو المآل أي: يأكلونها في جهنم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما يحبون، ولكن بنحو (اخسؤا فيها)، أو (ذق) وعبر به عن غضبه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ من ذنوبهم، أولاً يشي عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم موجه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ في الدنيا، أي: الكفر بالإيمان ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة بكتمان الحق لأغراض كاسدة^(١) ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من التباسهم بموجبات النار بلا مبالاة، أي: ما أجراهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار، أو ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار، أو ما أجراهم على النار، أو ما أعملهم بأعمال أهل النار، والكل مروي ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فكتموه وكذبوه، وإن ما يوعدون به يصيبهم ولا يتخطاهم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن فمن قائل: إنه سحر، وآخر: أنه سفر، وثالث: كهانة، ورابع: أساطير الأولين، أو كتب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، كأن الحق في شق^(٢) وهم في آخر.

[سورة البقرة الآيات ١٧٧ - ١٨١]

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى

(١) لا ينبغي أن يرتجى أحدا لقلّة الرغبة فيها.

(٢) جانب.

أَلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
 السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
 وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
 وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
 يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحَرُّ بِالْحَرِّ
 وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۖ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ
 بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
 فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
 حَيَوةٌ يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ
 أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
 بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا
 إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ هو: الفعل المرضي ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾
 قيل: رد على الذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حولت
 مدعيًا كل طائفة إن البرَّ هو التوجُّه إلى قبلته، والمشرق قبلة النصارى، والمغرب قبلة
 اليهود، أي: ليس كل البرَّ أمر القبلة، وعن الصادق (ع) ما يقرب منه، ونصب حمزة
 وحفص (البرَّ) خبراً ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الذي يهتم به برَّ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ أو لكن ذا البرَّ من
 آمَنَ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صدَّق بالبدء والمعاد ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي: جنسه،
 أو القرآن، وخفف نافع وابن عامر (لكن) ورفعوا (البر) ﴿وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى
 حُبِّهِ﴾ للمال وشدة حاجته إليه، أوحب الله، أو الإيتاء ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ للمعطي،
 أو الرسول، وهو المروي ﴿وَالْيَتَامَى﴾ المحاويج منهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ من لم يجدوا
 نفقة السنة ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به، سمي ابنه للملازمة، وقيل: الضيف
 ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ من ألجأهم الفقر إلى السؤال ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ في ابتياعها لعتقها،
 أوفكها بمعاونة المكاتبين ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ بحدودها ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة
 فـ ﴿آتَى الْمَالَ﴾ يحتمل أن يراد به المندوبة، ويؤيده تفسير (ذوي القربى) بقرابة الرسول
 (ص)، أو المفروضة ويكون لبيان المصروف وهذا للحث عليها ﴿وَالْمُؤَفَّقُونَ بَعْدَهُمْ﴾
 إذا عاهدوا ﴿عطف على (من آمن)﴾ والصَّابِرِينَ ﴿نصب على المدح، ولم يعطف
 لفضل الصبر على سائر الأعمال﴾ فِي الْبَاسَاءِ ﴿الفقر﴾ والضَّرَاءِ ﴿المرض، القمي﴾
 قال: في الجوع والخوف والعطش والمرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ عند القتل ووقت
 القتال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا﴾ في الدين، وإتباع الحق وطلب البرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ﴾ من الكفر وسائر الرذائل، القمي: نزلت في أمير المؤمنين، لأن هذه الشروط
 لا توجد إلا فيه وفي ذريته الطيبين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن الصادق (ع) هي خطاب

للمسلمين ما هي للمؤمنين خاصة ﴿كُتِبَ﴾ ﴿فُرِضَ﴾ ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾ التعويض^(١) ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يفعل بالقاتل عمداً ما فعل بالمقتول، روي: أنه كان بين حين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما على الآخر طول، فأقسموا ليقتلن الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، والرجلين بالرجل، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله (ص)، فأمرهم أن يتكافئوا ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يقتص به ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ثم إن اعتبر المفهوم^(٢) من نفي قتل الحر بالعبد وبالعكس، والذكر بالأنثى وبالعكس، فهو مخصص بالسنة من منع قتل الحر بالعبد، ويعضده سبب النزول، وجواز قتل الذكر بالأنثى مع أداء نصف ديته، وكذا عكسه وقتل العبد بالحر، وقد يفهمان من الآية أيضاً، للأولوية أونسخ المفهوم بقوله (النفس بالنفس)، وأما على اعتبار المفهوم فلا إشكال ﴿فَمَنْ عَفِيَ﴾ ترك ﴿لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ من دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وضميراً له وأخيه له (من) وهو القاتل، وقيل: أراد بالأخ ولي الدم سمي (أخاً) ليعطف عليه بالعفو، أو قبول الدية ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾ فعلى العافي إتباع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لا يشدد في الطلب ﴿وَ﴾ على المعفوع عنه ﴿أَدَاءٌ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الولي ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ الدفع مع القدرة بلا مطل^(٣)، وعن الصادق (ع): ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية، وينبغي للذي عليه الحق أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه

(١) المجازاة بالمثل.

(٢) وردت هكذا في النسخة الخطية والظاهر انه سهو من قلمه المبارك والصحيح (إن لم يعتبر المفهوم) بقرينة قوله بعد ذلك: (وأما على اعتبار

المفهوم).

(٣) أي: بلا تأجيل موعد الوفاء مرة بعد الأخرى.

ويؤدي إليه يا حسان ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾
 إذ خيّركم بين القصاص والدية والعفو، روي: أن القصاص في شرع موسى، والدية
 حتماً كان في شرع عيسى، فجاءت الحنفية السّمة بتسوية الأمرين ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِغَدَا
 ذَلِكَ﴾ بأن يقبل الدية، أو يعفو، أو يصالح، ثم يجيء بعد فيمثل، أو يقتل، كما عن
 الصادق (ع) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ قيل: هو إيجاز حوى
 الفصاحة والبلاغة بجعل القصاص - وهو ضد الحياة - ظرفها، وتعريفه وتنكيرها^(١)
 لإفادة أن في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة، إذ العلم بالإقتصاص يردع القاتل
 عن القتل فيكون سبب حياة نفسه، ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
 فتثور الفتن بسببهم، فإذا اقتص من القاتل يسلم الباقيون فيصير ذلك سبباً لحياتهم
 ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول، نودوا للتفكر في حكمة القصاص من حفظ
 النفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل، خوفاً من القصاص ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
 أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ظهرت أسبابه وأماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: ما لا كثيراً، لما
 روي عن علي (ع): أنه دخل على مولى له في مرضه - وله سبعمائة درهم، أوستمائه -
 فقال: أ لا أوصي؟ قال: لا إنما قال الله (ان ترك خيراً) وليس لك مال كثير، وقيل:
 مطلق المال، ويمكن الجمع بوجود الوارث المحتاج وعدمه ﴿الْوَصِيَّةُ﴾
 مرفوع بـ (كُتِبَ)، وتذكيره بتأويل: أن توصوا، ولذا ذكر الراجع في بدله وللفضل
 ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل، فلا تتجاوز الثلث ولا يفضل الغني
 ولا يضر بالوارث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ مصدر مؤكد، أي: حق ذلك حقاً، سئل الباقر (ع)
 عن الوصية للوارث فقال: تجوز، ثم تلا هذه الآية، ونحوه غيره، وعن الصادق (ع):

(١) أي: تعريف (القصاص) بـ (ال) وتنكير (حياة) بـ (ال).

إنه شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر، قيل: لذلك حد محدود؟ قال: نعم قيل: كم؟ قال: أدناه السدس وأكثره الثلث، وروى: أنها منسوخة بآية المواريث، وحملت على التقية، أو نسخ الوجوب ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: غير ذلك الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وتحققه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ فما إثم التبديل ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ لأنهم الذين خافوا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمبدل.

[سورة البقرة الآيات ١٨٢-١٨٦]

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٦﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ توقع وعلم ﴿مِنْ مُّوصٍ﴾ وشدد حمزة والكسائي ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق في الوصية خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمداً للحيف، ^(١) كما عن الباقر (ع): ميلاً عن الحق بالخطأ، أو التعمد، وعن الصادق (ع) يعني: إذا اعتدى في الوصية، وزيد في آخر: وزاد على الثلث، وعن علي (ع): إن الحيف في الوصية من الكبائر ﴿فَأَصْلَحَ يَتَنَّهُمْ﴾ بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تبديل الباطل إلى الحق، بخلاف العكس ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ به فكيف المصلح المستحق للأجر؟ وعن الباقر (ع): فمن بدله نسخها فمن خاف يعني الموصى إليه ان خاف جنفاً من الموصي فيما اوصى به إليه، فيما لا يرضى الله به من خلاف الحق، فلا اثم على الموصى إليه أن يرده إلى الحق، وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير، ونحوه آخر، وزاد: ان الله اطلق للموصى إليه أن يغير الوصية إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها حيف ويردها إلى المعروف، ونحوه غيره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فَرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ هولغة: مطلق الإمساك، وشرعاً: إمساك مخصوص، وعن الصادق (ع):

(١) الحيف: هو الظلم والجور.

هي تجمع الضلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة الظاهرة، أقول: فتخصيص المؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بها دون غيرهم، وعنه (ع): لذة النداء أزال تعب العبادة والعناء ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ مثل كتابته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأنبياء والأمم من لدن آدم، وفيه ترغيب وتطيب للنفوس، والتشبيه في أصل الصوم، وقيل: في العدد والوقت، كما روي: ان رمضان كُتِبَ على النصارى فوقع في حرٍّ، أوفي برد شديد، فحولوه إلى الربيع، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله، وعن النبي (ص): إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، ففرض على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، ثم تلا (ص) هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به المعاصي، فإنه يقمع الشهوة، كما قال (ص): خصاء أمتي الصوم ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ محصورات وقلائل، ونصبها بالصيام - وإن وُجِدَ الفضل - إذ الظرف يكفيه الرائحة ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ بحيث يضر به الصوم، ويعسره (ولا يريد بكم العسر) ^(١) ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه صوم عدة أيام المرض، أو السفر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ جمع (أخرى)، ولم يصرف للوصف والعدل، وهو صريح في الوجوب، ودعوى انه رخصة وإضمار (فأفطر) خلاف الظاهر ولا دليل عليه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وهم الذين يكون الصوم بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقة وعسر لأن الوسع دون الطاقة و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ^(٢) ﴿فِدْيَةٌ﴾ عن كل يوم ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ إن أفطروا، وعن الباقر (ع): الذين يطيقونه: الشيخ الكبير، والذي يأخذه العطاش، وفي

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

رواية: المرأة تخاف على ولدها، والشيخ الكبير وعن الصادق (ع) في رجل كبير ضعف عن صوم شهر رمضان قال يتصدق عن كل يوم بما يجزي من طعام مسكين، وفي رواية: لكل يوم مُد،^(١) وأضاف نافع وابن عامر فدية إلى طعام، وجمعاً المساكين، وأفرده الباقون ولم يضيفوا فدية، وقيل: التقدير: على الذين كانوا يطيقون الصوم فلم يطيقوه الآن - لمرض أو عطاش أو كبر - أو أفطروا لمرض أو سفر، ثم زال عذرهم واطاقوا ولم يقضوا حتى دخل رمضان، وقيل: كان القادرون على الصوم مخيرين بينه وبين الفدية، ثم نسخ بقوله (فمن شهد) ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد في الفدية، أو على الواحد ﴿فَهُوَ﴾ فالتطوع، أو الخير ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيقون ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوع الخير، بشرط عدم الضرر ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة والمصالح، أي: لاخرتموه، وإن كنتم من اهل العلم والتميز علمتم أنه خير لكم، فالجزاء محذوف ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبر لمحذوف، أي: الأيام المعدودات، أو مبتدأ خبره (الذي)، أو هو صفته والخبر (فمن شهد)، وعن الصادق (ع): إنما فرض الله تعالى صيام شهر رمضان على الأنبياء - دون الأمم - ففضل الله به هذه الامة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله (ص) وعلى أمته ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، أو ابتداء نزوله فيه، أو أنزل في شأنه، أو نزل بيانه وتأويله في ليلة القدر ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ حالان من القرآن، أي: أنزل وهو هداية للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق، ويفرق به بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام، وعن الصادق (ع): القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر غير

(١) مكيال قديم يكال به الطعام يقدر الآن بثلاثة أرباع الكيلو تقريباً.

مسافر ولا مريض ﴿ مِنْكُمْ الشَّهْرَ ﴾ كله أو بعضه، ونصبه على الظرف كالضمير في (فليصمه) أي: فليصم فيه، عن الصادق (ع) ما أئينها من شهد ﴿ فليصمه ﴾ من سافر فلا يصمه، ويدل على حجية مفهوم الشرط ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ مخصص لسابقه لأن المسافر والمريض ممن شهد الشهر، ولعل تكريره لذلك، أو لوجوب الإفطار والقضاء، ولا يفيد وجوب التابع، وقراءة (متابعة) شاذة لا عمل بها ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ في جميع أموركم ﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في السفر والمرض، ولم يكلفكم الصوم ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ علة الأمر بمراعاة عدة ما أفطر فيه، وشدد أبو بكر (تكمّلوا) ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ علة لتعليم كيفية القضاء، أي: لتعظموه بالشاء عليه على هدايتكم إلى العلم بكيفية العمل، أو على الذي هداكم إليه ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ علة اليسر وإسقاط الصوم، ففيه لف ونشر، أو الكل معطوف على علة مقدرة مثل (ليسهل عليكم ولتكمّلوا) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ نزلت حين سألوا أ قريب ربنا فتناجيه؟ أم بعيد فتناديه؟، وقربه عبارة عن إحاطته بالأشياء علماً وقدرة ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ تقرير للقرب، ووعد للداعي بالإجابة - عاجلاً أو آجلاً - بما سئل، وبما هو خير منه بحسب المصلحة، وأثبت ورش وأبو عمرو الباء فيهما وصلاً ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أمر باحداث الإيمان والثبات عليه، أو بالتصديق بقدرته على الإجابة، وفتح ورش الباء ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ راجين إصابة الحق، سئل الصادق (ع)

حين قرأ (آمن يجيب المضطر إذا دعاه)^(١) ما بالنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسالون ما لا تفهمون، وقيل له (ص) في - قوله ادعوني - ما بالنا ندعو ولا نرى إجابة؟ قال: أفترى الله أخلف وعده؟! قيل: لا، قال: فمم ذلك؟ قيل: لا أدري قال: لكني أخبرك من أطاع الله فيما أمره، ودعاه من جهة الدعاء فابتداء فتحمد الله وتذكر نعمه عندك، ثم شكره، ثم تصلي على النبي (ص) ثم تذكر ذنوبك فتقر بها، ثم تستعذ منها، فهذا جهة الدعاء، وعنه (ع): (ان العبد ليدعوفيقول الله للملكين قد استجبت له، ولكن احبسوه بحاجته فاني أحب ان اسمع صوته، وان العبد ليدعوفيقول الله عجلوا حاجته فاني ابغض صوته)، وقيل له (ص): انا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: (لأنكم لا توفون بعهده وان الله يقول: (أوفوا بعهدي أوف بعهديكم)^(٢) والله لووفيتم لله لوفى لكم)، وعنه (ع): (من سره ان يستجاب له فليطيب مكسبه).

[سورة البقرة الآيات ١٨٧ - ١٩٠]

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٤٠.

مِنَ الْفَجْرِ^ط ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَّامَ إِلَى الْإِيلِ^ع وَلَا تُبَشِّرُوهُ^ب وَأَنْتُمْ
عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ^ط تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا^ط كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ^ط قُلْ هِيَ
مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ^ط وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى^ط وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا^ع وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾

﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَّامِ﴾ التي يصبح منها صائماً ﴿الرَّقْطُ﴾ أصله: القول
الفاحش، فكنى به عن الجماع لأنه من لوازمه ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عدى بـ(إلى) لتضمنه
معنى الإفشاء، وإيثاره هنا لتقبيح ما ارتكبه، ولذلك سمّاه (خيانة)، عن الصادق (ع):
(كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل
والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له (مطعم بن جبير) نام قبل
أن يفطر، وحضر الخندق فأغمي عليه، وكان قوم من الشباب ينكحون سراً، فنزلت

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ إشتاف يبين سبب الإحلال، وهو صعوبة الصبر عليهن وكثرة مخالطتهن ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ بالمعصية المؤدية إلى العقاب، و(الإختيان) أبلغ من الخيانة، كالاكتساب من الكسب ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، أو لما تبتم مما اقترفتموه، و(عفا): محاذيره عنكم ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ لما نسخ عنكم التحريم والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كناية عن الجماع ﴿ وَابْتَغُوا ﴾ اطلبوا ﴿ مَا كَتَبَ اللَّهُ ﴾ وَقَدَرَهُ ﴿ لَكُمْ ﴾ من الولد، إذ حكمة شرع النكاح التناسل لا مجرد قضاء الوطر، ويدل على مرجوحية وطء الدبر والعزل ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ ﴾ يَظْهَرَ ﴿ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ﴾ الفجر المعترض في الأفق ﴿ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ ما يمتد معه من ظلمة الليل شُبِّهَا بِخَيْطَيْنِ أبيض وأسود ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه، أو للتبعيض، أي: بعض الفجر وأوله، وعن الصادق (ع): (وهو يياض النهار من سواد الليل)، وفي آخر: (هو الفجر الذي لا شك فيه)، وفي آخر: (ليس هو الأبيض صعداً)^(١). وسئل (ع): أكل في شهر رمضان بالليل حتى أشك؟ قال: كل حتى لا تشك، وظاهر الآية حل الرفث والمباشرة في جميع الليل إلى الفجر، فلا يشترط الصوم بالغسل ليلاً - كما صار إليه الصدوق - وبه جملة من الأخبار، إلا أنها مقيدة بأخبار آخر أكثر عدداً وأصح سنداً، والأولى محمولة على التقية، ومع كون الغاية للشرب المتأخر أولى، أوللاًكل أيضاً لأنها كشيء واحد وغاية المباشرة تعلم من السنة ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ بيان آخر وقت الصيام ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ

(١) أي المرتقي الى جهة العلو.

عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴿التي يجوز الاعتكاف فيها، والاعتكاف لبث فيه^(١) على وجه مخصوص ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ ومناهيه ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ بالمخالفة، والنهي عن قربها مبالغة في منع التعدي ﴿كَذَلِكَ﴾ البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعدي حدوده ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ بالوجه الذي لا يحل ولم يشرعه، وعن الباقر (ع): (يعني بالباطل: اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال) ﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ عطف على (تلقوا)^(٢) أي: ولا تلقوا أمرها ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أُنصب بإضمار (ان) ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ بموجب الإثم كاليمين الكاذبة وشهادة الزور ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنكم مبطلون، فإن إرتكاب الذنب مع العلم به أقبح، عن الصادق (ع): (كانت قريش تقامر الرجل في اهله وماله فنهاهم الله)، وعنه (ص): (لم يعن حكام أهل العدل ولكنه يعني حكام أهل الجور) ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنْ﴾ احوال ﴿الْأَهْلِ﴾ في زيادتها ونقصانها ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ معالم يوقّت بها الناس أمورهم وعباداتهم سيما الحج، فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء، وعن الصادق (ع): (لصومهم وفطرهم وحجهم) ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾ ضم الباء أبو عمرو وورش وحفص، وكسرها الباقون ﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾ عن الباقر (ع): (كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، ولكنهم كانوا يثقبون في ظهور بيوتهم وفي مؤخرها ثقباً يدخلون ويخرجون منه) ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ برّ ﴿مَنْ اتَّقَى﴾ ما حرّم الله -

(١) في المسجد.

(٢) وردت هكذا في النسخة الخطية والصحيح: (عطف على «تأكلوا») كما هو واضح .

كما عن الصادق (ع) - واتصل بما قبله لأنه من أفعالهم في الحج فذكر بعد ذكر أنها مواقيته إستطراداً، أولأنهم سألوا عنهما ﴿ وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ إذ لا برّ في العدول، وعن الباقر (ع): (يعني: أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور كان)، وعن علي (ع): (البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء وأبوابها وأوصياؤهم)^(١) وعنهم (ع): نحن البيوت التي أمر الله أن تؤتى أبوابها ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في تغيير أحكامه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تظفروا بالهدى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ جاهدوا في دينه لإعزازه ﴿ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ أي: لا الكافرين عنكم، وعنهم (ع): هي ناسخة لقوله تعالى (كفوا أيديكم)^(٢)، أو منسوخة بـ(قاتلوا المشركين كافة)^(٣)، أو أريد بهم من يتوقع منهم القتال ليخرج الشيوخ والصبيان والنساء فلا نسخ، أو أهل مكة، روي: أنهم صدوا الرسول (ص) عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فرجع لعمره القضاء، وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك، فنزلت ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ بابتداء القتال، أو بقتال من نهيتهم عن قتاله، أو بالمثلثة، أو بالمفاجأة بدون دعوة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ لا يريد لهم الخير.

(١) الظاهر ان الصحيح: (وأبوابها وأوصياؤهم).

(٢) سورة النساء الآية ٧٧.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٦.

[سورة البقرة الآيات ١٩١-١٩٦]

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ^١
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ^٢ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ
يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ^٣ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ^٤ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾
فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ^٥ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ
الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ^٦ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ^٧ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ^٨ وَأَحْسِنُوا^٩ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَاتِمُّوا الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ^{١٠} فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ^{١١} وَلَا تَحْلِقُوا
رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ^{١٢} فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ
أَذًى^{١٣} مِنْ رَأْسِهِ ففِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ^{١٤} فَإِذَا أَمِنْتُمْ

فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ^١ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ^٢ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ^٣
ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في حل او حرم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ
حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي مكة، وفعل ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾
أي: البلاء الذي يحل بالإنسان كالأخراج من الوطن ﴿أَشَدُّ﴾ أصعب ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾
أوشركهم في الحرم أشد من قتلهم إياهم الذي عابوكم به ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لا تقاتلوهم بالقتال وهتك حرمة الحرم
﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فإنهم الذين هتكوا حرمة، وقرأ حمزة والكسائي (ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم) بإرادة البعض ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل
بهم كفعالهم ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن القتال والشرك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما
سلف ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك - كما عن الباقر (ع) - ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾
خالصاً ﴿لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا عقوبة عليهم وإنما
هي على الكافرين، وسمي جزاء الظلم ظلماً^(١) للمشاكلة كما في: (جزاء سيئة سيئة مثلها)^(٢)

(١) كان الأولى أن يقال: (وسمي جزاء الظلم عدواناً) إذ أن الوارد في الآية هو (العدوان) وليس الظلم.

(فاعتدوا عليه)^(١) وروى: لا عدوان إلا على ذرية قتل الحسين (ع)، ونحوه غيره، وعلل في آخر: لرضاهم بفعل آبائهم ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قيل: قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمره القضاء فيه، فكروها أن يقاتلوهم لحرمة، فقبل لهم هذا الشهر بذلك، وهتك بهتكه، فلا تبالوا به، وعن الباقر (ع) نحوه ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: كل حرمة يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله ولا تباكوا وأكده قوله ﴿فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فجازوه بمثل فعله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تعتدوا في الانتصار ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فينصرهم ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر والجهاد ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ تطرحوا ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم، و(الباء) زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه، فإنه يؤدي إلى الهلاك بتقوية العدو، أو بالإسكاف وحب المال، وعدّي بـ (إلى) لتضمنه الانتهاء، أو المعنى: لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ الأعمال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المقتصدين ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ أدوهما تامين بشرائطهما، واقيموهما إلى آخر ما فيهما ﴿لِلَّهِ﴾ لوجهه خاصة فيفيد وجوبهما ابتداء، وقد تفيد وجوب إتمامهما مندوبين بعد الشروع، وعن الصادق (ع): (تمامهما اجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحج)، وفي آخر: (يعني بتمامهما: أدائهما، واتقاء ما يتقي المحرم فيهما)، وفي آخر: (من تمام الحج والعمرة: ان يحفظ المرء لسانه إلا من خير)، وعنهم (ع): (إتمام الحج ختمه

بزيارتهم ﴿ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ ﴾ منعتم عن أحدهما محرمين، و(الحصر) و(الإحصار): المنع، كالصدّة والاصداد، وظاهر الأصحاب والأخبار اختصاص الحصر بالمرض والصدّة بالعدو لا اختلافهما حكماً، وعزى الطبرسي تعميم الحصر فيهما إلى أئمتنا (ع) ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾ فعليكم، أو فاهدوا ما تيسر ﴿ مِنْ الْهَدْيِ ﴾ بدنة، أو بقرة، أو شاة للإحلال ﴿ وَلَا تَخْلُقُوا رِوَسَكُمْ ﴾ لا تحلّوا ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ حتى تعلموا بلوغه مكانه الذي يذبح فيه، وهو في المرض للحاج منى يوم النحر، وللمعتمر مكة في الساعة التي وعد المبعوث معهم، وفي العدو مكانه الذي صدّ فيه حين يريد الإحلال، وربما خير في المرض بين ذلك والبعث، والأخبار مختلفة ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً ﴾ مرضاً محوجاً للحلق ﴿ أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ كقمل أو غيره ﴿ ففِدْيَةٌ ﴾ أي: فحلق، فالواجب فدية، ﴿ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ ﴾ بيان لجنس المفدى، وعن النبي (ص): الصيام ثلاثة أيام، والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين صاع من تمر والنسك شاة ونحوه غيره، وفي آخر: فالصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين صاع^(١) من تمر، والنسك شاة لا يطعم منها أحداً إلا المساكين ﴿ فَإِذَا أُمِيتُمْ ﴾ المرض، أو المرض والعدو، أو كنتم في حال سعة وأمن ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ ﴾ انتفع بالتقرب بها ﴿ إِلَى ﴾ الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج ﴿ الْحَجِّ ﴾ في أشهره، وانتفع بإحلاله منها باستباحة ما حرم عليه إلى أن يحرم بالحج ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾ فعليه ما تيسر ﴿ مِنْ الْهَدْيِ ﴾ فهو واجب على المتمتع يذبحه بمنى يوم النحر ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ هدياً قيل: ولا ثمنه ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي ﴾ وقت ﴿ الْحَجِّ ﴾

(١) الصاع: مكيال قديم تكال به الحبوب ونحوها يقدر الآن بثلاثة كيلوات تقريباً.

وأيام الاشتغال به سابع ذي الحجة، وثامنه، وتاسعه، فإن فاته فيها فبعد أيام التشريق من ذي الحجة، عن الصادق (ع): يوم قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، قيل: فإن فاته ذلك قال: يتسحر ليلة الحصة ويصوم ذلك اليوم ويومين بعده، قيل: فإن لم يقم عليه جماله يصومها في الطريق؟ قال: إن شاء صامها في الطريق، وإن شاء إذا رجع إلى اهله ﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم، فإن بدا له الإقامة بمكة إنتظر مقدم أهل بلاده، فإذا ظن أنهم قد وصلوا فليصم السبعة أيام، كذا في الكافي عنهم (ع) ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ فذلك الحساب، أي: مجمل تفاصيله وفائدتها أن لا يتوهم أن (الواو) بمعنى (أو)، أولي علم العدد جملة كما علم تفصيلاً، وإن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة، كما قد يطلق عليها ﴿كَامِلَةٌ﴾ في بدلية الهدى لا تنقص عن الأضحية الكاملة - كما عن الصادق (ع) - أوصفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد، أو مينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عن الباقر (ع): ذلك أهل مكة ليس لهم متعة ولا عليهم عمره، قيل: مما حد ذلك؟ قال: ثمانية وأربعون ميلاً من جميع نواحي مكة دون عسفان وذات عرق^(١) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه - سيما في الحج - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف ليمنعكم العلم بذلك عن الخلاف .

(١) عسفان وذات عرق : اسمان لمنطقتين معروفتين بالحجاز.

[سورة البقرة الآيات ١٩٧-٢٠٢]

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
 فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ
 وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾
 لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ
 مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا
 هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا
 مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ
 أَشَدَّ ذِكْرًا ۚ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿ الْحَجُّ ﴾ أي: وقت إحرامه ومناسكه ﴿ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ هي: شوال وذو القعدة وذو الحجة - كما في عدة أخبار - وفي بعضها: (وعشر من ذي الحجة)، وعن الباقر والصادق (ع): (ليس لأحد أن يحج فيما سواه من، ومن أحرم بالحج في غير أشهر الحج فلا حج له) ﴿فَمَنْ قَرَضَ﴾ أي: أوجب على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجُّ﴾ تمتعاً أو غيره بحيث يلزمه إتمامه، وعن الصادق (ع): (الفرض التلبية والاشعار والتقليد، فأى ذلك فعل فقد فرض الحج ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في أيامه، عن الصادق (ع): (الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسباب، والجidal: قول الرجل لا والله) و(بلى والله) ونحوه غيره، وزاد في الجidal الشاة، وفي الفسوق بقرة، والرفث: فساد الحج، وأريد بنفي الثلاثة النهي وخص الحج، ومنها ما يحرم مطلقاً لأنه في الحج أشد كلبس الحرير في الصلاة ورفع أبو عمرو، وابن كثير الأولين، وفتح الباقون الثلاثة ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ﴾ يجازيكم به، ولا يضيعه لعلمه ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ لمعادكم التقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، ويكونون كلاً^(١) على الناس، فأمرُوا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام^(٢) في السؤال ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ خصوا بالخطاب لأن مقتضى العقل خشية الله وتقواه، واثبت أبو عمرو والباء وصلاً ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ في أن تطلبوا ﴿فَضْلاً﴾ رزقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة، قيل: كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع ذلك، أو مغفرة منه، وعن الصادق (ع): (فضلاً من

(١) الكل (بفتح الكاف): الشخص الثقيل الذي يسبب العناء والمشقة للآخرين.

(٢) أي: يجتنبون مضايقة الناس وإزعاجهم.

ربكم) يعني: الرزق، إذا أحلّ الرجل من إحرامه وقضى نسكه فليشترِ وليبع في الموسم ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ ﴾ دفعتم أنفسكم بكثرة، من أفاض الماء إذا صبه بكثرة ﴿ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ ومضيتم إلى المزدلفة، وسمي الموقف (عرفات) لأن إبراهيم (ع) عرفه بعد وصفه له، أول قوله: (عرفت) حين أراه جبرئيل المناسك، أول أن آدم وحواء إلتقيا وتعارفا، أولتعارف الناس فيه، وهو جمع سمي به، وانما نوّن وكسر وفيه التعريف والتأنيث لأن تاءه ليست للتأنيث، بل هي مع الألف علامة الجمع، وهي تمنع من تقدير تاء فيه لأنها كالبدل لها لإختصاصها بالمؤنث كتاء (بنت) ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بآلائه ونعمائه والصلاة على النبي (ص) وآله (ع)، أو بالتسبيح ونحوه ﴿ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ موضع محدود كمعرفة، سمي (مشعراً) لأنه مغلّم العبادة، و(حراماً) لحرمة ﴿ وَادْكُرُوا ﴾ بالثناء والشكر ﴿ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ يازاء هدايته إياكم، فبالحري^(١) أن يذكر، أو كما علمكم المناسك وغيرها ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: قبل الهدى ﴿ لِمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ الجاهلين بالإيمان والعبادة، واللام فارقه ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ يا معشر قريش ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من عرفات، وفي عدة أخبار: كانت قريش وحلفاؤهم لا يقفون مع الناس بعرفات ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج من الحرم، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه، وعن الصادق (ع): يعني به الناس: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم ممن أفاض من عرفات، وعنهم (ع): (نحن الناس)، قيل: (ثم) لتفاوت ما بين الإفاضتين في الرتبة ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ من ذنوبكم بالندم

عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كثير المغفرة والرحمة ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ فرغتم من أفعال الحج ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكراً كثيراً ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ صفة المصدر المحذوف ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على (كذكركم) أي: أَوْ ذكراً أشد ﴿ذِكْراً﴾ تمييز، أي: أشدّيته تكون من حيث كونه ذكراً لا من جهة أخرى، أو على ذكركم بجعله بمعنى الداكر، أي أو كذاكر أشد، في تفسير الإمام خيرهم بين ذلك، وعن الباقر (ع): كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك، يعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم، ويذكرون أيامهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع، أو أشد ذكراً ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ تقسيم للذاكرين إلى طلب^(١) بذكره عرض الدنيا، وطالب به خير الدارين ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ عطاءنا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ خاصة ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ من نصيب، لقصرهم على الدنيا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالصحة والأمن والكفاف وتوفيق الخير ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ كالرضوان والجنة والرحمة والزلفى^(٢) ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالعفو والمغفرة، وعن الصادق (ع): رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا، وعن علي (ع): (في الدنيا المرأة الصالحة) وفي الآخرة: الحوراء وعذاب النار وامرأة السوء ﴿أُولَئِكَ﴾ الداعون بهذا الدعاء ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من ثواب ما كسبوا، أي من جنسه وهو جزاؤه، أو من أجله، أو أن العمل يتجسم كما في النبوي: إنما أعمالكم تُرَدُّ إليكم ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلائق كلهم

(١) الظاهر ان الصحيح «طالب».

(٢) المنزلة والمكانة العالية.

على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمح البصر، كما في الخبر عن علي (ع):
يحاسب الخلائق كلهم دفعة كما يرزقهم دفعة.

[سورة البقرة الآيات ٢٠٣ - ٢١٠]

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ
جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي ظِلِّ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَيْكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٤٤﴾

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ كَبْرُوهُ ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ، إِلَى فَجْرِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَنْ كَانَ بِمَنَى، وَفِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ إِلَى عَشْرِ صَلَوَاتٍ وَالتَّكْبِيرِ: (اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، كَذَا عَنْهُمْ (ع) ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ اسْتَعْجَلَ النَّفَرِ مِنْ مَنَى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، إِذَا فَرَّغَ مِنْ رَمِي الْجِمَارِ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بِتَعْجِيلِهِ ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إِلَى الثَّالِثِ فَنَفَرَ فِيهِ، أَيَّ وَقْتٍ شَاءَ بَعْدَ الرَّمْيِ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رَفَعَ لَتَوَهُمِ الْإِثْمِ بِالتَّأَخُّرِ لَوَاقْتَصِرَ عَلَى نَفْيِهِ بِالتَّعْجِيلِ، قَالَ الصَّادِقُ (ع): لَوْ سَكَتَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا تَعَجَّلَ وَلَكِنَّهُ قَالَ: (وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) أَوْ نَفْيِهِ فِيهِمَا لِلتَّخْيِيرِ بَيْنَهُمَا، وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ مِنْهُمْ مَنْ أَثِمَ الْمَتَّعِجِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثِمَ الْمَتَّأَخَّرَ ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ أَيُّ: ذَلِكَ التَّخْيِيرَ لِلْمُتَّقِيِ الْمَعَاصِي، لِأَنَّهُ الْحَاجُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَوْلَمَنِ اتَّقَى الصَّيْدَ وَالنِّسَاءَ فِي إِحْرَامِهِ، وَعَنْ الْبَاقِرِ (ع): (لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ)، وَعَنْ الصَّادِقِ (ع): (لِمَنِ اتَّقَى الصَّيْدَ فِي إِحْرَامِهِ، فَإِنْ أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَنْفِرَ فِي النَّفَرِ الْأَوَّلِ)، وَعَنْهُ (ص): (لِمَنِ اتَّقَى الصَّيْدَ حَتَّى يَنْفِرَ أَهْلُ مَنَى فِي النَّفَرِ الْأَخِيرِ)، وَعَنْ الْبَاقِرِ (ع): (لِمَنِ اتَّقَى مِنْهُمْ الصَّيْدَ) وَاتَّقَى الرِّفْثَ وَالْفُسُوقَ وَالْجِدَالَ وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي إِحْرَامِهِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي مَجَامِعِ أُمُورِكُمْ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ تَرْجِعُونَ إِلَى مَوْضِعِ حُكْمِهِ، فَيَجَازِيكُمْ بِمَا عَمَلْتُمْ ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمَرَاثِي، وَقِيلَ: فِي الْمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: فِي ابْنِ شَرِيقٍ ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ يَرُوقُكَ، وَيَعْظُمُ فِي قَلْبِكَ ﴿فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ﴿ متعلق به (القول) أي: ما يقوله في معنى الدنيا، إذ هي مراده ومن ادعاء الإسلام والمحبة، أو به (يعجبك) أي: يعجبك في الدنيا قوله حلاوة وفصاحة، ولا يعجبك في الآخرة للدَّهْشَةِ، أولأنه لا يؤذن له في القول ﴿ وَيُشْهَدُ اللَّهُ ﴾ يحلف به ويستشده ﴿ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ أي: أنه مضمّر ما يقول ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ جمع (خصم) أي: أشد الخصوم خصومة، أو مصدر أي: شديد المخاصمة والجدال ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ ذهب عنك، أو صار والياً ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ فِيهَا وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ كما فعل الأخنس بثقيف^(١) إذ يَتَّهِمُ^(٢) وأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاية السوء بالقتل والإتلاف وإهلاك الزرع، وإفساد وقتل الحيوان فيقطع نسله. وعن الصادق (ع): (الحرث في هذا الموضع: الدين، والنسل الناس)، وعن علي (ع): (يهلك الحرث والنسل بظلمه وسوء سيرته). ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ لا يرضاه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ ودع سوء صنّيعك ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ حملته الانفة، وحمية الجاهلية على الإثم الذي أمر باتقائه، من (أخذته بكذا) ألزمته به ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ كفته عقوبة ﴿ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ جواب قسم مقدر، وحذف المخصوص بالذم للعلم به، و(المهاد) الفراش، أو الوطاء تهكم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ يبيعها ويبدلها ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ طلباً لرضاه، قد تظافرت الأخبار في نزولها في عليّ حين هرب إلى الغار^(٣) ويات على فراشه يفديه نفسه، وعن علي (ع) المراد بالآية: (الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) أقول: أي: هي عامة - وإن

(١) قبيلة معروفة من قبائل العرب.

(٢) يَتَّهِمُ: أي: هجم عليهم ليلاً.

(٣) في هذه العبارة سقط واضح، فالإمام علي (ع) لم يهرب إلى الغار. الأولى أن يقال: (حين ذهب النبي (ص) إلى الغار ويات...)

نزلت خاصة - وفي تفسير الإمام: هؤلاء خيار أصحاب رسول الله (ص) عذبهم أهل مكة ليفتنوهم عن دينهم: فمنهم بلال وصهيب وخباب وعمار بن ياسر وأبواه ﴿وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ يبلغهم أقصى أمانهم ويزيدهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ الانقياد والطاعة، فتحه ابن كثير ونافع والكسائي، وكسره الباقون، وعن الصادق (ع): (ولاية علي والأئمة)، وفي تفسير الإمام: في المسالمة إلى دين الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ جملة، من كف كأنهم كفوا تفرقهم باجتماعهم، حال من الضمير أو السلم أي: دوموا على الطاعة، أو أطيعوا جميعاً، أو الزموا أحكام الإسلام جميعاً، والخطاب للمؤمنين، أو المنافقين، أو مؤمني أهل الكتاب، إذ سألوا النبي الإقامة يوم السبت وتحريم الإبل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بتفرقكم، أو تفريقكم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهر للعداوة ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عما أمرتم به من الدخول في السلم وغيره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج والشواهد ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يبطش إلا بالحق ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه: النفي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أمره، أو بأسه، أو يأتيهم بنقمته ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع (ظلة) وهي ما أظلك ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب الأبيض الذي هو مظنة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب كان أصعب ﴿وَ﴾ تأتي ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ إن قرأ بالرفع، وبهم إن قرأ بالجر، وعن الرضا (ع): (نزلت: «إِنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ») ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من أمر إهلاكهم، وعبر بالماضي لتحقيق وقوعه ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بالبناء للفاعل عند ابن عامر وحمزة والكسائي، وللمفعول عند الباقين.

[سورة البقرة الآيات ٢١١ - ٢١٥]

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ۖ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً
 وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا
 الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن
 يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا
 حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ
 اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِنْ خَيْرٍ

فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أمر للرسول (ص)، أولكل واحد، والسؤال تقريع^(١) ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ معجزة واضحة على أيدي أنبيائهم، أو حجة في الكتب على صدق محمد (ص)، و(كم) استفهامية مقررّة، أو خبرية ومحلها النصب بالمفعولية، وعن الصادق (ع): (كان يقرأ «كم آتيناكم من آية بيّنة فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ ومنهم من بدل»). ﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ آياته التي هي سبب الهدى والنجاة اللّذين هما من أجلّ النعم يجعلها سبب الضلال، أو بالتحريف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ من بعد ما عرفها، أو تمكن من معرفتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له، أولمن عصاه ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حسنّها الشيطان في أعينهم، وحبّبها إليهم، فلا يريدون غيرها، أوزينها الله بخلق المشتبهات فيها والشهوة فيهم، إذ التكليف إنما يتم بها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يهزئون بهم لفقرهم، أولزهدهم في الدنيا، و(من) للابتداء ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عبّر بهم عن الذين آمنوا ليفيد أنهم متقون، وإن استعلاءهم بالتقوى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنهم في (عليين) وهم في (سجّين) أولأنهم في كرامة وهم في هوان، أولاستطالتهم عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير، فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاءً أخرى، ويعطي

(١) التقريع: ما يوجه الى شخص من لوم عنيف على أمر فعله بنية إصلاحه.

وفناء الصبر، ورفع نافع (يقول) حكاية بحال ماضيه ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ معناه: طلب النصر وتمنيه ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إستئناف، أي: فليل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ روي: كان عمرو بن الجموح شيخاً ذا مال، فقال للنبي (ص): بَمَ أَتَصَدَّقُ؟ وعلى مَنْ أَتَصَدَّقُ؟ فنزلت، وكان المراد: ما ينفقون على الوجه الكامل، فدخل المصرف بقرينة سؤال عمرو ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي مال، بيان للمنفق ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ بيان للمصرف ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط جوابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعه، قيل: منسوخة بفرض الزكاة، وقيل: لا نسخ لجواز إعطائها المذكورين لا على وجه النفقة، وقد تحمل على الإنفاق الواجب والمندوب، أو المندوب فقط.

[سورة البقرة الآيات ٢١٦-٢١٩]

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ

يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٧﴾
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ
 لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
 الْغَفْوُ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٨﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ صعبٌ عليكم، مكروهٌ طبعاً، وصف
 بالمصدر مبالغة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ طبعاً في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾
 في المآل، إذ فيه الظفر والشهادة، وهكذا أكثر ما كلفوا به، فإن الطبع يكرهه وهو
 سبب صلاحهم ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ في الحال كترك الجهاد حباً للحياة
 ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ إذ فيه الذل وحرمان الأجر وإن أجل الله لآت لا محالة، وهكذا
 أكثر ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي إلى الردى، ^(١) وإنما ذكر
 (عسى) لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير
 لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قيل: بعث (ص) عبد

الرحمن بن جحش على سرية، فغنموا غيراً^(١) لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي فقتلوه، وأسروا اثنين وكان ذلك غرة^(٢) رجب وهم يرونه من جمادي، فقالت قريش: إستحل محمد (ص) الشهر الحرام، وكتبوا يسألونه عن ذلك تشنيعاً^(٣) وشقاً على أهل السرية وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، فنزلت، ورد^(٤) (ص) الغير، وروي أنه أخذها وهي أول غنيمة في الإسلام ﴿قَاتِلْ فِيهِ﴾ بدل اشتمال من (الشهر) ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب عظيم، قيل: نسخه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)^(٤) ورد ببقاء بعض أحكامه، ويرجحان التخصيص على النسخ ﴿وَصَدَّ﴾ منع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته، أو الإسلام ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾ أي بالله ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: عطف على (سبيل الله) ويرده عطف (وكفر) على ﴿صَدَّ﴾ لفصله بين الموصول والصلة، وقيل: على الهاء في (به) ولعل الكفر به عدم احترامه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾ أهل المسجد وهم: النبي (ص) والمؤمنون ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعظم وزراً مما فعلته السرية خطأ، وهو خبر للأربعة المذكورة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: الكفر والإخراج ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: قتل عمرو ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يَقَاتِلُونَكُمْ﴾ لدوام عداوتهم لكم ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إن استطاعوا ﴿إِسْتِبْعَادُ﴾ لاستطاعتهم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِمَتْ لَهُ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

(١) الغير (بكسر العين وسكون الياء): القافلة من الجمال التي يحمل عليها الطعام ونحوه.

(٢) غرة رجب: أي أوله، لأن غرة كل شيء أوله.

(٣) إساءة للسمعة وإذاعة للسوء.

(٤) سورة التوبة الآية ٥.

فِي الدُّنْيَا ﴿لَمَّا يَفُوتُهُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِسْلَامِ﴾ (و) ﴿فِي﴾ الْآخِرَةِ ﴿لَمَّا يَفُوتُهُمْ مِنْ الثَّوَابِ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي ثُبُوتِ الْأَخْبَارِ بِالرَّدَّةِ مَعَ الْمَوْتِ عَلَيْهَا إِذَا الْمَوَافَاةُ بِالْإِيمَانِ شَرْطٌ فِي اسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ﴾ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ كَسَائِرِ الْكُفَّارِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قِيلَ ظَنُّ قَوْمٍ أَنَّ السَّرِيَّةَ إِنْ سَلِمُوا مِنَ الْإِثْمِ فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ، فَتَزَلَتْ ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحِقُّ لَهُمُ الرِّجَاءُ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِدُنُوبِهِمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ وَهُوَ كُلُّ شَرَابٍ مُسْكِرٍ، وَفِي حُكْمِهِ: الْفَقَّاعُ^(١) لِلْسَّنَةِ، هُوَ - فِي الْأَصْلِ - مَصْدَرُ خَمْرِهِ أَي: سَتْرُهُ، لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْعَقْلَ ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مَصْدَرُ كَلِّ (الْمَوْعِدِ) سَمِيَ بِهِ الْقِمَارُ لِأَنَّهُ أَخَذَ مَالَ الْغَيْرِ مَيْسِرًا، أَوْ سَلَبَ يَسَارَهُ، أَي: يَسْأَلُونَكَ عَنْ تَعَاظِيهِمَا ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ لِأَنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، يُؤْدِيَانِ إِلَى ارْتِكَابِ سَائِرِ الْمُحْرَمَاتِ وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ مِنْ كَسْبِ الْمَالِ وَاللَّذَّةِ وَالطَّرْبِ وَالْقُوَّةِ ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ عِقَابُهُمَا الْآخِرِيُّ الدَّائِمُ، وَمَفَاسِدُهُمَا الدُّنْيَوِيَّةُ ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ الدُّنْيَوِي الْقَلِيلُ الزَّائِلُ، وَعَنِ الصَّادِقِ (ع): (إِنَّ الْخَمْرَ رَأْسُ كُلِّ إِثْمٍ وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ)، وَقَالَ (ع): (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفَالًا، فَجَعَلَ مِفَاتِيحَهَا الشَّرَابَ)، وَقَالَ الرِّضَا (ع): (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَإِنْ يَقَرَّ لِلَّهِ بِالْبِدَاءِ)^(٢) ﴿وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قِيلَ: سَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ سَأَلَ أَوَّلًا عَنِ الْمُنْفَقِ وَالْمَصْرَفِ، وَثَانِيًا عَنْ كَيْفِيَّةِ الْإِنْفَاقِ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ الْوَسْطُ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ، أَوْ مَا فَضَّلَ عَنْ قُوَّةِ السَّنَةِ، أَوْ أَطْيَبَ الْمَالِ، أَوْ مَا سَهَّلَ إِنْفَاقَهُ ﴿كَذَلِكَ﴾ التَّبَيِّنُ لِأَمْرِ النِّفْقَةِ وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَوَحْدَ الْعَلَامَةِ وَالْمَخَاطَبِ جَمْعٌ عَلَى

(١) الْفَقَّاعُ: شَرَابٌ يَصْنَعُ مِنَ الشَّعِيرِ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَخْمَرُ حَتَّى تَعْلُوقَاتُهُ.

(٢) الْبِدَاءُ عَقِيدَةٌ تَنْفَرِدُ بِهَا الشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ مَفَادُهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَبْدِي لِلخَلْقِ شَيْئًا ثُمَّ يَظْهَرُ لَهُمْ خِلَافُهُ لِمَصْلَحَةِ يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ.

تاويل (القبيل) ومحل الكاف النصب صفة لمصدر محذوف أي: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الحجج تيناً مثل ذلك التين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤثرون أبقاهما وأكثرهما نفعاً.

[سورة البقرة الآيات ٢٢٠ - ٢٢٤]

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ^ط
وَأِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ
حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا
تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ ۖ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ
حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا
حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

مُلَقُّوهُ^١ وَشَرَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ

أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢١﴾

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ عن الصادق (ع): لما نزلت (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً)^(١) أخرج كل من كان عنده يتيماً، وسألوا رسول الله (ص) في إخراجهم، فنزلت، وعن الباقر (ع): لما نزلت (وآتوا اليتامى أموالهم)^(٢) كرهوا مخالطة اليتامى، فشق ذلك عليهم، فشكوا إلى رسول الله (ص)، فنزلت ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ ﴾ أي: مداخلتهم لإصلاحهم ﴿ خَيْرٌ ﴾ من مجانبتهم ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ ﴾ وتعاشروهم ﴿ فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فإنهم إخوانكم ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ لا يخفى عليه من داخلهم يافساد وإصلاح، فيجازيه بفعله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ ﴾ لحملكم على العنت وهو: المشقة، ولم يطلق مداخلتهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب قادر على ما يشاء ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يفعل ما توجبه الحكمة، عن الباقر والصادق (ع) قالوا: (تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم، وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثم تنفقه، قيل: أ رأيت إن كانوا يتامى صغاراً وكباراً، وبعضهم أكل من بعض ومالهم جميعاً؟ فقال: اما الكسوة فعلى كل انسان منهم كسوته، واما الطعام فاجعلوه جميعاً، فإن الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير)، وفي رواية: (ولا يرزأن)^(٣) من أموالهم شيئاً إنما هي النار) ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا

(١) سورة النساء الآية ١٠.

(٢) سورة النساء الآية ٢.

(٣) الرزء (بضم الراء وسكون الزاي) هو المصيبة، والمراد هنا برزء مال اليتيم هو أن يصاب منه شيئاً فينقص.

المُشْرِكَاتِ ﴿ لا تتزوجوا الكافرات ﴾ ﴿ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ ﴾ مملوكة ﴿ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ﴾ حرة ﴿ وَلَوْ أَغَبَّكُمْ ﴾ المشركة لجمالها، أو مالها، و (لو) بمعنى إن ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ لا تزوجوهم المؤمنات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ ﴾ مملوك ﴿ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ ﴾ حر ﴿ وَلَوْ أَغَبَّكُمْ ﴾ ماله، أو جماله، وتفسير (الأمّة) و(العبد) بما يعم الأحرار، لأن الناس إماء الله وعبيده، خلاف الظاهر مع تفويت المبالغة ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ﴿ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ أي: الكفر المؤدي إلى دخولها، فحقهم أن لا يواصلوا ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾ إلى ما يوجبهما ﴿ يَأْذَنُ ﴾ بأمره وتوفيقه ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ ﴾ حججه، وأوامره ونواهيهِ ﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يعلموا ويتذكروا، في تفسير القمي والنعمانى هي منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة (اليوم أحل لكم الطيبات) إلى قوله (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب)^(١) فنسخت هذه الآية (ولا تنكحوا المشركات) وترك قوله (ولا تنكحوا المشركين) على حاله لم ينسخ، لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشرك، ويحل له أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ مصدر ك(الميت) قيل: كانوا في الجاهلية لم يؤاكلوا الحائض ولم يساكنوها - كفعل اليهود - فسئل عن ذلك، فنزلت ﴿ قُلْ هُوَ ﴾ أي: الحيض ﴿ أَذَى ﴾ قدر مؤذٍ من يقربه نفرة فَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴿ اسم زمان، أو مكان، أي اجتنبوا مجامعتهن في الفرج زمان الحيض، أو في مكانه ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ ﴾ بالجماع، تأكيد للحكم ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بيان غايته، وشدده حمزة

والكسائي، أي: يغتسلن فيحرم الوطي قبل الغسل، وخففه الباقون أي: ينقن فلا يحرم قبله، وهو الأصح، وجمع بين القراءتين بحمل (تطهر) على معنى: طهر لوروده لغة (كـ تـ بـ) بمعنى: بان وكذا ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: طهرن، أو غسلن الفرج حملاً على المعنى اللغوي ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ للإباحة بالمعنى الأخص، أو الأعم المجامع للاحكام الأربعة ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: اطلبوا الولد من حيث أمركم الله - كما عن الصادق (ع) - أو من قبل الطهر لا الحيض، أو من قبل النكاح لا الفجور، سئل الصادق (ع) ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كل شيء ما عدا القبل بعينه، وفي رواية: (فليأتها حيث شاء ما اتقى موضع الدم)، وعنه (ع) في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيامها قال: (إذا أصاب زوجها شبق^(١) فلتؤمر فلتغسل فرجها إن شاء قبل أن تغتسل) وفي رواية: (والغسل أحب إليّ) وسئل: إذا تيممت من الحيض هل لزوجها؟ قال: نعم يعني، بعد ما طهرت ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب، أو الكبائر ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، أو من الصغائر، عن الصادق (ع): (كان الناس يستنجون بالكرسف^(٢) والأحجار، ثم أحدث الوضوء وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله (ص) وصنعه، فنزلت) ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ مواضع حرث ﴿لَكُمْ﴾ شبه ما يلقى في أرحامهن بالبذر ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: فاتوهن كما تأتون المحارث ﴿أَنْتِ﴾ متى ﴿شِئْتُمْ﴾ في الفرج، أو من أي جهة شئتم، روي: أن اليهود كانوا يقولون: من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول، فذكر ذلك لرسول الله (ص)، فنزلت، فتدل على المنع من إتيانهن دبراً، وقيل: من أين شئتم، فيدل على الجواز - كما ذهب

(١) الشبق: هوشدة الشهوة الجنسية.

(٢) الكرسف: أي القطن.

إليه مالك وجملة من الأصحاب - ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ ما يدخر لكم من الثواب،
أو طلب الولد، أو التسمية على الوطء ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بترك معاصيه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
مُلَاقُوهُ ﴾ أي: ملاقو جزاءه ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالثواب، أو الجنة، وعن الصادق (ع):
في قوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) فقال: من قدامها، أو من خلفها في القبل، وعن
الرضا (ع): (أنى شئتم) يعني: من خلف وقدام خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في
أدبارهن، وفي أخرى أي: أي ساعة شئتم، وفي آخر: سألت عمّن أتى جاريته في
دبرها؟ والمرأة لعبة لا تؤذى وهي حرث^(١) ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ ﴾ قيل: نزلت في عبد
الله بن رواحة، حلف أن لا يكلم ختنيه^(٢) ولا يصلح بينه وبين أخيه ﴿ عُرْضَةً ﴾
معرضاً ﴿ لِأَيِّمَانِكُمْ ﴾ فتبتذله بكثرة الحلف به، كما في قوله (ولا تطع كل حلاف
مهين)^(٣) ﴿ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا ﴾ علة للنهي، أي: أنهاكم عنه إرادة بركم
وتقواكم وإصلاحكم ﴿ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ فإن الحلاف مجتر على الله، فلا يكون براً متقياً،
ولا مصلحاً ذات البين^(٤)، وقيل: المعنى: لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتكم عليه، فيكون
الإيمان بمعنى المحلوف عليه، و(ان تبروا) عطف بيان لها، و(اللام) متعلق
ب(تجعلوا)، أو ب(عرضة) فيفيد عدم انعقاد الحلف على المرجوح، والكل مروى، فعن

(١) وردت هكذا في النسخة الخطية والذي يدوانه سقط منها (فقال) فتكون العبارة هكذا: «فقال المرأة...».

(٢) الختن: كل من كان من جهة الزوجة كأيها وأخيها.

(٣) سورة القلم الآية ١٠.

(٤) ذات البين: العداوة والخصومة، سميت بذلك لأنها تسبب البين وهو الهجر والفراق، وعلى هذا يكون معنى: اصلاح ذات البين هو: الاصلاح بين

الصادق (ع) في الآية قال: (إذا دعيت لصلح بين اثنين، فلا تقل: عليّ يمين أن لا أفعل) وعنه (ع): هو قول الرجل في كل حالة لا والله وبلى والله، وعنه (ع) لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإن الله يقول (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم)، ونحوه غيره وفي آخر يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه، وما أشبه ذلك، ولا يكلم أمه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

[سورة البقرة الآيات ٢٢٥ - ٢٣٠]

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ

تَخَافَا إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ^ط فَإِنْ خِفْتُمْ^ط إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ^ط تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ^ط فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ^ط وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ ﴾ الساقط الذي لا يعتد به الكائن ﴿ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ أي: لا يؤاخذكم بما لا قصد معه ولا عقد، كالملفوظ لسبق اللسان به، أو للجهل بمعناه كـ (لا والله) و (بلى والله) - كما عن الباقر والصادق (ع) - ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ ﴾ قصدت ﴿ قُلُوبُكُمْ ﴾ من الإيمان، وواطأت فيها ألسنتكم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ للذنوب ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعجل بالعقوبة ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ يحلفون أن لا يطئوهن مطلقاً، أو أزيد من أربعة أشهر، وعدّي (من) دون (إلى) لتضمنه معنى البعد ﴿ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ مبتدأ خبره (للذين) أضيف إلى الظرف إتساعاً أي: للمولى حق الانتظار في هذه المدة، وفي أن ابتداءها حين الإيلاء^(١)، أو الحكم قولان

(١) الإيلاء: أن يحلف الزوج على أن لا يطأ زوجته مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر.

﴿ فَإِنْ فَاءٌ ﴾ رجعوا إلى مناكحتهن بالحنث^(١) والكفارة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لا يعاقبهم ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ صمموا قصده وأوقعوه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لطلاقهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بضماثرهم ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ ﴾ أي: الحرائر المدخول بهن من ذوات الإقراء - لدلالة الآيات والأخبار أن حكمهن خلاف ذلك - ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ معناه الأمر، والتعبير بالخبر للتأكيد أي: ينتظرن ﴿ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ بعث لهن على الصبر عن التزويج بقمع نفوسهن الطوامح إلى الرجال ﴿ ثَلَاثَةً ﴾ مفعول به، أو ظرف ﴿ قُرْوءٍ ﴾ جمع (قرة) للطهر والحيض بالإشتراك، أو الحقيقة والمجاز، وعن الباقر (ع): الإقراء هي: الأطهار وعن الصادق (ع): القراء: جمع الدم بين الحيضتين، ونحوه غيره، وذكر (القرء) وهو للكثرة والمقام للقلة وصيغتها (الإقراء) لاتساعهم في ذلك باستعمال كل من البنائين مكان الآخر، أو أثر لكثرة استعماله ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من الحمل والحيض - كما عن الصادق (ع) - استعجالاً في العدة وإبطالاً لحق الرجعة، ويفيد قبول قولها في ذلك ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي كمال الإيمان يمنع من الكتمان، وليس الفرض اشتراط تحريره به ﴿ وَيُعَوِّلَتُهُنَّ ﴾ أي: أزواج المطلقات، جمع (بعل) و(التاء) لتأنيث الجمع ك(العمومة) و(الخؤولة) أو مصدر من قولك (بعل حسن البعولة) نعت به، وأقيم مقام المضاف المحذوف أي: واهل بعولتهن، والضمير للرجعيات، فهو أخص من المرجع، ويمكن تخصيص المرجع به ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ إلى النكاح والرجعة إليهن ف(أفعل) بمعنى الفاعل ﴿ فِي ذَلِكَ ﴾ في زمان التربص ﴿ إِنْ أَرَادُوا ﴾ بالرجعة ﴿ إِصْلَاحاً ﴾ حث على قصد

(١) الْحَنْثُ (بكسر الحاء وسكون النون): هو عدم الوفاء باليمين.

الإصلاح لهن ومنع من الضرر، لا شرط للرجعة لصحتها مع قصد الضرار إجماعاً - وإن حرم - ﴿ وَلَهُنَّ ﴾ على الرجال من الحقوق ﴿ مِثْلُ الَّذِي ﴾ لهم ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ في الوجوب، لا في الجنس ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بالوجه الذي لا ينكر شرعاً وعرفاً ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ شرف وفضيلة، إذ يشاركنهم في اللذة ويفضلونهن بالقيام عليهن والرعاية لهن، أو زيادة في الحق، سئل الصادق (ع): عن حق المرأة على زوجها؟ قال: يشبع بطنها، ويكسوجتتها، وإن جهلت غفر لها، وسألت امرأة النبي (ص): ما حق الزوج على المرأة؟ فقال: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته بشيء إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب^(١) ولا تخرج عن بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، قالت: فما لي من الحق عليه مثل ما له؟ قال: لا ولا من كل مائة واحدة ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يشرعها لمصالح وحكم ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ أي: التطلق الشرعي: تطليقة بعد تطليقة - على التفريق لا الجمع - ولم يرد التنية، أو التطلق الرجعي إثنان لما روي أنه (ص) سئل: أين الثالثة؟ فقال (ص): أوتسريح بإحسان ﴿ فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي: بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ بأن يطلقها الثالثة بعد الرجعة - كما مر في الخبر - بأن لا يراجعها حتى تبين منه وتخرج من العدة - كما روي عنهم (ع) - ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ ﴾ من المهور ﴿ شَيْئاً ﴾ قيل: كانت زوجة ثابت بن قيس تبغضه، فقالت

(١) القتب - هنا - بمعنى الرجل الذي يوضع فوق البعير.

للنبي (ص) لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء فزلت، واختلعت منه بحديقة^(١) أصدقها إياها، والخطاب للحكام، وأسند الأخذ والإعطاء إليهم لأنهما بأمرهم، أو للأزواج وما بعده للحكام ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ترك إقامة أحكامه من لوازم الزوجية، وبنى حمزة (يخافا) للمفعول فإن صلتها بدل اشتمال من الضمير ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الحكام أن لا يقيما حدود الله ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها واختلعت منه - ولوبأزيد من المهر - لعموم (ما) وعليه الأصحاب في الخلع، ومنعوا من الزائد في المباراة للأخبار المخصصة للآية، والمعنى: لا إثم عليه في الأخذ، ولا عليها في الإعطاء - وإن أثمت في إظهار الكراهة - ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ تتجاوزوها بالمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ عقب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني: التطليقة الثالثة - كما عن الباقر والعسكري (ع) - ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ أي: يرجع كل منهما إلى الآخر بالزواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ما شرعه من لوازم الزوجية وعبر به (الظن) إذ لا يعلم العواقب إلا الله، فليس المراد به العلم، لمنافاة (أن) الناصبة له ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للعلماء المتفهمين بالبيان، وتدلل على عدم اعتبار تزويج المتعة إذ ليس فيها طلاق - كما عن الصادق (ع) - وعنه (ع) في الرجل يطلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، ثم تزوج رجلاً ولم يدخل بها قال: لا حتى يذوق عسيلتها.

(١) الحديقة: كل أرض ذات شجرٍ مشمرٍ ونخلٍ أحاط به حاجز.

[سورة البقرة الآيات ٢٣١ - ٢٣٣]

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ؕ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ
أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ؕ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُم يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ؕ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَتُ
يُرَضَّعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِّمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؕ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ؕ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ
ذَلِكَ ؕ فَإِن أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ؕ

وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣١﴾

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ الأجل يقال: للمدة، ولمنتهاها، والبلوغ للوصول إلى الشيء، وللدنومنه، فإن حمل الأجل على المعنى الأول، فالبلوغ على أصله، وإن حمل على الثاني، فالبلوغ على الاتساع، الدنوليترب عليه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهن من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن بلا ضرار، وكرر هذا الحكم للاهتمام ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً﴾ لا تراجعوهن طلب الإضرار بهن، أو مضرين، فنصب علة، أو حالاً، عن الصادق (ع) في الآية، قال: الرجل يطلق حتى إذا كادت أن يخلوا أجلها راجعها ثم يطلقها، يفعل ذلك ثلاث مرات، فنهى الله عن ذلك، قيل: كان المطلق يترك المطلقة حتى تقارب الأجل، ثم يراجعها لتطول العدة عليها، وهو الضرار ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ لتظلموهن، أو تلجوهن إلى الإفتداء ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعقاب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا﴾ بالإعراض عنها، والتهاون في العمل بما فيها، وفي النهج: (من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً) ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام وبمحمد (ص)، أو بما أباحه لكم من الأزواج والأموال، فقابلوها بالشكر ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ فاعملوا بهما، وأفردهما بالذكر إظهاراً لشرفهما ﴿يَعْظُمُكُمْ بِهِ﴾ بما أنزل عليكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأكيد وتهديد ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَغْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ العضل: الحبس والتضييق، والخطاب عام أي: ليس لأحد

ذلك، أولاً لأزواج الذين يمنعون نساءهم بعد العدة عن التزويج ظلماً للحمية، لقوله (إذا طلقتم)، أو للأولياء لما روي: أن معقل بن يسار عضل أخته أن ترجع إلى زوجها بعقد جديد، وربما يستدل به على ثبوت الولاية على المرأة، إذ لو استقلت لم يكن لعضل الولي معنى، وردّ - بعد تسليم السبب - بمنع كون الأخ ولياً، ولو سلم لم يستلزم كون الخطاب للأولياء، ولو سلم لم يلزم من استقلالها عدم منع أحد لها ظلماً ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ﴾ أي: الخطاب والنساء، ظرف لـ (أن ينكحن) أو (تعصلوهن) ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط، حال عن الواو، أو صفة مصدر محذوف، وتفيد جواز العضل عن غير الكفو ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور، والخطاب للجمع على تأويل القليل، أو كل واحد، أو للنبي (ص) ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عملكم بموجب ما ذكر ﴿أَزْكَى﴾ خير وأنفع ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الآثام ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه من الصلاح ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لقصوركم ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب، أو الوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه، أو لم يوجد له ظئر،^(١) أو عجز الوالد عن الاستجار، و(الوالدات) تعم المطلقات وغيرهن، ويمكن أن يكون خبراً معنى، والمقصود بيان أن الوالدات أحق برضاع الولد من غيرهن، وليس للوالد أن يأخذهم فيهن، ويجعل غيرهن مرضعه إذا تبرعن أو رضين بما رضي به غيرهن، وعن الصادق (ع): لا تجبر الحرّة على إرضاع الولد، وتجبر أم الولد ﴿حَوَائِنِ كَامِلَيْنِ﴾ نعت لرفع احتمال التسامح

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ أي: هذا الحكم لمن أراد تمام الرضاع، أو متعلق (يرضعن) أي: لأجل أزواجهن، فان نفقة الولد على والده، وفيه تحديد لأقصى مدة الرضاع وتجوز للنقص عنه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب إذ الولد يولد له، وعبر به إشارة إلى المعنى الموجب للإرضاع عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ قيل يفيد: إجرة المثل للأم، وقيل: المراد به نفقة الزوجة، وقد يخص بالملقة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب وسعه - كما نبه عليه - ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا تُكَلَّفُ ما لا تطيقه - كما ثبت امتناعه عقلاً - بيان له أي: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ ورفع ابن كثير وأبو عمرو (تضار) وأصله - على القراءتين - (تضارر) بالكسر والفتح بناء للفاعل أو المفعول، أي: لا يضار كل منهما الآخر بالتعدي إلى ما لا يجوز بسبب الولد، وعلى الكسر جاز كونه بمعنى: يضر والباء صلته أي لا يضر الوالدان بالولد، فتنسى الأم تعهده، ويقصر الأب في حقه، وإضافته إليها تارة وإليه أخرى، استعطاف لهما عليه، وحث على عدم التقصير في حقه، وسئل الصادق (ع) عن هذه الآية فقال: (كانت المراضع مما تدفع إحداهن الرجل إذا أراد الجماع، تقول: لا أدعك إني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول: أخاف أن أجامعك فأقتل ولدي، فنهى الله عن ذلك بأن يضار الرجل المرأة والمرأة الرجل، وعنه (ع): إذا طلق الرجل امرأته وهي حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها، وإذا رضعته أعطاها أجرها، ولا يضارها إلا أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأمر فهي أحق بابنها حتى تطفمه ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ وارث المولود له بعد موته ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الواجب على الأب المولود له، عن الباقر (ع) قال: (هو في النفقة على الوارث مثل ما على الولد) وقيل:

المراد بالوارث وارث الأب وهو الصبي، أي: مؤن^(١) المرضعة من ماله إذا مات الأب، وقيل: الوارث الباقي من أبويه، وعليه مثل ذلك أي عدم المضارة بأنه إن كان للمولود مال عنده لا يقتر^(٢) عليه وإلا أنفق عليه، وعن الصادق (ع): لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة، فيقول: (لا أدع ولدها يأتيها) ويضار ولدها إن كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتر عنه، وعنه (ع): أنه نهى أن يضار بالصبي، أو يضار أمه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين، وقضى علي (ع) في رجل توفي وترك صبياً واسترضع له إن له أجر رضاع الصبي مما يورث من أبيه وأمه ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فَصَالَا﴾ فطاماً عن الرضاع قبل الحولين - كما عن الصادق (ع) - صادراً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مشتمل على مصلحة الطفل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فيه، وهذه توسعة بعد التحديد، واشترط رضا الأب لولايته، والأم لأحققتها بالتربية وهي أعلم بحال الصبي ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ حذف أحد المفعولين للإستغناء عنه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه، يفيد أن للأب استرضاع غير الأم لكنه مقيد بعدم الإضرار بها ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ ما أردتم إعطائه، وقرأ ابن كثير (أيتيم) أي: فعلتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صلة (سلمتم) وجواب الشرط يعلم مما قبله، وليس التسليم شرطاً لجواز الاسترضاع بل أريد الحث على ما هو الأصلح للطفل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالمحافظة على حدوده - سيما في أمر الأطفال والمراضع ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعيد.

(١) المؤن جمع مؤنة: وهي التكاليف المالية .

(٢) لا يضيق.

[سورة البقرة الآيات ٢٣٤-٢٣٧]

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا
عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ
أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاوِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا
مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ
أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ۚ وَعَلَى الْمُقْتِرِ
قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا
أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿١٧٧﴾

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم، أو أزواج الذين يتوفون يتربصن بأنفسهن ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أنث باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام، والحكم يعم الصغيرة والكبيرة، والمدخول بها وغيرها، والمسلمة والكتابية، وأما الحامل فبأبعد الأجلين - بإجماعنا ونصوصنا - وبالوضع عندهم لآية (وأولات الأحمال) ^(١) وخصت عندنا بالطلاق، وفي الباقرى ^(٢) (ع): كل النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرة كانت أو أمة، أو على أي وجه كان النكاح منه متعة، أو تزويجاً، أو ملك يمين، فالعدة أربعة أشهر وعشراً ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إنقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء، أو الحكام، أو المسلمون ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن العدة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا ينكر شرعاً، ويفهم منه أن عليهم منعهن لوفعلن ما ينكر، فإن قصرُوا أثموا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيب وترهيب ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدات غير الرجعيات، والتعريض إيهام المقصود ما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السائل: (جتك لأزورك) والكناية الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كـ (كثير الرماد) للمضياف، والخطبة - بالكسر - طلب المرأة، وتعريض خطبتها

(١) سورة الطلاق الآية ٤.

(٢) أي الحديث الوارد عن الامام الباقر (ع) وكذلك يقال الصادقي والسجادي و...

أَنْ يَقُولَ لَهَا: أَنْتِ جَمِيلَةٌ، وَرَبِّ رَاغِبٌ فِيكَ، وَنَحْوَهُ ﴿أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾
 أَضْمَرْتُمْ فِي قُلُوبِكُمْ بَلَا تَصْرِيحٍ وَلَا تَعْرِيزٍ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾
 لِرَغْبَتِكُمْ فِيهِنَّ، فَلَا تَصْبِرُونَ عَلَى الْكُتْمَانِ، وَفِيهِ نَوْعٌ تَوْبِيخٍ وَحَذَفٍ، أَيُّ: فَادْكُرُوهُنَّ
 لِيَتَجَهَّ استِدْرَاكُ ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أَيُّ: خَلْوَةٌ أَوْ جَمَاعَةً، أَوْ مَا يَسْتَهْجَنُ
 ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وَهُوَ التَّعْرِيزُ بَلَا تَصْرِيحٍ، وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنْ مَحْذُوفٍ، أَيُّ:
 لَا تُوَاعِدُوهُنَّ مُوَاعِدَةً إِلَّا مُوَاعِدَةً مَعْرُوفَةً، أَوْ يَقُولُ مَعْرُوفٌ، وَقِيلَ: مَنْقُطَعٌ مِنْ (سِرًّا)
 وَيَلْزِمُهُ كَوْنُ التَّعْرِيزِ مُوَعِدَةً وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَعَنْ الصَّادِقِ (ع) - فِي الْآيَةِ - قَالَ:
 هُوَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِلْمَرْأَةِ قَبْلَ أَنْ تَنْقُضِيَ عِدَّتَهَا: أَوْاعِدُكَ بَيْتَ آلِ فُلَانٍ، لِيَعْرِضَ لَهَا
 بِالْخُطْبَةِ، وَفِي آخِرِ هَوَانٍ يَلْقَاهَا فَيَقُولُ: إِنِّي فِيكَ لِرَاغِبٍ، وَإِنِّي لِلنِّسَاءِ لِمَكْرَمٍ فَلَا
 تَسْبِقْنِي بِنَفْسِكَ، وَالسِّرُّ لَا يَخْلُومُعَهَا حَيْثُ وَجَدَهَا، وَفِي آخِرِ يَقُولُ الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ -
 وَهِيَ فِي عِدَّتِهَا: يَا هَذِهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مَا أَسْرَكَ وَلَوْ قَدْ مَضَتْ عِدَّتُكَ لَا تَفُوتِينِي - أَنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فَلَا تَسْبِقْنِي بِنَفْسِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ
 ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ ذَكَرَ الْعَزْمُ مِبَالِغَةً فِي النَّهْيِ عَنِ الْعَقْدِ، أَيُّ: لَا تَعْزِمُوا عَقْدَ
 عَقْدَةِ النِّكَاحِ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ يَنْقُضِي الْمَكْتُوبُ مِنَ الْعِدَّةِ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنَ الْعَزْمِ ﴿فَاخْذَرُوهُ﴾ وَلَا تَعْزِمُوا مَا لَا يَجُوزُ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ عَزَمَ وَلَمْ يَفْعَلْ خَشْيَةً لِلَّهِ ﴿حَلِيمٌ﴾ لَا يَعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ
 ﴿لَا جُنَاحَ﴾ لَا تَبِعَةٌ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ مَهْرٍ، أَوْ لَا إِثْمَ رَفَعَ لَتَوْهُمْ مَنَعَ الطَّلَاقَ قَبْلَ
 الْمَسِيسِ ^(١) ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَكُمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ تَجَامَعُوهُنَّ، وَقَرَأْ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي

(١) الْمَسِيسُ - فِي الْلُغَةِ - أَيُّ اللَّامِسِ وَهَذَا بِمَعْنَى: الْجَمَاعِ، عِبْرَ بِهِ كِتَابَةٌ.

(تماسوهن) ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: وتفرضوا، أو إلا ان تفرضوا، أي لا تبعة على المطلق من المهر، إذا لم يمس المطلقة ولم يسم لها مهراً، إذ مع المس عليه المسمى، أو مهر المثل، وبدونه مع التسمية نصف المسمى، فمنطوقها ينفي وجوب المهر في الصورة الأولى، ومفهومها يشته في الجملة في الأخيرتين، و(متعوهن) عطف على مقدر، أي فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ وتقدير المتعة بحسب حال الزوج لقوله ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ من له سعة ﴿قَدَرُهُ﴾ بالسكون، أو الفتح - على القراءتين - أي: ما يطبقه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال ﴿قَدَرُهُ﴾ والمتوسط داخل في أحدهما، والمُحَكَّم^(١) في التقدير العرف ﴿مَتَاعاً﴾ تمتعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً - بحسب المروءة - ﴿حَقّاً﴾ واجباً، أو أحق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أنفسهم بالإمثال، أو إلى المطلقات بالتمتع، سموا بالمشاركة محسنين ترغيباً، وسئل الكاظم (ع) عن المطلقة ما لها من المتعة؟ قال: على قدر مال زوجها، وعن الصادق (ع): فليمتعها على ما يمتع مثلها من النساء، وروي: الغني يمتع بدار، أو خادم، والوسط يمتع بثوب، والفقير بدرهم أو خاتم، وروي: إن أدناه الخمار وشبهه ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فلهن، أو فعليكم ﴿إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ﴾ أي: المطلقات عن حقهن - كلاً أو بعضاً - والصيغة للمؤنث ووزنها (يفعلن) ولا اثر فيها لبنائها، وتأتي للمذكر ووزنها (يفعون) بحذف اللام ﴿أَوْ يَغْفُوا﴾ عطف على محل (يعفون) ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الولي الذي يلي عقدة نكاحهن، عن الصادق (ع) يعني الأب، والذي توكله المرأة، وتوليه من أمرها من أخ

(١) الحَكَم الذي يرجع اليه عند الاختلاف.

أوقرابة أو غيرهما، وعنه (ع): هو الأب والأخ والرجل يوصى إليه، والرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها ويشتري، فإذا عفا فقد جاز، ونحوه آخر، وفيه: فأبي هؤلاء عفا فقد جاز، قيل: أرايت ان قالت لا أجيز ما يصنع؟ قال ليس لها ذلك أتجيز بيعه في مالها ولا تجيز هذا؟ وفي آخر: أبوها إذا عفا جاز، وأخوها إذا كان يقيم بها وهو القائم عليها فهو بمنزلة الأب يجوز له، وإذا كان الأخ لا يقيم بها ولا يقوم عليها لم يجز له عليها أمر، وعنه (ع) الذي بيده عقدة النكاح وهو الولي الذي أنكح يأخذ بعضاً، ويدع بعضاً وليس له ان يدع كله، وفي آخر: هو الولي، وقيل: هو الزوج - كما روي عن علي (ع) - لأنه المالك كله وعقده وعفوه أن يسوق إليها المهر كمالاً^(١) ﴿وَأَنْ تَغْفُوا﴾ أي: عفواكم عن الاسترداد، أو مطلقاً ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أن يتفضل بعضكم على بعض، وعن علي (ع): ولا تتناسوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عليم، عن علي (ع): سيأتي على الناس زمان عضوض^(٢) يعض كل امرئ منهم على ما في يديه، وينسون الفضل بينهم، قال الله: (ولا تنسوا الفضل بينكم)، ونحوه غيره.

[سورة البقرة الآيات ٢٣٨ - ٢٤٥]

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾
فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا^ط فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

(١) كاملاً.

(٢) أي: زمان يتكالب فيه الناس بعضهم على بعض.

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
 خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
 مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا
 عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
 الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
 النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٧٩﴾

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ بِأدائها لأوقاتها بحدودها، ولعل الأمر بها بعد
 أحكام الأولاد والأزواج لثلاث تلهيهم عنها ﴿ والصلاة الوسطى ﴾ بينها، أو الفضلى
 وخصت بعد التعميم لفضلها، واختلف في تعيينها، وبكل واحدة من الخمس قائل،
 والأصح أنها الجمعة يوم الجمعة، والظهر سائر الأيام - كما تظاهرت به الأخبار - وقرأ

زيادة (وصلاة العصر) ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ داعين، أو طائعين - كما عن الصادق (ع) -
أوذاكرين، أو خاشعين، أو ساكتين، واحتج بها على وجوب القنوت في الصلاة والقيام
والنية ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ عدوًا، أو غيره، ولم يمكنكم الصلاة بشرائطها ﴿فَرَجَالًا﴾ جمع
راجل ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب، أي فصلوا راجلين، أو راكبين على أي هيئة
يمكنكم، وعن الصادق (ع) - في الآية - إذا خاف من سبع، أو لص يكبر ويومئ
إيماءً وعنه (ع): إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصاً أو سبعاً، فصلّ الفريضة وأنت
على دابتك، ونحوه غيره ﴿فَإِذَا أَمِيتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ صلوا صلاة
الأمن، أو اشكروه على الأمن ﴿كَمَا﴾ أي: ذكراً مثل ما ﴿عَلَّمَكُمُ﴾ من الشرائع،
أو شكراً يوازيه، و(ما) موصولة، أو مصدرية ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من الشرائع،
وكيفية الصلاة ﴿وَالَّذِينَ يَتَوْفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ نصبها
ابوعمر ووابن عامر وحمزة وحفص بتقدير: (يوصون وصية) أو ألزموا وصية، ورفعها
الباقون بتقدير: (وحكم الذين يتوفون وصية)، أو (عليهم وصية) ﴿مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾
نصب بـ (يوصون) أن قدر، وإلا فبالوصية ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ بدل منه، أو حال من
أزواجهم، أي: غير مخرجات، والمعنى: أنه يجب على المقارين للوفاة أن يوصوا بأن
تمتع أزواجهم بعدهم حولاً بالنفقة والسكنى، وفي المجمع^(١): اتفق العلماء على أن
الآية منسوخة، وفي عدة روايات عن الباقر (ع) منسوخة بآية (يتربصن بأنفسهن أربعة
أشهر وعشراً) وبآيات الميراث، أي: النفقة بآيات الميراث ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ عن منزل
الأزواج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكام، أو الأولياء للميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي

(١) أي: تفسير (مجمع البيان) للطبرسي.

أَنْفُسِهِنَّ ﴿﴾ من ترك الحداد ﴿﴾ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴿﴾ شرعاً، قيل: ويفيد أنها كانت مخيرة بين ملازمة المنزل والحداد وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها ﴿﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿﴾ لا يقهر ﴿﴾ حَكِيمٌ ﴿﴾ يفعل المصلحة ﴿﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ ﴿﴾ متعة ﴿﴾ بِالْمَعْرُوفِ ﴿﴾ بما يعرفه الشرع ﴿﴾ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿﴾ قيل: ععم وجوب المتعة لكل مطلقة بعد إيجابها لواحدة منهن، وعندنا ان العموم مخصص بالآية السابقة، وقيل: التمتع يعم الواجب والمندوب، وقيل أريد به نفقة الزوجة، وعن الباقر (ع): متعة النساء واجبة دخل بها أولم يدخل، وتمتع قبل ان يطلق، وسئل الكاظم (ع): عن المطلقة التي يجب لها على زوجها المتعة؟ فكتب: (البائنة)، وفي رواية: لا تمتع المختلعة، وعن الباقر والصادق (ع): انما تجب المتعة التي لم يسم لها صداق خاصة ﴿﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴿﴾ دلالة وأحكامه تبييناً، مثل ذلك التبيين للأحكام المذكورة ﴿﴾ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿﴾ تفهمونها، وتستعملون عقولكم فيها ﴿﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم، أو الخطاب عام لأنه كالمثل في التعجب ﴿﴾ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿﴾ هم اهل مدينة من مدائن الشام ﴿﴾ وَهُمْ أَلُوفٌ ﴿﴾ كانوا سبعين ألف بيت ﴿﴾ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴿﴾ مفعول له، إذ وقع فيهم الطاعون ﴿﴾ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴿﴾ أي: فأماتهم، وعبر به تنبيهاً على أنهم ماتوا موة رجل واحد بمشيئته - تعالى - وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد، إذ الموت لا مفر منه وأفضله الشهادة ﴿﴾ ثُمَّ أَخْبَاهُمْ ﴿﴾ بدعوة حزقيل النبي، وعاشوا ما شاء الله حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ثم ماتوا بآجالهم - كما عن الباقر (ع) - ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴿﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿﴾ له حق شكره - أو لا يعتبرون ﴿﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿﴾ فان الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴿﴾ لأقوالكم ﴿﴾ عَلِيمٌ ﴿﴾ بضمائرهم

﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ ﴿ذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ صفته، أو بدله ﴿يُقْرِضُ اللَّهُ﴾ ينفق ماله في سبيله كي يعوضه، أو يعمل لوجهه [فإقراضه تمثيل لتقديم ما يطلب به ثوابه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقرونًا بالإخلاص وطيب النفس من حلال طيب ﴿قِيضَاعَةً﴾ يضاعف جزاءه ﴿لَهُ﴾ وصيغة المفاعلة للمبالغة، ونصبه عاصم جواباً للإستفهام، إذ المعنى: يقرض الله أحد، وشدّده ابن كثير بلا ألف رافعاً، وابن عامر ناصباً ﴿أَضْعَافًا﴾ جمع ضِعْف، نصب حالاً من المضمَر المنصوب، أو مصدراً على أن الضعف اسم للمصدر، وجمع للتنويع، أو مفعولاً ثانياً لتضمن المضاعفة النظير ﴿كَثِيرَةً﴾ لا يحصيها إلا الله ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ يمنع ويوسع حسب المصلحة، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يقتر عليكم، وقرئ بالسين والصاد ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ تأكيداً للجزاء، فيجازيكم على حسب ما قدمتم، عن الصادق (ع): انها نزلت في صلة الإمام.

[سورة البقرة الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ
قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا

وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي
 مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ
 آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ ﴾ جماعة الأشراف ﴿ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (من) للتبعيض
 ﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ من بعد وفاته، و (من) للإبتداء ﴿ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ﴾ اشمويل،
 وهو بالعربية (إسماعيل) - كما عن الباقر (ع) - أو شمعون، أو يوشع ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا
 نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أقم لنا أميراً ننهض معه للقتال، عن الصادق (ع): كان الملك في
 ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود، والنبي يقيم له أمره ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
 عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ شرط فصل بين (عسى) و(خبره) وهو ﴿ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ وتجنبوا ولا تفوا،
 استفهم عما هو متوقع عندهم من جنبهم عن القتال تقريراً ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ﴾
 وأي داعٍ لنا إلى ترك القتال ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ﴾ وذلك أن
 جالوت والعمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم من مصر وفلسطين، فغلبوا على
 ديار بني إسرائيل وسبوا ذراريهم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ عن
 الصادق (ع): كان القليل منهم ستين ألفاً ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وعيدٌ لهم بترك

الجهاد ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ قيل: هو علم عبري
 كـ (داود) وجعله (فعلوتا) من الطول يدفعه منع صرفه، نقل ان نبيهم (ع) لما دعا الله
 أن يملكهم أتى بعضاً يقاس بها من يملك ممن لا يملك، فلم يساوها إلا طالوت
 ﴿ قَالُوا أَتَىٰ مِنْ آيِنٍ ﴾ من أين ﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وكانت النبوة في ولد لاوي بن
 يعقوب، والملك في والد يوسف وكان طالوت من ولد (بنيامين) أخ يوسف لأنه لم
 يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ وراثة
 ﴿ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ إذ لا بد للملك من مال يعتضد به، قيل: كان سقاء،
 أودباً غافاً فأنكروا تملكه لسقوط نسبه وفقره فرد ﴿ وَقَالَ ﴾ نبيهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾
 اختاره ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ وهو أعلم بالمصالح منكم ﴿ وزادة ﴾ ما هوانفع مما ذكرتم
 ﴿ بَسْطَةً ﴾ سعة ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ ولا يتم أمر السياسة إلا به ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ إذ الجسم
 أعظم في النفوس وأقوى على مكايده الحروب، قيل: كان إذا مد الرجل القائم يده
 نال رأسه ﴿ وَاللَّهُ ﴾ له الملك ﴿ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾
 بمن يصلح للملك ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ حين طلبوا منه حجة على تملكك الله طالوت
 ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ هو الذي أنزله الله على موسى فوضعه أمه فيه
 فألقته في اليم، وهو فعلوت من (التوب) لرجوع ما يخرج منه إليه غالباً ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾
 أمن وطمأنينة، وروي: هي ريح في الجنة وجهها كوجه الإنسان ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ ﴾
 مما ترك آل موسى وآل هارون ﴿ من الألواح، وسائر آيات الأنبياء، و(آلهما)
 أنفسهما، و(الآل) مفخم، أو أنبياء بني يعقوب لأنهم بنو عمهما ﴾ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿
 روي البقية ذرية الأنبياء، وعن الباقر (ع) - في الآية - قال: رضراض الألواح فيها العلم
 والحكمة، وزاد في آخر: العلم جاء من السماء، فكتب في الألواح، وجعل في

التابوت، وعن الرضا (ع) قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسرت، والطست الذي يغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن الكاظم (ع): سعة التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين، وفيه عصا موسى والسكينة، وروي: كان التابوت يدور في بني إسرائيل حيثما دار الملك، فرفعه الله بعد موسى حين استخفوا به، ثم لما بعث طالوت أنزله إليهم ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ من كلام نبيهم، أو خطاب من الله.

[سورة البقرة الآيات ٢٤٩-٢٥٢]

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِّقُوا اللَّهَ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا

دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ انفصل بهم عن بلده لقتل العمالقة، وأصله فصل
 نفسه عنه، ولما كثر حذف مفعوله صار كاللازم، قيل: انه قال لهم: لا يخرج معي إلا
 الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع عليه من اختاره ثمانون ألفاً، وقيل: ستون ألف
 وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهو أظهر - لما يأتي - ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ ﴾ معاملكم
 معاملة المختبر ﴿ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ من جملتي، أو أتباعي ﴿ وَمَنْ لَمْ
 يَطْعَمْهُ ﴾ لم يذقه ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ ﴾ إستثناء من (فمن شرب) ﴿ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾
 فيه قراءتان: الضم بمعنى: المعروف، والفتح مصدر والمعنى: الرخصة في القليل دون
 الكثير ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ ﴾ كرعوا فيه ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ روي: إن الذين شربوا كانوا ستين
 ألفاً، وعن الصادق (ع): القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر
 رجلاً، وروي ان من اقتصر على الغرفة روي^(١)، ومن استكثر غلب عطشه وعجز عن
 المضي ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ﴾ أي طالوت النهر إلى جنود جالوت ﴿ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾
 أي: القليل الذين لم يخالفوه ﴿ قَالُوا ﴾ أي: بعضهم لبعض، أو الذين لم يشربوا منه
 ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ جبار من العمالقة من ولد عمليق بن عاد ﴿ وَجُنُودِهِ ﴾
 لكثرتهم ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ أي: الخلف منهم الذين تيقنوا لقاء

(١) اكفى من الماء.

اللَّهُ وثوابه بالموت، وسمّاه (ظناً) لشبه اليقين بالموت بالظن، والشك، كما في الخبر: ما من يقين لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ﴾ فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَتُهَا كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ بأمره ونصره، (وكم) تحتل الخبرة والاستفهامية، و(من) مبينة، أو مزيدة ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والإثابة ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ صب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَيِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في مداحض^(١) الحرب ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ بنصره ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ بن آسى، وكان (آسى) راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في الأرض المقدسة، ولم يجتمعوا على ملك قبل داود ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ جعله الله نبياً، وانزل عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد ولينه له، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ يدفع الهلاك بالبر عن الفاجر - كما عن علي (ع) - أو ينصر المسلمين على الكفار، أو يكف فسادهم ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المفسدين فيها، أو لعم الكفر والهلاك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في دينهم ودنياهم ﴿تِلْكَ الْقِصَصُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ خَيْرِ الْأَلُوفِ، وتمليك طالوت وابنه، ونصر جنده، وقتل جالوت﴾ آياتُ الله ﴿دلالاته﴾ تتلوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴿بالصدق الذي لا يشك فيها أحد﴾ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿

(١) مداحض جمع (مدحضة) وهي المزلفة، المعنى: المزالق والأخطاء التي من الممكن أن يتعرض لها المقاتل إثناء قيام الحرب.

[سورة البقرة الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ
بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ^ع وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ^ط وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ^ع
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا
خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ^ط وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ^ط لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ^ط مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ^ع يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ^ط وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ^ط
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ^ط وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا^ع وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ^ط قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ^ع فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ ﴾ إشارة إلى جماعة الرسل المذكورة في السورة، أو المعلومة له،
أو جماعة الرسل، و(اللام) للاستغراق ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ بمنقبة تخصه دون
غيره ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ تفضيلاً له كموسى في الطور، ومحمد (ص) في المعراج
حين كان قاب قوسين أو أدنى ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ بأن فضله على غيره من
وجوه، حيث أوتي ما لم يوث أحد من المعاجز، فعن النبي (ص): (ما خلق الله خلقاً
أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، إن الله فضل أنبياءه على ملائكته المقربين، وفضلني
على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي، وللائمة من بعدك، وإن
الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، قيل: والإبهام بالذكر لتعظيم قدره، كأنه العلم المتميز
بهذا النعت فلا يشبهه ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ كإحياء الموتى، وإبراء
الأكمه والأبرص^(١)، وخصه وموسى لوضوح معجزاتهما العظيمة التي بها فضلاً
﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبرئيل، أو ملك أعظم منه، أو المختصة بالأنبياء التي بها
علموا الأشياء ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ مشية إلهاء ﴿ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد
الرسل ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ ﴾ الحجج الواضحة، لاختلافهم في الدين،
وتكفير بعضهم بعضاً ﴿ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ﴾ بتوفيقه ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾
لإعراضه، بخذلانه تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا ﴾ التكرار للتأكيد ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ

(١) الأكمة: هو الذي يولد وهو أعمى، والأبرص: هو المصاب بالبرص وهو مرض معد مزمن يغطي الجلد بالبثور والقشور ويؤذي الجهاز العصبي.

﴿ مَا يُرِيدُ ﴾ من العصمة والخذلان فضلاً وعدلاً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعَ فِيهِ ﴾ حتى يمكنكم تدارك ما فاتكم بابتیاع ما تنفقونه، أو تفتدون به من العذاب ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ حتى يسامحكم به أخلاؤكم ﴿ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ الا لمن اذن له الرحمن، حتى تتكلوا على شفیع يشفع لكم في حط ما في ذممكم، وفتح ابن كثير وابو عمرو والثلاث، ورفعها الباقون، ويحتمل أن يكون المراد به (اليوم) يوم الموت، كما مر في قوله: (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس) ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: التاركون للزكاة، الذين ظلموا أنفسهم ووضعوا المال في غير موضعه، فصرفوه على غير وجهه، وضع الكافرون تغليظاً وتهديداً، كقوله: (ومن كفر) مكان من لم يحج^(١) وإيذاناً أن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله: (ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة)^(٢)، وعن الصادق (ع): (من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون)^(٣) إلخ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ مبتدأ وخبر، أي المستحق للعبادة لا غيره ﴿ الْحَيُّ ﴾ العليم القدير ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السِّنَّة: فتور يتقدم النوم، وهنا سؤال مشهور وهو تقديم السِّنَّة عليه^(٤) وقياس المبالغة عكسه، وأجيب بانه على ترتيب الوجود، وأنه على القياس وهو الترقى من

(١) اشارة الى الآية الكريمة في سورة آل عمران: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني حميد» آل عمران الآية ٩٧.

(٢) سورة فصلت الآيات ٧-٨.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٩٩.

(٤) أي: على النوم ، وملخص السؤال هو أن القاعدة هنا ان يترقى من الأشد الى الأخف فيقال: (لا يأخذه نوم بل ولا سِنَةٌ) والذي

الأدنى إلى الأعلى لأن عدم الأخذ من النوم أعلى من عدم أخذ السنة الضعيفة،
والجملة نفي للتشبيه، وتأکید للقيوم) إذ لا تدبير ولا حفظ لمن ينعس أو ينام، ولذا
فصلت كالتى بعدها ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يملكهما ويملك
تدبيرهما، وعن الرضا (ع) انه قرأ (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما
تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي) إلخ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي
يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بيان لكبريائه، أي: لا أحد يتمالك يوم القيامة أن يشفع لأحد
إلا إذا أذن له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما كان وما لم يكن بعد - كما
عن الرضا (ع) - أو ما قبلهم وما بعدهم، أو عكسه، أو أمور الدنيا وأمور الآخرة،
أو عكسه، والضمير للـ (ما في السموات والأرض) تغليبا للعقلاء، أو لما دل عليه (من ذا)
من الملائكة والأنبياء ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ من معلوماته، بأن يعلموه كما
هو ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بما يوحى إليهم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: علمه،
أو الجسم المحيط بالسموات الذي تحت العرش، وكلاهما مروي، أو ملكه تسمية
باسم محل العالم والعرش ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ لا يثقله من (الأود)، أي: العوج ﴿حِفْظُهُمَا﴾
حفظه السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن الأنداد والأشباه، لا يدركه وهم
﴿الْعَظِيمُ﴾ الشأن، المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه، ولا يحيط به فهم، إلى هنا
آية الكرسي على الأشهر، وقيل: خالدون - وكلاهما مروي - ولاشتمال الآية على
توحيده تعالى وأصول صفاته الكمالية ونعوته الجلالية، ورد في شأنها ما ورد، كقوله (ص):
(من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت،
ولا يواضب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره)، وقول الباقر (ع): من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف

مكروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: لم يجبر الله أمر الإيمان على الإجبار ولكن على الاختيار ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميز الإيمان من الكفر، والحق من الباطل بالدلائل الواضحة، وقيل: إخبار معناه النهي، أي: لا تكرهوا في الدين، وهو إما عام نسخ بآية السيف، أو خاص بالذميين، قيل: كان لنصراني إبنان فتصرّا قبل البعثة، ثم قدما المدينة، فقال أبوهما: واللّه لا أدعكما حتى تسلما فاخصموا للنبي (ص) فتزلت ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ (فعلوت) من الطغيان مقدم اللام وهو: الشيطان - كما عن الصادق (ع) - أو كل ما عُبد من دون الله وصد عن سبيل الله، والقمي: هم الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ المحكمة ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ لا انقطاع ﴿لَهَا﴾ وفسرت في الاخبار بأنها الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبالأئمة، وبحب أهل البيت، وبالنبي، وبأمر المؤمنين (ع) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر والنيات.

[سورة البقرة الآيات ٢٥٧-٢٥٩]

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ^ط قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ^ط فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ^ط قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ^ط وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ^ط وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ^ط قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتولى أمورهم، أو أمور الذين أرادوا أن يؤمنوا وناصرهم باللفظ ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بلطفه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان، أو من ظلمات الجهل والذنوب إلى نور الهدى والمغفرة، والجملة خبر ثان، أو استئناف بيان للولاية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الشياطين ورؤوس الضلالة، والقمي: هم الظالمون آل محمد (ص) حقهم أولياؤهم الطاغوت وهم الذين اتبعوا من غصبهم ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ من الإيمان إلى

الكفر، أو من نور اليينات إلى ظلمات الشبهات، وعن الصادق (ع): (النور: آل محمد (ص) والظلمات عدوهم) وعنه (ع): من الظلمات إلى النور يعني: ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله، ومن النور إلى الظلمات وإنما عني بهذا: انهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا لولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عنه (ع): اعداء علي (ع) هم الخالدون في النار، وان كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة، والقمي: فيها خالدون والحمد لله رب العالمين^(١)، كذا نزلت ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب ﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وهو نمرود ﴿وَأَن آتَاهُ﴾ لان آتاه ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ ما تسلط به من المال والخدم، أو أبطره الإيتاء فحاج لذلك، أو حاج لأجله أي: وضع المحاجة موضع الشكر على إتيانه الملك، في الخبر: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، أما المؤمنان فسلیمان بن داود وذو القرنين، واما الكافران فنمرود وبخت نصر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف للاحاج، أو بدل من (ان آتاه) إن أريد به الوقت ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بخلق الحياة والموت، وحذف حمزة باء (ربي) ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل والقتل، عنه (ع): ان ابراهيم قال له: أحیی من قتلته إن كنت صادقاً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ معرضاً عن معارضته الفاسدة لظهور فسادها، إذ المراد بالإحياء والإماتة خلقهما، لا الإبقاء والقتل، عاد إلى دليل لا يمكنه التمويه فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قَبِهُتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ صار مبهوراً^(٢) ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم، بإبائهم قبول الهداية،

(١) لاشك ان بعض هذه القراءات تستلزم تحريف القرآن وهي غير معتبرة لا عند الشيعة ولا عند اهل السنة.

(٢) متحيراً.

أولا يهديهم إلى المحاجة، أو إلى الجنة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ﴾ تقديره: (أو أريت مثل الذي) فحذف لدلالة (ألم تر) عليه، و(الكاف) زائدة وهو: عزيز، أو أرميا، وكلاهما مرويان، وقيل: الخضر، وقيل: كافر بالبعث ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي: بيت المقدس حين خربه بخت نصر، أو التي خرج منها الألو ف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ ظرف، أو حال، أي: متى، أو كيف ﴿يُخْبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إعراف بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، وعلى تقدير كون القابل كافراً هو إستبعاد ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ فلبث ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياء ﴿قَالَ﴾ أي: الله، وقيل: ملك، أو نبي آخر ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ﴾ قول الظان ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قيل: قال قبل النظر إلى الشمس: (يوماً) ثم التفت فرأى بقية منها، فقال: (أو بعض يوم) على الإضراب^(١) ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ قيل: كان تيناً وعنباً ﴿وَشَرَابِكَ﴾ كان عصيراً ولبناً ﴿كَمْ يَتَسَنَّهُ﴾ لم يتغير بمرور الزمان، أخذ من (السنه) ولأمها أماء فالهاء اصلية، أو واو فهاء السكت، وقيل: أصله لم (يتستن)^(٢) من الحمأ المسنون، فابدل النون الثالثة حرف علة، وإنما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت عظامه ونخرت وتفتت، أو إليه سالماً كما ربطته، أعشناه بلا ماء وعلف ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك، عن علي (ع): إن عزيز خلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة فرجع ابن خمسين ولابنه مائة وقيل: رجع إلى قومه على حماره، فقال: انا عزيز

(١) أي: الإعراض عن الكلام الأول.

(٢) الظاهر أنها (يتستن).

فكذبوه، فأملى التوراة عن حفظه، وكان بخت نصر أحرقها، وكان جدّه دفنها فأخرجها، وعارضوها بما أملى فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ عظام الحمار، أو أهل القرية، أو عظامه، أحيى الله عينه فنظر ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ بالمعجزة، أي: نرفع بعضها فوق بعض للتركيب، وبالمهملة أي: نحييها والجملة حال من العظام، أي أنظر إليها محياة ﴿ثُمَّ نَكْشُوهَا لَحْماً﴾ من هاهنا وهاهنا ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبين، وروي: فلما استوى قائماً ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقرأ حمزة والكسائي (اعلم أمراً) من مخاطبة، أو من نفسه مبكّناً^(١).

[سورة البقرة الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمَ تُؤْمِنُ^ط
 قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي^ط قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ
 إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا^ط
 وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
 يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

(١) أي: لا تملك نفسه وموابعاً لها.

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ
وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيَّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ سأل ذلك ليصير علمه عياناً،
لما روي أنه رأى جيفة تأكل منها سباع البر ودواب البحر، فقال: رب قد علمت أنك
تجمعها من بطون هذه، فأرني كيف تحييها لأعاین ذلك ﴿قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ﴾ بأني
قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة، قال له ذلك وقد علم انه ارسخ الناس إيماناً
ليجيب بما أجاب، فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت
﴿لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ وأزداد يقيناً، حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها - كما عن
الصادق (ع) - أو على الخلة^(١) كما - عن الرضا (ع) -: ان الله أوحى إليه اني متخذ من
عبادي خليلاً، إن سألتني إحياء الموتى أجبتة، فوقع في نفس ابراهيم إنه ذلك الخليل
فقال: رب ... إلخ، أي ولكن ليطمئن قلبي على الخلة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾

جمع (طائر) كـ (صحب) لصاحب، أو مصدر سمي به، روي: الطاوس والحمامة والديك والهدهد، وروي: الديك والحمامة والطاوس والغراب، وخص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لحواس الحيوان ﴿فَصَرُّهُمْ﴾ اضممهم ﴿إِلَيْكَ﴾ لتأملها، وكسر حمزة الصاد ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ قطعهم واخلطهم وفرق الاجزاء على الجبال، وكانت عشرة - كما عن الصادق (ع) - وقيل: سبعة، وقيل: أربعة ﴿ثُمَّ اذْعُهُمْ﴾ قل لهم: تعالين يا ذن الله ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ ساعيات مسرعات، طيراناً أو مشياً، روي: أنه أمر أن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويخلط اجزاءها ويفرقها على الجبال ويمسك رؤسها، ثم يدعوهم، ففعل، فجعلت أجزاء كل واحد تجتمع حتى صارت جثثاً، ثم اقبلن فانضممن إلى رؤسهن ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر، أي: مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ﴾ بانشعاب ساقه سبع شعب، في كل منها سنبله ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لأنها سبب، كالأرض والماء، والمنبت هو الله تعالى، والتمثيل بذلك لا يقتضي وجوده، وقد يوجد في الدخن ونحوه، وفي البر في أرض قوية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله، وعلى حسب حاله، وعن الصادق (ع) لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما شاء من الزيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية المنفق، وقدر إنفاقه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا آنَفَقُوا﴾ بالاعتداد بالإحسان ﴿وَلَا أَذَى﴾ بالتناول بالإنعام، و (ثم) للتفاوت بين الانفاق وترك المن والأذى، ولعله لم يدخل الفاء فيه، وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاماً بأنهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴿١﴾ رد جميل ﴿٢﴾ وَمَغْفِرَةٌ ﴿٣﴾ تجاوز عن السائل الحاجة، أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل، أو عفوعن السائل بأن يعذره ﴿٤﴾ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى ﴿٥﴾ خبر لهما، وصح الابتداء بالنكرة للوصف ﴿٦﴾ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴿٧﴾ عن إنفاقكم ﴿٨﴾ حَلِيمٌ ﴿٩﴾ لا يعجل بعقوبة من يمن ويؤذي، وغيرهما ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴿١١﴾ أجرها ﴿١٢﴾ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿١٣﴾ بكل منهما لمنافاتهما الإخلاص، في النبوي (ص): من أسدى إلى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام، أو من عليه فقد أبطل الله صدقته، وعن الباقر (ع): نزلت في عثمان، وجرت في معاوية، وأتباعهما، وفي آخر: والأذى لمحمد (ص) وآل محمد (ص) ﴿١٤﴾ كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ﴿١٥﴾ كابطال المنافق المرائي بإنفاقه، أو مماثلين للمرائي، و(رياء) مفعول له، أو حال أي: مرائيا، أو مصدر أي: إنفاقاً رياء ﴿١٦﴾ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٧﴾ لا يريد به رضى الله ولا ثوابه في الآخرة ﴿١٨﴾ فَمَثَلُهُ ﴿١٩﴾ في إنفاقه ﴿٢٠﴾ كَمَثَلِ صَفْوَانَ ﴿٢١﴾ حجر أملس ﴿٢٢﴾ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴿٢٣﴾ مطر عظيم القطر ﴿٢٤﴾ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴿٢٥﴾ أجرد لا تراب عليه ﴿٢٦﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴿٢٧﴾ لا يتفعون بما عملوه، ولا يجدون ثوابه، والضمير للذي ينفق مراد به الجنس، أو الفريق ﴿٢٨﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٩﴾ لا يفسرهم ^(١) على الطاعة، أو الخير والإرشاد، وفيه تعريض بان الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار، ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها.

(١) لا يكرهم أولا يجبرهم.

[سورة البقرة الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ
 أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ
 فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّودُ
 أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ
 ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ^ط كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
 لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
 مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ^ط وَلَا
 تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ
 وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ^ط وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا^ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^١ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليثبتوا بعضها على الإيمان، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لله تعالى ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها، أو تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء، مبتدئاً من أصل أنفسهم، القمي: تثبتاً من أنفسهم عن المن والأذى، وعن الباقر (ع) نزلت في علي (ع) ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: مثل نفقتهم كمثّل انسان^(١) ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع، فإن شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمرأً، وفتح عاصم وابن عامر الراء، وضمها الباقر ﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَأَتَتْ أَكْثُلَهَا﴾ ثمرتها، وسكنه ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثل ما كانت تثمر بسبب الوايل، وقيل أربعة أمثاله ونصب حالاً، أي: مضاعفاً ﴿فَإِنْ لَمْ يُصْنِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌ﴾ أي: فيصيبها طل، أو فالذي يصيبها طل، أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها، والطل: ما يقع بالليل على الشجر والنبات، والمعنى: ان نفقة هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحوالها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ترغيب في الإخلاص، وترهيب من الرياء ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإكثار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ جعل الجنة منهما^(٢) - مع ما فيها من

(١) كذا في الخطبة والظاهر انها مصحّف (بستان).

(٢) من النخيل والأعناب.

سائر الأشجار- تغلياً لهما لشرفهما وكثرة منافعهما، ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الأشجار، ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع ﴿وَأَصَابَةُ الْكِبَرِ﴾ أي: كبر السن، فان الفاقة^(١) في الشيخوخة أصعب، والواو للحال، أولللعطف حملاً على المعنى أي: أ يود أحدكم لو كانت له جنة ﴿وَأَصَابَةُ الْكِبَرِ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ لا قدرة لهم على الكسب ﴿فَأَصَابَهَا إِغْصَارٌ﴾ ريح مستدبرة من الأرض نحو السماء كالعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ عطف على (أصابه)، أو تكون باعتبار المعنى ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا التبين ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فتعتبرون بها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من جيده، أو حاله ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ حذف المضاف لسبق ذكره، أي: ومن طيبات ما أخرجنا من الغلات والثمار والمعادن ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ ولا تقصدوا الردي، أو الحرام من المال مطلقاً ﴿تَنْفِقُونَ﴾ حال من فاعل (تيمموا) ويجوز تعلق (منه) به والضمير للخبيث والجملة حال منه ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ﴾ والحال انه لا تأخذونه في حقوقكم لخبيثه ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ تتسامحوا في أخذه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله، عن علي (ع): نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف^(٢) في تمر الصدقة، وفي النبوي: ان الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلا الطيب ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق ووجوه البر، و(الوعد) يستعمل في الخير

(١) الفقر.

(٢) الحشف: هو التمر الرديء الذي يجف ويصلب قبل نضجه.

والشر ﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ويغويكم على البخل ومنع الزكاة، إغواء الأمر للمأمر، والعرب تسمي البخيل (فاحشاً) ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ ﴾ في الإنفاق ﴿ مَغْفِرَةً مِنْهُ ﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿ وَفَضْلاً ﴾ وخلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كليهما ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الفضل لمن أنفق ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يأنفاقه ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ تحقيق العلم وإتقان العمل، وعن الصادق (ع): طاعة الله، ومعرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار، وفي آخر: المعرفة، والفقهاء في الدين ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قدم ثاني المفعولين اهتماماً به ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ وكسر يعقوب التاء، أي: يؤته الله ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ تنكير تعظيم أي: أي خير كثير ﴿ وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ [سورة البقرة الآيات ٢٧٠ - ٢٧٤]

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ^ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ^ط وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^ع وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^ط وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ^ع وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ^ع وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
 الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
 النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٧٤﴾
 الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
 أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧٥﴾

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة سرّاً أو علانية، في حق أوباطل ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ
 مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾
 الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها، أو يمنعون الصدقات، ولا يوفون بالنذر
 ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ تمنعهم من عذاب الله ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ﴾ فنعمة شيئاً
 إبدائها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا﴾ وتعطوها مع الإخفاء ﴿الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ عن
 الصادق (ع): هي سوى الزكاة، إن الزكاة علانية غير سرّ، وعنه (ع): كل ما فرض الله
 عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكل ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه،
 ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً
 ﴿وَيُكْفِّرُ﴾ الله، أو الإخفاء ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيب
 في الإسرار، ومجانبة الرياء ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ لا يجب عليك ان تجعلهم
 مهديين، وإنما عليك تبليغهم الأوامر والنواهي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُلطف

ممن^(١) يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه ﴿ وما تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ مال ﴿ فَلَا تُنْفِسْكُمْ ﴾ ثوابه لا لغيركم، فلا تمنوا عليه، ولا تنفقوا الخيـث ﴿ وما تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ أي: حال كونكم غير منفقين إلا لابتغاء مرضاته، وقيل: نفي في معنى النهي ﴿ وما تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة، فلا عذر لكم في الترك، وهو تأكيد للشرطية السابقة ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴾ ولا تنقصون ثواب نفقتكم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ أي: أعمدوا، أو صدقاتكم ﴿ الَّذِينَ أُخْصِرُوا ﴾ أحصرهم الجهاد ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لاشتغالهم به ﴿ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ ﴾ ذهاباً فيها للكسب، عن الباقر (ع) انها نزلت في أصحاب الصفة^(٢) قيل هم نحو من اربعمئة من فقراء المهاجرين كانوا في صفة المسجد، دأبهم التعلم والعبادة والخروج في كل سرية يبعثها النبي (ص) ﴿ يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ ﴾ بحالهم ﴿ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ عن المسألة ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ من صفرة الوجه، وورثاة الحال، والخطاب له (ص)، أوعام ﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ إلحاحاً، نصب مصدراً لأنه سؤال خاص، وهو أن يلزم حتى يُعطى أوحالاً والمعنى: لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحفوا، أونفي الأمرين ﴿ وما تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ترغيب في الإنفاق ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ يعمون الأوقات والأحوال وأموالهم بالصدقة، روى العامة والخاصة: انها نزلت في علي (ع) كانت معه اربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، وهي

(١) بمن.

(٢) الصفة: مكان مظل في مسجد المدينة كان يأوي اليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول (ص) فسموا (أصحاب الصفة).

جارية في الأمة ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ بالاستحقاق ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من أهوال القيامة ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فيها.

[سورة البقرة الآيات ٢٧٥ - ٢٨١]

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ
فَأَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو

عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ^ط ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ يأخذونه، وذكر الاكل لأنه أغلب منافع المال، والربا: الزيادة في المعاملة أجلاً وعوضاً، وكتب كالصلاة - على لغة - تفخيماً، وألحق الفاء تشبيهاً بواو الجمع ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ إلا قياماً كقيام المصروع، بناء على زعمهم أن الشيطان يخبطه فيصرع، والخبط: ضرب على غير استواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ الجنون، وهو - على زعمهم - أن الجني يمسّه فيختلط عقله، يعني: انهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، في النبوي (ص): لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر ان يقوم من عِظَم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلخ، وروي: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبطه الشيطان ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قاسوه عليه، فكما جاز بيع ما يساوي درهماً بدرهمين جاز بيع درهم بدرهمين، وكان الأصل انما الربا مثل البيع، ولعل العكس لأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع، أول للمبالغة ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ رد لقياسهم، إذ الاحكام تبع للحكمة، فجاز اختلاف حكم المتماثلين لحكمة يعلمها الله، وعن الصادق (ع): انما حرم الله الربا لثلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف، يعني: القرض الحسن ﴿فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ ونهي ﴿مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقِهَا﴾ فاتعظ

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ أخذَه قبل النهي لا يلزمه ردّه، عن الباقر (ع): الموعظة التوبة، وعن الصادق (ع): كل ربا أكله الناس بجهالة ثم تابوا فإنه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه، أويجازه على انتهائه ان اتعظ لله تعالى ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلى الربا ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لكفرهم بتحليل ما حرم الله، أو أريد: المكث الطويل، سئل الصادق (ع) عن الرجل يأكل الربا وهو يرى أنه حلال؟ قال: لا يضره حتى يصيبه متعمداً، فهو بالمنزلة التي قال الله، وعن الرضا (ع): هو كبيرة بعد البيان، والاستخفاف بذلك دخول في الكفر ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرُّبَا ﴾ يذهب بركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه، قيل للصادق (ع): نرى من يأكل الربا يربو ماله؟ قال: فأى محق أمحق من درهم ربا يمحق الذي يدخل فيه، وفي آخر: يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر ﴿ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ ﴾ ينميها بزيادة الثواب والمال، في النبوي (ص): يربّيها الله لعباده كما يربّي أحدكم مهره^(١) أو فضيله^(٢)، حتى ان اللقمة لتصير مثل جبل أحد، ونحوه أخبار آخر، وفيه: ما نقص مال من صدقة ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ مصر على تحليل الحرام ﴿ أَثِيمٌ ﴾ منهمك في ارتكابه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالله ورسله ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ عطف على (آمنوا) ولا يدل على خروج العمل عن الإيمان كما لا يدل عطف ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ عليه على خروجه عنه ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ على آت ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فائت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبَا ﴾ واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ

(١) المهر: أول ما تتجه الخيل من الولادات.

(٢) الفصيل: ولّد الناقة أو البقرة بعد فطامه، سمي (فصيلاً) لأنه فصل عن أمه.

مُؤْمِنِينَ ﴿بِقُلُوبِكُمْ﴾، عن الباقر (ع): إن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم، فنزلت ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فأعملوا بها من أذن به، أي: علم، وقرأ حمزة وعاصم في رواية (فأذنوا) أي: فأعلموا بها غيركم، من الأذن أي: الاستماع، وتنكير (حرب) للتعظيم وحرب الله وحرب رسوله (ص)^(١)، عن الصادق (ع): درهم ربا أشد عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم مثل خالة وعمة في بيت الله الحرام، وعن علي (ع): لعن رسول الله (ص) الربا وأكله وبايعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الإرتباء^(٢) ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فالحكم نظرة، أو فعليكم نظرة، أو فليكن نظرة، وهي: الإنظار ﴿إِلَى مِيسْرَةٍ﴾ يسار، وقرأ نافع وحمزة بضم السين، وقرأ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة، عن الصادق (ع): إن حد الإعسار أن لا يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الإقتصاد ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالابراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أكثر ثواباً من الأنظار، أو خير مما تأخذون لبقاء ثوابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنه معسر فتصدقوا عليه بما لكم عليه فهو خير - لكم كما عن الصادق (ع) - وقال (ع): خلّوا سبيل المعسر كما خلاه الله أو تعلمون الخير والشر ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة، أو يوم الموت، أو الأعم فتأهبوا^(٣)

(١) الظاهر أن (الواو) زائدة ، والجملة (وحرب الله حرب حرب رسوله).

(٢) الإرتباء: التعامل بالربا.

(٣) إستعدوا.

لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب، وروي: أنها آخر آية نزلت.

[سورة البقرة آية ٢٨٢]

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ
 وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا
 عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
 يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ
 لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِكْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
 مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ
 مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا
 يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
 كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا
 تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ

وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ^ط وَيَعْلَمُكُمْ

اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ إذا دأب بعضكم بعضاً، والتداين والمداينة: المعاملة نسبة - معطياً أو آخذاً - وذكر (الدَّين) مع (تدايتم) تأكيداً، أولرفع توهمه بمعنى تجازيتم من أول الأمر، وعن ابن عباس: أنها في السَّلم^(١) خاصة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ موقت بالأيام والشهور، لا بالحصاد ونحوه ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنه أوثق، والأمر للإستحباب، أو الإرشاد ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالسوية لا يزيد ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ لا يمتنع أحد من الكتابة ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ مثل ما علمه من الكتابة بالعدل، فقل: النهي للتحريم، والكتابة فرض كفائي، وقيل: نسخ وجوبها به (ولا يضار كاتب) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الكتابة المعلمة، عقب النهي عن الامتناع منها بالأمر بها تأكيداً ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المديون، لأنه المشهود عليه، و(الإملا) الإملاء ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الإملا ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ ولا ينقص من الحق ﴿شَيْئاً﴾ - قدراً أو وصفاً - ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾ ناقص العقل مُبَذَّراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ صبيهاً، أو شيخاً مختلاً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ﴾ أو غير مستطيع ﴿أَنْ يُمْلَأَ هُوَ﴾ بخرس، أو جهل اللغة ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: من يلي أمره، كالأب والجد والوصي والحاكم والوكيل، وعن الصادق (ع): السفیه: الذي يشتري الدراهم بأضعافه، والضعیف: الأبله، وعنه (ع): السفیه: شارب

(١) السَّلم: هويج الشيء المؤجل بضمن عاجل، فآخذ البائع الثمن قبل أن يُسَلِّمَ الشيء المبيوع.

الخمير، والضعيف: الذي يأخذ واحداً باثنين ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾
المؤمنين، ويفيد اشتراط بلوغ الشاهد وإيمانه، وروي: من المسلمين الأحرار
﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ فليشهد رجل ﴿وَامْرَأَتَانِ﴾ وخص
بالأموال في السنة ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ في تفسير الإمام: يعني ممن ترضون
دينه وأمانته وصلاحه وعفته، وتيقظه فيما يشهد به، وتحصيله وتمييزه ﴿أَنْ تَضِلَّ
إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة بأن تنساها ﴿فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ وإنما اعتبر التعدد في
المرأة لإرادة أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلّت ونسيت الشهادة، وذلك لنقصان
عقولهن وقلة ضبطهن^(١) والعلة - في الحقيقة - التذكير وضع سببه مقامه، وقرأ حمزة
(إن تضل) على الشرط، ورفع (فتذكر) وابن كثير وأبو عمرو (فتذكر) من الإذكار
﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لإقامة الشهادة، أو تحملها، وسمّوا (شهداء) لمجاز
المشارفة، و(ما) زائدة، وظاهر النهي التحريم، وعن الصادق (ع) - في الآية - قال:
لا ينبغي لأحد إذا دعي للشهادة يشهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم، وعنه (ع): فذلك
قبل الكتاب، وفي آخر: قبل الشهادة، وفي آخر حين يدعى قبل الكتاب، وقوله: ومن
يكتمها بعد الشهادة ﴿وَلَا تَسْمُوا﴾ لا تملّوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الدين، أو الحق
﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ المسمى ﴿ذَلِكَ﴾ الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل
﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾ وأثبت ﴿لِلشَّهَادَةِ وَأَذْنَى الْأَلْأَنْتَابِ﴾ وأقرب إلى أن لا تشكوا
في قدر الدين وأجله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء عن مفعول (فاكتبوه) الراجع
إلى (دين) باعتبار تعلق الكتابة به وتعلقه بالتدوين، وما بينهما اعتراض، أي: اكتبوا

(١) بعض هذه الأحكام تراعي البنية التكوينية للمرأة فهي - بلا شك - مخلوق أضعف من الرجل وإلا فإن حقوق المرأة محفوظة باعتبارها نصف

الدين المتداين به إلا أن يكون تجارة، ونصبها عاصم خيراً، أي: إلا أن تكون التجارة
تجارة ﴿حاضرة﴾ حالة، وتعم المبايعة بعين، أودين غير مؤجل، ولا يبعد تخصيصها
بالأول ﴿تديرونها﴾ أي: تتعاطونها ﴿يَتَنَكَّم﴾ يداً بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا﴾ لبعدها عن الشك والتنازع ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقاً للإحتياط، والأمر
للإستحباب، أو الإرشاد ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهامها عن ترك الإجابة،
والتحريف في الكتابة والشهادة - إن بني للفاعل - ونهي عن الضرار بهما باستعجالهما
عن أمر مهم، أو تكليف الكاتب قرطاساً، أو نحوه، أو الشهيد مؤنة مجيئه من بلد إلى
بلد إن بني للمفعول ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ المضارة ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة
لا حق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ما فيه مصالحكم
﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولعل تكرار لفظ (اللَّهُ) في الجمل الثلاث لكونه أدخل في
التعظيم من الضمير.

[سورة البقرة الآيات ٢٨٣ - ٢٨٦]

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ
بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتُمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ
وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٣﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَالْمُؤْمِنُونَ ءَكُلٌّ
 ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ء
 وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءُغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٤﴾ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
 كُنَّا سَاهِيْنَ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ءَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ
 لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٥﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ تقوم مقام
 الوثيقة، أو فالوثيقة رهان، ويقيد الارتهان بالسفر وعدم وجدان الكاتب خرج مخرج
 الغالب، واعتبر الجمهور - سوى مالك - فيه القبض، وعليه أكثر الأصحاب، وادعى
 الطبرسي عليه الإجماع، وعن الصادق (ع): لا رهن إلا مقبوضاً، وقرأ ابن كثير وابن عامر
 (فرهن) (كسُف)، وكلاهما جمع (رهن) بمعنى: المرهون ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾
 بأن وثق الدائن بالمديون ولم يرتهن منه ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي: دينه الذي
 ائتمنه عليه، سمي (أمانة) لائتمانه عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة وإنكار الحق، وفي
 ذكر (الرب) والإضافة إلى المؤتمن بعد ذكر الاسم الدال على الذات الجامع لصفات
 الكمال، المقتضية للإتقاء الإعطاف والإفضال، وإظهار الملاطفة ﴿وَلَا تَكْتُمُوا
 الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود، ومن ﴿يَكْتُمُهَا﴾ مع تمكنه من أدائها ﴿فَإِنَّ آثِمًا﴾ خبر (إن)

﴿ قَلْبُهُ ﴾ فاعله، أو مبتدأ و(آثم) خبره، والجملة خبر (إن) وأسند الإثم إلى القلب لأن الكتمان فعله لأنه رئيس الأعضاء، كأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وملك أشرف أعضائه، وعن الباقر (ع): كافر قلبه ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ ﴿ خَلْقًا وَمَلَكًا ﴾ وإن تَبَدُّوا ما في أَنْفُسِكُمْ ﴿ من خير أَوْشَرُ ﴾ أو تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿ في القيامة ﴾ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴿ فَضْلًا ﴾ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴿ عَذَابٌ ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿ من المحاسبة والمغفرة والعذاب وغيرها ﴾ قَدِيرٌ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴿ شهادة وتنصيب من الله على الاعتداد بإيمانه ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿ عطف على (الرسول)، وما بعده إسْتِثْنَاءٌ ﴾ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴿ مبتدأ وخبر، أي: كل واحد منهم، فالضمير المنوي للرسول و(المؤمنين) أو مبتدأ والضمير للمؤمنين والخبر جملة (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وقرأ حمزة والكسائي (وكتابه) أي: القرآن، أو الجنس ﴿ لَا تُفَرِّقُ ﴾ أي: يقولون لا نفرق ﴿ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ وقرأ يعقوب بالياء، و(أحد) في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي، ولذلك دخل عليه (بين) والمراد نفي التفريق في التصديق ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا أَجَبْنَا ﴾ وَأَطَعْنَا ﴿ أَمَرَكَ ﴾ غُفْرَانِكَ ﴿ أي: نطلب، أو اغفر غفرانك ﴾ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ المرجع بعد الموت، وهو إقرار بالبعث ﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿ أي: ما تتسع فيه طاقتها فضلًا ورحمة، قال الصادق (ع): ما أمر العباد إلا بدون سعتهم، وكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له، وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من خير ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ من شر، لا يثاب بطاعتها ولا يؤاخذ بذنبها غيرها، وخص الكسب بالخير، والاكتساب بالشر، لأن في الاكتساب أعمالاً، والشر تشبيه النفس الأتارة فهي أعمل في تحصيله بخلاف الخير، وفي إشارة أخرى وهو أن

الخير القليل ينفعها ولا يضرها إلا الشر الكثير تفضلاً، ولذا ان ترك الكبائر مكفرة للصغائر، لأن كثرة المباني تدل على كثرة المعاني^(١) و(اكتسبت) أكثر حروفاً من (كسبت) ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إن تعرضنا لما يؤدي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو اغفال، أو إن تركنا أو أذنبنا، أو يكون الدعاء به لاستدامة فضله تعالى ك(اهدنا الصراط المستقيم)، أو على ظاهره إذ لا يمتنع المؤاخذه بهما عقلاً فإن الذنوب كالسموم تناولها يؤدي إلى الهلاك، وإن لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد العفو، أو أن العفو عنها مختص بهذه الأمة دون الأمم السالفة، كما يشعر به النبوي (ص): رفع عن أمتي تسع: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكروهوا عليه، والطيرة^(٢)، والوسوسة في التفكير في الخلق، والحسد - ما لم يظهر بلسان أو يد - ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ حملاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي: يحبسه في مكانه، يعني به: التكاليف الشاقة ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ﴾ أي: حملاً مثل حملكه ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلُنَا﴾ كتكليف بني إسرائيل بقتل أنفسهم، وقطع موضع النجاسة من لحومهم، وغير ذلك ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من البلاء والعقوبة، أو من التكاليف التي لا تفي بها القوة البشرية ﴿وَاعْفُ﴾ وامنح ﴿عَنَّا﴾ ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ واسترها ولا تفضحنا بها ﴿وَارْحَمْنَا﴾ وأنعم علينا ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ الأولى بنا من أنفسنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فمن حق المولى أن ينصر عبيده على أعدائهم.

تَمَّت - والله الحمد - سورة البقرة وتفسيرها.

(١) لم تثبت هذه القاعدة في اللغة العربية، وهي مخرومة بكثير من الموارد منها كلمتي (حذر) و(حاذر) فمع أن الثانية أكثر حروفاً من الأولى إلا أن

معنى الأولى أشمل وأوسع من الثانية.

(٢) الطيرة: هي التشاؤم من بعض الأشياء، يقال: فلان تطير بكذا أي: تشائم منه ورآه فالأردنياً.

سورة آل عمران

(مائتا آية مدنية)

[الآيات ١ - ٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ ۝ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۝ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۝ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا

تُرِغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مرّ الكلام فيه، وعن الصادق (ع): (الم) في أول
 آل عمران معناه انا الله المجيد ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ مرّ تفسيره ﴿نَزَلَ
 عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن جملة ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل، أو بالصدق في إخباره،
 أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال عن المفعول ﴿مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى وهما
 أعجميان، وقيل: مشتقان من (الورى) و(النجل) ووزنهما (تفعلة) و(افعيل)
 ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ عامة، ولقومهما خاصة
 ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ جنس الكتب السماوية، فإنها تفرق بين الحق والباطل - من عطف
 العام على الخاص - أو القرآن، وكرر ذكره بوصفه المادح تعظيماً لشأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم
 ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب، لا يمنع من التغليب ﴿ذُؤَانِيقَامٌ﴾ تنكيره للتعظيم، أي: انتقام
 لا يقدر مثله أحد ولا يعرف كنهه، والنقمة: عقوبة المجرم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾
 كلياً أو جزئياً، إيماناً أو كفراً ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في العالم، وعبر عنه
 بهما إذ الحس لا يتجاوزهما، وقدم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولأن
 المقصود ما اقتراف فيها ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصور

المختلفة، تقرير للقيومية واثبات لعلمه تعالى بإتقان فعله في تصوير الجنين كما ان ما قبله تقرير للحياة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم غيره علمه، ولا يقدر قدرته ﴿الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله، قيل: هذا حجاج على من زعم ان عيسى (ع) كان رباً، كوفد نجران حاجوا الرسول (ص) فيه، فنزلت أوائل السورة إلى نيف^(١) وثمانين آية، تقريراً لحججه عليهم ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإجمال والاشتباه ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله يرد إليها غيرها، والقياس (أمهات) فأفرد على إرادة كل واحدة، أو على ان الكل بمنزلة واحدة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ محتملات لا يعلم المراد منها الا بالرجوع إلى الراسخين في العلم، سئل الصادق (ع) عن المحكم والمتشابه، فقال: المحكم: ما يعمل به، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق إلى البدع ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون بظاهره، أو بتأويل باطل ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس، وعن الصادق (ع): الفتنة الكفر ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ان يؤولوه على مرادهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الحق، وعن الباقر (ع): يعني تأويل القرآن كله ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الذين ثبتوا فيه وتمكنوا، عن الصادق (ع): نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله، وفي رواية فرسول الله (ص) أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله جميع ما أنزل عليه في التزويل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه بعده يعلمونه كله، وعن الباقر (ع): إن الراسخين في العلم من لا يختلف في علمه ومن وقف على الله، فسر المتشابه بما

استأثر تعالى بعلمه كوقت قيام الساعة ونحوه، وأصحابنا على الأول ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾
 حال من (الراسخين) وخبر له - إن جعل مبتدأ - ﴿كُلُّ﴾ أي: من المتشابه والمحكم
 ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
 مدح للراسخين، أولمن يتذكر ان العلم بالمتشابه مختص بالراسخين، قال الرضا (ع):
 من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم، ثم قال: إن في أخبارنا
 متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكمه، فردّوا متشابهها إلى محكمها، إلا تبعوا
 متشابهها دون محكمها ففضلوا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ من قول الراسخين، أو استئناف،
 أي: لا تزغها عن نهج الحق وهو من الراسخين خضوع في مقام العبودية، وقيل:
 لا تبلى بلبايا تزيع فيها قلوبنا، وأضيف (الزيع) إلى الله لأنه مسبب عن امتحانه
 وخذلانه ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ بالتوفيق
 والمعونة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ للنعم، ولكل سؤال ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾
 لحساب يوم جزائه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في وقوعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
 والموعد لأن الإلهية تنافيه.

[سورة آل عمران لآيات ١٠ - ١٥]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ

وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢١﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ ۗ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ
﴿٢٢﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرِّ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْمَآبِ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾
أي: بدل رحمته، أو طاعته، أو من عذابه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ﴾ خطبها وقرىء
بالضم، أي: أهل وقودها خطباً ﴿كَدَّابٍ﴾ مصدر دأب في العمل أي: كدح فيه،
فنقل إلى المعنى الشاق، ومحل الكاف الرفع أي دأب هؤلاء كدأب ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾
في الكفر، أو النصب بد (تغني) أو وقود، أي: لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك،
أو توقد بهم كما توقد بأولئك ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على (آل فرعون)

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تفسير لدأبهم، أو بيان لسببه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾
واللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ترهب للكفرة﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مُشْرِكِي مَكَّةَ﴾
﴿سُتَغْلَبُونَ﴾ أي: يوم بدر ﴿وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أولليهود حين حذرهم بعد بدر
ان ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا لا يغرنك انك أصبت أغماراً^(١) لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس، فنزلت، وصدق الوعد بقتل قريظة، وإجلاء النظر،
وضرب الجزية على من بقي، وهو من آيات النبوة، وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما
على الأمر، بأن يحكي لهم ما أخبره بهم من وعيدهم بلفظه ﴿وَبَشِّرِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ جهم،
وما مهدوا لأنفسهم ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ دلالة معجزة على صدق محمد (ص)،
خطاب للمشركين، أو اليهود، أو المؤمنين ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتِ﴾ يوم بدر ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي﴾
سَبِيلِ اللَّهِ ﴿فِي دِينِهِ وَطَاعَتِهِ، وهم الرسول وأصحابه﴾ وَ﴿فِرْقَةٌ﴾ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴿
وهم مشركو مكة﴾ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴿يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين﴾
وكانوا قريب ألف، أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، قللوا
أو لا في أعينهم حتى اجترءوا عليهم كما قال: (ويقللكم في أعينهم)^(٢) فلما لا قوهم
كثروا في أعينهم حتى غلبوا، أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة
أمثالهم، ليشبتوا لهم بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله: (فإن يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين)^(٣) ويؤيده قراءة نافع بالتاء - إذا كان الخطاب للمؤمنين - ﴿رَأْيِ الْعَيْنِ﴾
رؤية مكشوفة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أيد أهل بدر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾

(١) أغمار: جمع (عَمَر): وهو الرجل الذي لم يجرب الأمور.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٦.

التقليل والتكثير، ونصر القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لعظة لذوي البصائر ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتهايات، سماها (شهوات) مبالغة وإيماء إلى إنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها، كما في (وأحببت حب الخير)^(١) ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع (قنطار) وهو: المال الكثير، وقيل: ملء مسك^(٢) ثور ذهباً - كما في الخبر - وقيل: مائة ألف ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ للتأكيد كـ (ألف مؤلف) ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلّمة من السّومة وهي العلامة أو المرعية ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي: المرجع إشارة إلى الحث على إستبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات الباقية ﴿قُلْ أَتَبْتَكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ المتاع الفاني ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استئناف لبيان ما هو عنده، أو يتعلق (اللام) بـ (خير) ويرتفع (جنان) بتقدير: هو جنات، ويؤيده قراءة من جرّها بدلاً من (خير) ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأدناس خلقاً وخلقاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وضم عاصم الراء ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: بأعمالهم، فيجازيهم بها.

(١) كذا وردت وفي القرآن الكريم: (فقال اني أحببت حب الخير). سورة ص الآية ٣٢.

(٢) المسك: هو الجلد.

[سورة آل عمران الآيات ١٦-٢٢]

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
 وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسَلِمُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ
 وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
 فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۚ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ
 يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ

مِنْ تَنْصِيرٍ ﴿٣٢﴾

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين، أو للعباد، أو مدح منصوب، أو مرفوع ويحتمل الاستئناف، رتب المغفرة والوقاية من النار على الإيمان به (الفاء) إشعاراً بأنه يستلزمهما لأن المراد منه الإيمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به ﴿الصَّابِرِينَ﴾ في البأساء والضراء أو عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأعمال والأحوال ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ الخاشعين، أو المطيعين ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ المصلين وقت السحر - كما عن الصادق (ع) - وعنه (ع): من استغفر سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية، قيل: تخصيص الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حيثئذ أشق، والنفس أصفى، والروح أجمع - سيما للمجتهدين - وفي الآية حصر مقدمات السالك على أحسن ترتيب، فإن معاملته مع الله إما توسل، وأما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل، وحبسها على الفضائل والصبر يشملها، وأما البدن وهو اما قولي وهو الصدق، واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة، واما بالمال وهو: الإنفاق في سبيل الخير، واما الطلب وهو الإستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامعة لها، وتوسيط (الواو) بينها للدلالة على إستقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها، أولتغاير الموصوفين بها ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بين تعالى وحدانيته لقوم بظهوره، ولآخرين بنصب الدلائل الدالة عليها، ولقوم بانزال الآيات الناطقة بها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، وفعلاً لقوم، وقولاً لآخرين ﴿وَأُولُوا

الْعِلْمُ ﴿وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ - كَمَا عَنْ الْبَاقِرِ (ع) - وَأُولُو الْعِلْمِ بِهِ وَبِالاحتِجَاجِ عَلَيْهَا
 قِيلَ: شَبَهَ الظُّهُورَ وَالْإِظْهَارَ فِي الْإِنْكَشَافِ وَالْكَشْفِ بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِ ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾
 مَقِيمًا لِلْعَدْلِ فِي أُمُورِ خَلْقِهِ، نَصَبَ حَالًا مِنْ (اللَّهِ) وَجَازَ أَفْرَادَهُ دُونَ (جَاءَ زَيْدٌ
 وَعَمُرُو رَاكِبًا) لِعَدَمِ اللَّبْسِ، أَوْ مِنْ (هُوَ) فَتَكُونُ حَالًا مُؤَكَّدَةً وَعَامِلَهَا مَعْنَى الْجُمْلَةِ،
 أَيُّ: تَفَرَّدَ قَائِمًا، أَوْ عَلَى الْمَدْحِ وَيَنْدَرِجُ فِي الْمَشْهُودِ بِهِ عَلَى الْآخَرِينَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ﴾ كَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ وَمَزِيدَ الْإِعْتِنَاءِ لِبَنِي عَلَيْهِ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَقْرِيرَ لِلوَحْدَانِيَّةِ
 وَالْعَدْلِ، وَرَفَعَا بَدَلًا مِنْ (هُوَ) أَوْ خَبَرًا لِمَحْذُوفٍ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ جُمْلَةٌ
 مُسْتَأْنَفَةٌ يُوَكِّدُ الْأَوَّلَى أَيُّ: لَا دِينَ مَرْضِي عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ
 وَالتَّمَسُّكُ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ (ص)، وَفَتْحُ الْكَسَائِي (أَنْ) بَدَلًا مِنْ (أَنَّهُ) وَعَنْ الصَّادِقِ (ع):
 أَنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَعَلَيْهِ يَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاسَكُونَ، وَالْإِيمَانُ عَلَيْهِ يَثَابُونَ
 ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَأَهْلَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ فِي دِينِ
 الْإِسْلَامِ فَأَثَبَتْهُ، قَوْمٌ وَخَصَّهُ قَوْمٌ بِالْعَرَبِ، وَنَفَاهُ قَوْمٌ، أَوْ فِي التَّوْحِيدِ فَثَلَّثَ النَّصَارَى،
 وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ بْنُ اللَّهِ، وَقِيلَ: هُمُ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفُوا بَعْدَ مُوسَى، وَقِيلَ: النَّصَارَى
 اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ عِيسَى ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بِالْحَقِّ وَتَمَكَّنُوا مِنْهُ بِالْدَّلَائِلِ
 ﴿بَغْيًا﴾ حَسَدًا وَطَلَبًا لِلرَّئَاسَةِ ﴿يَتَنَّهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
 وَعِيدٌ لَهُمْ، وَفَسَّرَ فِي الْبَقَرَةِ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ فِي الدِّينِ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾
 أَخْلَصْتُ نَفْسِي ﴿لِلَّهِ﴾ وَحَدَّهُ عَبَّرَ بِالْوَجْهِ عَنِ النَّفْسِ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ
 وَمُظْهَرُ الْقُوَى الْمَدْرُكَةِ ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِ﴾ عَطَفَ عَلَى (التَّاءِ) وَحَسَنَ لِلْفَصْلِ، أَوْ مَفْعُولٌ
 مَعَهُ، وَحَذَفَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ الْكَسَائِي (الْيَاءِ) اجْتِزَاءً بِالْكَسْرِ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ بَعْدَ وَضُوحِ

الحجج، أم أنتم على كفركم، مثل (فهل أنتم متهمون)^(١) وفيه توبيخ لهم بالمعاندة ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ نفَعُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِخْرَاجِهَا مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لَمْ يَضُرَّوكَ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ وَقَدْ بَلَغْتَ ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ وَعَدَ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَوَعِدَ لِلْمُتَوَلِّينَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قِيلَ: هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ فِي عَصْرِهِ، قَتَلُوا أَهْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَمَتَابِعِيهِمْ مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ رَضُوا بِهِ، وَقَصَدُوا قَتْلَ النَّبِيِّ (ص) وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُمْ، وَقَرَأَ حَمْزَةً (وَيَقَاتِلُونَ الَّذِينَ) ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ خَيْرَ الْمَبْتَدَأِ، وَدَخُولِ (الْفَاءِ) لَتَضْمَنِ الْمَبْتَدَأِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَمَنْعِ سَيَوِيهِ دَخُولِ (الْفَاءِ) فِي خَيْرِ (إِنْ) كَمَا لَيْتَ (وَلَعَلَّ) وَلِذَلِكَ قِيلَ الْخَبَرُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إِذْ لَمْ يَنْتَلُوا بِهَا الْمَدْحَ وَالثَّنَاءَ، وَحَقَّنَ الْأَمْوَالَ وَالْدِمَاءَ فِي الدُّنْيَا وَالْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

[سورة آل عمران الآيات ٢٣ - ٣٧]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ^ط وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ
مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
وُوفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ
اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ^ط وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ^ط وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً^ط وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^ط وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾
قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ
تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ
أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ
رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٢﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا
بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرِئُ أُنَىٰ لَكَ هَذَا ۖ قَالَتْ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾ أي: حظاً وافراً، والتنكير للتعظيم،
أو التحقير ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة، أو جنس الكتب السماوية، و(من) للتبعض
أو التبيين ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يدعوهم محمد (ص) إلى
القرآن، أو التوراة لما روي أن رسول الله (ص) دخل مدارسهم فدعاهم فقال نعيم:
على أي دين أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقال له نعيم: إن إبراهيم كان يهودياً
فقال (ص): هلموا إلى التوراة ليحكم بيننا، وقيل: نزلت في أمر الرجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى
فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب ﴿وَهُمْ مُّغْرَضُونَ﴾
حال من (فريق) لتخصصه بالصفة، أي: وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق،
وهو نهاية التقريع ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب تسهيلهم على
أنفسهم بأمر العقاب بقولهم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ قلائل ﴿وَعَرَّهْمُ فِي
دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من إن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب
أن لا يعذب أولاده إلا نحلة القسم، يعني: قوله: (لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين)^(١) (وان منكم إلا واردها)^(٢) ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ
فِيهِ﴾ استعظام لما يحق بهم في الآخرة، وتكذيب لقولهم (لن تمسنا النار إلا أياماً).
وروي أن راية تُرفع يوم القيامة من رايات الكفار، راية اليهود فيفضحهم الله
على رؤوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾
أي: جزاءه، أو نفسه بناء على تجسيم الأعمال ﴿وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ﴾ الضمير

(١) سورة السجدة الآية ١٣.

(٢) سورة مريم الآية ٧١.

لكل نفس على المعنى لأنه في معنى: كل انسان ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض عن (ياء) ولذا لا يجتمعان، وهو من خصائص هذا الاسم لدخول ياء عليه مع لام التعريف^(١)، وتاء القسم، وقطع همزته ﴿مَالِكِ الْمَلِكِ﴾ كله على الحقيقة تتصرف تصرف الملاك، وهو صفة لله، وعند سيويه نداء ثان فان الميم عنده تمنع الوصفية ﴿تُؤْتِي الْمَلِكِ﴾ أي: ما تشاء منه ﴿مَنْ تَشَاءُ وَ﴾ كذا ﴿تَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ فالملك الاول عام، والآخران خاصان، وقيل: الملك هنا النبوة ونزعه نقلها من قوم إلى قوم ﴿وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ في الدنيا والدين، بالنصر والإدبار، والتوفيق والخذلان ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ والشر ليس منك لأن أفعاله تعالى خير والشر يرجع إلينا، والمضار الظاهرة من الأوجاع والابتلاء لمصالح فهي خير ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ حتى الشرور ﴿قَدِيرٌ﴾ لا يصدر عنك إلا الخير ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تدخل كلاً منهما في الآخر بالزيادة والنقص، أو تعقب أحدهما الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تنشئ الحيوانات من موادها وتميتها، أو تخرج الحيوان من النطفة والنطفة منه، أو تخرج المؤمن من الكافر وبالعكس، والأخير مروي، وخفف (الميت) ابن كثير وابوعمر ووابن عامر وابوبكر ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا تقتير ولا مخافة نقصان، وفي ذكر قدرته على معاقبة الليل والنهار، وإخراج الحي من الميت وعكسه، ورزقه الواسع دلالة على أن القادر على ذلك قادر على إيتاء الملك ونزعه والإعزاز والإذلال ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

(١) لا تدخل (يا) النداء على الاسم المعروف بلأل) فلا يصح ان تقول: (ياالرجل) ولكن يخص لفظ الجلالة بذلك فتقول: (يا الله) بدون أي تقل في

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴿٢٣﴾ نَهَى عَنْ مَوَالِيهِمْ وَالْإِسْتِعَانَةَ بِهِمْ ﴿٢٤﴾ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِأَوْلِيَاءِ، أَوَالِحَالِ إِنْ جُوزَتْ عَنِ النِّكَرَةِ، أَيْ: لَا يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ بِدَلِّ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ هُمْ أَحَقُّ بِالْمَوَالَاةِ، وَفِي مَوَالِيهِمْ مَدْوُوحَةٌ عَنِ مَوَالَاةِ الْكُفْرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿٢٧﴾ وَيُؤَالِهِمْ ﴿٢٨﴾ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴿٢٩﴾ مِنَ الْوَلَايَةِ، لِأَنَّهُ تَرَكَ مَوَالَاةَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَلِيَهُمُ اللَّهُ، وَوَالَى عَدُوَّ اللَّهِ ﴿٣٠﴾ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿٣١﴾ أَيْ: لَا يَجُوزُ مَوَالِيهِمْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا حَالُ التَّقِيَةِ وَالْخَوْفِ مِنْهُمْ، وَ(تُقَاةً) مُصَدَّرٌ أَمَّا بِمَعْنَى مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ فَيَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ، أَوْ بِمَعْنَاهُ ^(١) فَيَكُونُ مَفْعُولًا مُطْلَقًا وَعَدِي الْفِعْلُ بِـ (مِنْ) لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى تَخَافُوا وَتَحْذَرُوا، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ (تَقِيَةً)، وَالْأَخْبَارُ فِي رَجْحَانِ التَّقِيَةِ مُتَوَاتِرَةٌ ﴿٣٢﴾ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٣٣﴾ فِي مَوَالَاةِ الْكُفَّارِ بِلا ضَرُورَةٍ، وَتَرَكَ التَّقِيَةَ فِي الضَّرُورَةِ ﴿٣٤﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٥﴾ تَأْكِيدٌ لِلتَّهْدِيدِ، وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِلْمُبَالَغَةِ ﴿٣٦﴾ قُلْ إِنْ تُخَفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴿٣٧﴾ مِنْ وَلَايَةِ الْكُفَّارِ وَغَيْرِهَا ﴿٣٨﴾ أَوْ تُبَدُّوهُ يَغْلَمَهُ اللَّهُ ﴿٣٩﴾ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ ﴿٤٠﴾ وَيَغْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٤١﴾ فَيَعْلَمُ مَا تَضْمُرُونَهُ وَمَا تَخْفُونَهُ ﴿٤٢﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٣﴾ فَيَقْدِرُ عَلَى تَعْذِيبِكُمْ وَخَزْيِكُمْ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، قِيلَ: وَهَذَا بَيَانٌ لِقَوْلِهِ (وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) لِأَنَّ نَفْسَهُ مُتَصِفَةٌ بِعِلْمِ وَقَدْرَةِ ذَاتَيْنِ، يَحِيطَانِ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَقْدُورَاتِ، فَلَا يَجْسُرُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لِإِطْلَاعِهِ عَلَيْهَا وَقَدْرَتِهِ عَلَى الْعُقُوبَةِ بِهَا ﴿٤٤﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٤٥﴾ يَوْمَ ظَرْفُ لَاتُودٍ ﴿٤٦﴾ أَيْ: تَتَمَنَّى كُلُّ نَفْسٍ يَوْمَ تَجِدُ جَزَاءَ أَعْمَالِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَاضِرًا، لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ

اليوم وهوله مسافة بعيدة، أوبـ (اذكر) مضمرًا و(تود) حال من ضمير (عملت) أو خبر (ما عملت من سوء) ويقصر (تجد) على (ما عملت) من خير، وليست (ما) شرطية لارتفاع (تود) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد، والتذكير، والحث على عمل الخير، وترك سوء، أو الأول للمنع من موالاة الكفرة ﴿وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ إشارة إلى أن النهي والتحذير رأفة بهم، ورعاية لمصلحتهم، وانه لدومغفرة، وذوعقاب، يرجى ثوابه، ويخشى عقابه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ وتريدون طاعته ﴿فَاتَّبِعُونِي يُخْبِرْكُمْ اللَّهُ﴾ جواب الأمر، أي: يرضى عنكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بالتجاوز عنها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه، واتبع نبيّه، روي: انها نزلت لما قال اليهود (نحن أبناء الله وأحباؤه)^(١) وقيل: نزلت في وفد نجران انا نعبد المسيح حباً لله وقيل: في قوم زعموا أنهم يحبون الله، فأمرُوا ان يجعلوا لقولهم تصديقاً ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يحتمل الماضي، والمضارع أي: (تتولوا) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم، ولا يغفر لهم ووضع المظهر موضع المضمّر إشارة إلى العلّ وللدلالة على العموم، وعلى ان التولي كفر واختصاص محبته بالمؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، ودخل فيهم النبي (ص) وآله (ع) ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ موسى وهارون ابنا عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، أوعيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، من ولد سليمان بن داود بن أيشا، من ولد يهود بن يعقوب، وكان بين العمرانين ألف وثمانمئة سنة ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة والامامة والعصمة، وفيه دلالة على تفضيلهم على الملائكة،

(١) حكى القرآن الكريم عنهم وعن النصارى قولهم هذا في سورة المائدة الآية ١٨.

وفي قراءة اهل البيت وآل محمد (ص)، وفيها روايات، وعن الباقر (ع) لما تلا الآية قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ بدل، أوحال من الأولين تقع على الواحد والجمع، أي: ذرية واحدة متسلسلة ﴿بَعْضُهَا﴾ متشعب ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ وعن الصادق (ع): بعضهم من نسل بعض ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال، أولقول امرأة عمران وبتتها فينصب به، أو بـ (اذكر) مضمرًا ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ بن ماثان وجدة عيسى، لا أم موسى، والمشهور ان اسمها (حنة) كما عن الصادق (ع)، وقيل مرثاد، وهو وهيبة بالعربية- كما عن الكاظم (ع)- ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ قيل: رأت طائراً يطعم فرخه فحنت للولد، فقالت: اللهم ان لك عليّ نذراً ان رزقتني ولداً ان أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خدمه، فحملت بمريم وهلك عمران، وكان هذا النذر مشروعاً عندهم ﴿مُحَرَّرًا﴾ معتقاً لخدمة بيت المقدس لا أشغله بشيء، وهو حال ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيتي ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الضمير لـ (ما في بطني) وأنت لأنه كان أنثى، أولتأويله بالنفس، أو النسمة ﴿قَالَتْ﴾ تحسراً إلى ربها، إذ كانت ترجوان تلد ذكراً ولذا نذرت تحريره ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ حال ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ استئناف من الله تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدره، وقرأ ابن عامر وابوبكر (وضعت) بقاء المتكلم تسلية لنفسها، أي: ولعلّ لله فيه حكمة، أو هذه الأنثى خير ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾ التي وهبت، فاللام للعهد، وان كان من قولها فللجنس، أي: وليس الذكر كالأنثى فيما نذرت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ تقريباً إلى الله وطلب ان يعصمها ويصلحها، حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، والجملة عطف على (اني وضعتها) وما بينهما اعتراض

﴿وَأَنِّي أُعِيذُهَا﴾ أَجِيرُهَا ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود، وعن النبي (ص): ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستعمل^(١) صارخاً من مسه إلا مريم وابنها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولِ حَسَنِ الْقَبُولِ﴾ ما يقبل به الشيء وهو اختصاصها بإقامتها مقام الذكر، أو مصدر على حذف المضاف، أي: بذي قبول حسن ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا (زكريا) غير عاصم في رواية - على أنه مفعول والفاعل هو (الله) أي: جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، وخفف الباقون ومدّوا (زكريا) مرفوعاً، روي: أن حنة حين ولدتها لفتها في خرقه وأتت بها إلى المسجد، وقالت للأخبار: دونكم النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فقال زكريا: أنا أحق بها، عندي خالتها، فأبوا إلا القرعة فانطلقوا - وهم سبعة وعشرون - إلى نهر والقوا فيه أقلامهم، فطفا قلم زكريا، ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا، وفي رواية الأصحاب: زوجة زكريا أختها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ أي: الغرفة التي بناها لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه سمي به لأنه محل محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ جواب (كلما) روي: أنه كان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي﴾ من اين ﴿لَكَ هَذَا﴾ الرزق الآتي في غير حينه والأبواب مغلقة ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعد، قيل: تكلمت صغيرة كعيسى وما رضعت قط، وكان

رزقها يأتيها من الجنة كرامة لها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرة، أو بغير استحقاق تفضلاً، وهو من كلامها، أو كلامه تعالى، وروي للزهراء (ع) مثل هذه الكرامة.

[سورة آل عمران الآيات ٣٨ - ٥٢]

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^ط قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ^ط إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ^ط قَالَ كَذٰلِكَ أَلَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيَ ءَايَةً ^ط قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ^ط وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَآرْكَعِي

مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ

وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ^١ وَجِئْتُكُمْ بِقَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^٢ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ^٣ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ^٤ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ^٥ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان، أو الوقت - إذ يستعار للزمان - ﴿دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ لَمَّا رَأَى كَرَامَةَ مَرْيَمَ وَمَنْزِلَتَهَا ﴿قَالَ رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لَحَنَهُ الْعَاقِرُ الْعَجُوزُ، وَقِيلَ: لَمَّا رَأَى الْفَاكِهِةَ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا طَمَعَ فِي وَلَادَةِ الْعَاقِرِ، فَسَأَلَ الْوَلَدَ ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مجيبه ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جنسهم، فَنَادَى الْمُنَادِي مَلِكًا، وَقِيلَ: جِبْرِئِيلُ، وَقَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي (فَنَادَاهُ) بِالتَّذْكِيرِ وَالْإِمَالَةِ ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ حَالٌ عَنِ (الْهَاءِ) ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (قَائِمٌ) ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ أي: بِأَنَّ اللَّهَ، وَكَسَرَهَا حَمْزَةً وَابْنُ عَامَرٍ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، أَوْ لِأَنَّ النِّدَاءَ مِنْهُ، وَخَفَفَ حَمْزَةً (يُبَشِّرُكَ) فَاتِحًا يَاءً ﴿يَبْخِي﴾ عِلْمٌ أَعْجَمِي وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا فَمَنْعَ صَرْفِهِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَوَزْنَ الْفِعْلِ ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: بَعِيسَى لِأَنَّهُ وَجَدَ بِأَمْرِهِ تَعَالَى بِدُونِ أَبٍ، أَوْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَسْمِيَةً لِلْكَلِّ بِالْجُزْءِ ﴿وَسَيِّدًا﴾ يَسُودُ قَوْمَهُ، وَقَدْ فَاقَ النَّاسَ فِي أَنَّهُ مَا رَكِبَ سَيْئَةً مِنْ صَغَرِهِ ﴿وَحَصُورًا﴾ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ - كَمَا عَنْ الصَّادِقِ (ع) - أَوْ مِبَالِغًا فِي حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاهِي ﴿وَنَبِيًّا﴾ نَاشِئًا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَوْ كَائِنًا مِنْ

جملة الأنبياء، روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت ﴿قَالَ رَبُّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ استبعاد عادي ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ أي: أدركني كبر السن واضعفني، قيل: كان له تسع وتسعون سنة، ولأمرأته ثمانى وتسعون ﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ لا تلد ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ قَالَ رَبُّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿علامة لوقت الحمل لأتلقاه بالشكر﴾ قَالَ آيَتِكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿لا تقدر على تكليمهم فيها، قيل: وإنما خص المنع فيها بتكليمهم لتخلص المدة لذكر الله وشكره على النعمة، وكأنه قيل: آيتك ان تحبس لسانك إلا عن الشكر﴾ إِلَّا رَمَزًا ﴿اشارة بيد أو غيرها، والاستثناء منقطع، أو متصل ان أريد بالكلام ما دل على الضمير﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴿أي: في أيام السكوت، وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض﴾ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴿من الزوال إلى الغروب، وقيل: من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل﴾ وَالْإِبْكَارِ ﴿من طلوع الفجر إلى الضحى﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴿أولاً حين تقبلك من أمك ورباك، وأكرمك برزق الجنة﴾ وَطَهَّرَكِ ﴿مما يستقذر من النساء﴾ وَاصْطَفَاكِ ﴿آخرأ بالهداية، وتكليم الملائكة، والولد بلا أب﴾ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿عالمي زمانك، وفاطمة سيّدة نساء العالمين مطلقاً﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿أمرت بالصلاة بذكر أركانها مع الراكعين، أي: في الجماعة، أو مع من يركع في صلاته لا مع من لا يركع، لأن صلاة اليهود ليس فيها ركوع﴾ ذَلِكَ ﴿أي: ما ذكر من قصص زكريا ويحيى ومريم﴾ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴿من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴿التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً أو قداحهم، قيل: والمراد تقرير كونه

وحياً على سبيل التهكم بمنكره، فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم، فلم يبق إلا المشاهدة ولم يتوهمها عاقل، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ﴾ تشاحاً فيها، عن الباقر (ع): أول من سوهم عليه مريم، وهو قول الله: وما كنت لديهم ... إلخ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ بدل من (إذ قالت) أو من (إذ يختصمون) بناءً على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كقولك: (لقيتك في سنة كذا) ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ ذكر الضمير نظراً إلى المعنى ﴿الْمَسِيحُ﴾ من الألقاب الشريفة، أصله في لغتهم (المسيح) ومعناه: المبارك ﴿عِيسَى﴾ معرب أيشوع بن مريم صفة جعلت من الأسماء لأنها تميز تمييزها، أو المراد أن اسمه المميز له عن غير هذه الثلاثة، إذ الاسم علامة المسمى، وانما قيل (ابن مريم) والخطاب لها، ليعلم انه يولد من غير أب، إذ لا ينسب إلى الأم إلا إذا عدم الأب ﴿وَجِيهًا﴾ حال مقدرة من (بكلمة) الموصوفة بقوله (منه) والتذكير للمعنى ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى الله، أو إشارة إلى علو درجته في الجنة، أو إلى رفعه إلى السماء، وصحبته الملائكة ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: حال كونه طفلاً وكهلاً، كلام الأنبياء من غير تفاوت، و(المهد): مصدر سمي به ما يمهد مضجعاً للصبي، وذكر قلب أحواله المتنافية إشارة إلى أنه ممكن ليس ياله ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثالثة من (كلمة) أو ضميرها الذي في (يكلم) ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ تعجب، أو استبعاد عادي، أو استفهام عن انه يكون بزواج أو بدونه ﴿قَالَ﴾ جبرئيل، أو الله وجبرئيل المبلغ ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: كما انه يقدر ان يخلق الأشياء

بأسباب ومواد تدريجاً، يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أما كلام مبتدأ ذكر تطبيقاً لقلبها، وإزاحة لهما، أنها تلد من غير زوج، أو عطف على (يشرك) أو (وجيها) و(الكتاب): الكتبة: أوجنس الكتب المنزلة، وتخصيص الكتابين لفضلهما، وقرأ عاصم ونافع بالياء ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نصب بمضمر على إرادة القول، أي: ويقول: أرسلت رسولاً باني قد جئتكم ﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ في محل نصب بدل من (اني) أوجر بدل من آية، أرفع على: هي اني، وكسرهما نافع على الاستئناف، أي: اقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْراً﴾ فيصير حياً طياراً، وقرأ نافع (طائراً) ﴿يَاذْنِ اللَّهُ﴾ بأمره، فأحياؤه من الله تعالى لا منه ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ الذي ولد أعمى والممسوح العين ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾^(١) نقل انه ربما اجتمع عليه ألوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى (ع)، وما يداوي إلا بالدعاء ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ كرر لدفع توهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها، كان يقول للرجل: أكلت كذا وخبي لك كذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ موقنين للإيمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات، أو مصدقين بالحق غير معاندين ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ عطف على (رسولاً) على الوجهين، أو منصوب بإضمار فعل دل عليه (قد جئتكم مصدقاً) ﴿وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

(١) الأبرص: هو المصاب بالبرص: وهو مرض يصيب الجلد فيقع فيه ياض يغطي.

في شريعة موسى كلحم الإبل والشحوم، وبعض الطير، والسماك، والسبت ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَبِّكُمْ﴾ أي: جئتكم بآية من إلهام ربكم، وهي قولي ان الله ربي وربكم، فانه القول الذي أجمع الرسل عليه، وقوله: (فاتقوا الله وأطيعوا) اعتراض، أو تكرير لقوله: (قد جئتكم بآية من ربكم) أي: جئتكم بآية بعد أخرى، ممّا ذكرت لكم من الخلق والإبراء والأحياء والأنبياء وغيره، فاتقوا الله في مخالفتي، وأطيعوني في دعوتي، ثم ابتداء بالدعوة فقال ان الله ربي وربكم، اشارة إلى استكمال العلم باعتقاد الحق الذي غايته التوحيد ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ اشارة إلى استكمال العمل بملازمة الطاعة، التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاز عن النواهي ﴿هذا﴾ أي: الجمع بين الأمرين ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى النجاة ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ لما سمع ورأى أنهم يكفرون - كما عن الصادق (ع) - أولمّا علمه علم ما يدرك بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ذاهباً إليه، أو الجار متعلق بـ (انصاري) مضمناً معنى الاضافة، أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري ﴿قَالَ الْخَوَارِيُّونَ﴾ سئل الرضا (ع): لِمَ سمي الحواريون حواريين؟ قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين^(١) يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا فيسمى حواريين لأنهم كانوا مخلصين هي أنفسهم، ومخلصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير، وعنه (ع) أنهم كانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم (ألقا)، وقيل: حوار الرجل خالصته من الحور وهو: البياض الخالص، سمي به أصحاب عيسى (ع) لنقاء

(١) أي: غاسلين لثيابهم دائماً.

قلوبهم وخلص نيتهم وقيل: كانوا ملوكاً يلبسون البياض ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ في دينه ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ الذي دعوت إليه ﴿ وَاشْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لتشهد يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم.

[سورة آل عمران الآيات ٥٣ - ٧٠]

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُؤْمَرِينَ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ
الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٥﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا
اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ
بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ
بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا
 يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ
 تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ في كتبك ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ أي: عيسى ﴿ فَأَكْتَبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ ﴾ بوحدانيتك، أومع الأنبياء الشاهدين، أومع أمة محمد (ص) فإنهم شهداء
 على الناس ﴿ وَمَكَّرُوا ﴾ أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من
 يقتله غيلة ﴿ وَمَكَّرَ اللَّهُ ﴾ برفعه عيسى، وإلقاء شبهه على غيره حتى قتل، واسناد المكر
 إليه تعالى للمقابلة، أوبمعنى المجازاة - كما عن الرضا (ع) - ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾
 أقوامهم مكرراً وأنفذهم كيداً ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾ ظرف لخير الماكرين، أومكر الله
 ﴿ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ ﴾ مستوفٍ أجلك، عاصماً إياك من قتلهم، أوقابضك من
 الأرض، أومميتك من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت، أومتوفيك
 نائماً، قيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه ﴿ وَرَافَعَكَ إِلَيَّ ﴾ إلى محل كبريائي ومقربي
 ملائكتي ﴿ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من سوء جوارهم وقصدهم ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ يعلنهم بالحجة وبالسيف، ومتبعوه من
 آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم، ولا يتفق
 لهم ملك ولا دولة ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ فيه تغليب للمخاطبين على غيرهم
 ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من

اليهود وغيرهم ﴿ فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا ﴾ بضرب الجزية والهوان ﴿ وَ ﴾ في ﴿ الْآخِرَةِ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ يسعون في استخلاصهم ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة تفصيل للحكم، وبيان له وقراً حفص بالياء ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يرضى عنهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: ما ذكر من نبأ عيسى وغيره، وهو مبتدأ ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ حال من الهاء، أو خبر آخر، أو لمحذوف ﴿ وَالذِّكْرِ ﴾ أي: القرآن وقيل اللوح ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم من طرق الخلل إليه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ أي: شأنه الغريب كشأن آدم ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ جملة مفسرة لوجه الشبه وهوانه خلق بلا أب، كما خلق آدم بلا أب بل بلا أم أيضاً، شبه حاله بما هو أغرب إفحاماً للخصم بطريق المبالغة ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ أي: فكان ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ خبر، أي: هو الحق ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ نهيه (ص) من باب التهيج لزيادة اليقين ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ ﴾ من النصارى ﴿ فِيهِ ﴾ أي: في عيسى ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ من الدلائل الموجبة للعلم ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا هَلِّمُوا بِالْعِزِّ ﴾ ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴿ أَيُّ يَدْعُ كُلُّ مَنِي وَمِنْكُمْ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ وَمَنْ هُوَ كَنَفْسِهِ إِلَى الْمِبَاهِلَةِ ﴾ ﴿ ثُمَّ تَبْتَهِلُ ﴾ نتباهل، بأن نلعن الكاذب منا، والبهلة بالفتح والضم: اللعنة ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ عطف مفسر، روي أنهم حين دعوا إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم -: ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً الا هلكوا، فان أيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله (ص) وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفه، وهو

يقول: إذا أنا دعوت فامنوا، فقال أسقفهم: يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا، فأبوا المباهلة، وصالحوا على ألفي حلة وعارية ثلاثين درعا في كل عام، فقال (ص): والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، كذا روته العامة، وهو دليل على نبوته (ص)، وفضل من أتى بهم من أهل بيته وشرفهم شرفاً لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي نفسه ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي قص من نيا عيسى (ع) ﴿لَهُوَ﴾ فصل، أو مبتدأ خبره ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ زيادة (من) لزيادة الاستغراق، لتأكيد الرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا يساويه أحد في القدرة التامة ﴿الْحَكِيمُ﴾ ولا في الحكمة البالغة لا يشاركه في الإلهية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ إيراد المظهر ليدل على أن التولي إفساد للدين والاعتقاد ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ قيل: نعم أهل الكتابين، وقيل: يريد وفد نجران، أو يهود المدينة ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب، وهي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أن نوحده بالعبادة مخلصين ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾ ولا نجعل أحداً شريكاً له في إستحقاق العبادة ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فلا نقول عزيز بن الله، ولا المسيح بن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحليل والتحريم، لأن كلاً منهم بعضنا وبشر مثلنا، روي أنه لما نزلت (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)^(١) قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم

ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم قال: هو ذاك ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن التوحيد ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي: لزمتمكم الحجة فاعترفوا باننا مسلمون دونكم، أو بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق الجلي ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ قيل: زعم كل فريق من اليهود والنصارى إن إبراهيم منهم، فتنازعوا عند النبي (ص) ف قيل لهم: ان اليهودية والنصرانية حدثا بعد نزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين فكيف يكون عليهما؟ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ استحالة دعواكم ﴿ ها ﴾ للتنبيه ﴿ أنتم ﴾ مبتدأ ﴿ هؤلاء ﴾ خبره ﴿ حاججتم ﴾ جملة مبيّنة للأحوال، أي: أنتم هؤلاء الحمقاء، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم ﴿ فيما لكم به علم ﴾ ما في التوراة والإنجيل ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فيما ليس لكم به علم ﴾ ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم ﴿ واللّه يعلم ﴾ ما حاججتم فيه، أوله العلم ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ أي: لا تعلمونه، أو لستم من أهل العلم ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ﴾ بعد ما قرر ان إبراهيم لم يكن على دين اليهودية والنصرانية التي هم عليها الآن، نفى عنه أصل اليهودية والنصرانية مطلقاً، ولما كان يوهم ذلك كونه على غير الحق، لأن أصل اليهودية والنصرانية لم يكن غير حق، نفى ذلك الوهم بقوله ﴿ ولكن كان حنيفاً ﴾ مائلاً عن العقائد الزائغة^(١) ﴿ مسلماً ﴾ منقاداً لله تعالى، وعن الصادق (ع) خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان، وعن علي (ع): لا يهودياً يصلي إلى المغرب، ولا نصرانياً يصلي إلى المشرق، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمد (ص)

﴿ وما كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ تعرض بأنهم مشركون لاشراكهم به عزيزاً والمسيح، وردّ لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ أخصهم به وأقربهم منه، من (الولا) أي: القرب ﴿ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ من أمته ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لموافقته له في أكثر ما شرع لهم، وعن الصادق (ع): هم الأئمة واتباعهم ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ناصرهم ﴿ وَذَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ قيل: نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية، ولو بمعنى (أن) ﴿ وما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ وما يلحق وبال إضلالهم الا بهم، إذ يضاعف به عذابهم ﴿ وما يَشْعُرُونَ ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الدالة على نبوة محمد (ص) ممّا نطقت به التوراة والإنجيل ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ انها آيات الله، أوبالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين، أوتعلمون بالمعجزات انه حق.

[سورة آل عمران الآيات ٧١ - ٨٣]

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ

بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِمَهُ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِمَهُ إِيَّاكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۖ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا
أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ
وَلَهُدَّ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

﴿ يا أهل الكتاب لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل في صورة
الحق، أو بالتقصير في التمييز بينهما، وقرئ (تلبسون) بالتشديد ﴿ وتكتمون الحق من
نبوة محمد (ص) ﴾ وأنتم تعلمون عالمين بما تكتمونه، أو أنتم من أهل العلم
﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا ﴾ أظهروا الإيمان بالقرآن ﴿ بالذي أنزل على
الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أوله ﴿ واكفروا آخرة لعلهم يرجعون ﴾ أي: يشكون في
دينهم ظناً بأنكم رجعتم بخلل ظهر لكم، القمي: نزلت في قوم من اليهود قالوا آما

بالذي جاء محمد (ص) بالغداة وكفروا به بالعشي، وعن الباقر (ع): أن رسول الله (ص) لما قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت^(١) اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلى محمد (ص) الغداة واستقبل قبلتنا فأمنوا بالذي انزل على محمد (ص) وجه النهار، وكفروا آخره يعني: القبلة لعلهم يرجعون إلى قبلتنا ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تصدقوا الا لأهل دينكم، أولا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم، فإنهم أرجى رجوعاً ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ الْهَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْإِيمَانِ وَيُشْبِثْهُ عَلَيْهِ﴾ أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتُمْ ﴿تعليل لمحذوف، أي: دبرتم وقتلتم ذلك لأجل ان يؤتى أي: الحسد حملكم على ذلك، أولئلا تؤمنوا على المعنى الثاني أي: لا تظهروا إيمانكم للمسلمين لئلا يزيد ثباتهم، أوللمشركين فيدعوهم إلى الإسلام وعلى هذا قوله: ان الهدى إلخ اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي، ويحتمل أن يكون خبر (ان) و(هدى الله) بدلاً من (الهدى) وقرأ ابن كثير (ان يؤتى) على الاستفهام للتوبيخ ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على (ان يؤتى) على الأولين، وعلى الثالث معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيقطعوكم، و(الواو) ضمير لا (أحد) لأنه في معنى الجمع ﴿قُلْ إِنْ أَلْفَظَلَّ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا ينفع في جلبه أمثال هذه التداير ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح له الفضل ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من غير استيجاب سابق منه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فلا هداية ولا توفيق إلا من لطفه تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴿١﴾ نقل أن عبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فادّأها إليه ﴿٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴿٣﴾ نقل أن فنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر ديناراً فجحد، وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الامانة، والخائثون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة، وقرأ حمزة وابوبكر وابوعمر و(يؤده) يأسكان الهاء، وقالوا باختلاس الهاء، والباقون ياشباع الكسرة ﴿٤﴾ إِلَّا مَا دُئِمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴿٥﴾ أي: إلا ان تأخذه قبل المفارقة بالعنف ﴿٦﴾ ذَلِكَ ﴿٧﴾ أي: ترك الأداء ﴿٨﴾ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿٩﴾ بسبب قولهم ﴿١٠﴾ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ ﴿١١﴾ أي: في شأن من ليسوا من أهل ديننا ﴿١٢﴾ سَبِيلٌ ﴿١٣﴾ بعقاب، استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يُجْعَلْ لهم في كتابنا حرمة، وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش فأسلموا فتقاصّوهم فقالوا: لا حق لكم لترككم دينكم وذلك في كتابنا ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿١٥﴾ بما ادعوا ﴿١٦﴾ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ أنهم كاذبون ﴿١٨﴾ بَلَى ﴿١٩﴾ إثبات لما نفوه، أي: عليهم سبيل ﴿٢٠﴾ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ استئناف مقرر للجمله التي سدت (بلى) مسدها، والضمير مجرور بإضافة العهد، من الاضافة إلى الفاعل لورجع إلى (من)، ومن الاضافة إلى المفعول لورجع إلى (الله) وعموم (المتقين) ناب العائد من الجزاء إلى (من) وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر، وهويعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات وترك المحرمات ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴿٢٣﴾ يستبدلون ﴿٢٤﴾ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ بما عاهدوه عليه من الإيمان لمحمد (ص)، أو الأعم ﴿٢٦﴾ وَأَيْمَانِهِمْ ﴿٢٧﴾ وبما حلفوا به من قولهم: (والله لتؤمنن به ولتنصرنه) وفي النبوي (ص) من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية، ﴿٢٨﴾ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٢٩﴾ من حطام الدنيا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ ﴿٣١﴾ لا نصيب ﴿٣٢﴾ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴿١﴾ بما يسرهم، أوشيء أصلاً، وإنما تحاسبهم الملائكة، أو كناية عن سخطه عليهم مثل ﴿٢﴾ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣﴾ فإن من سخط على غيره اعرض عن التكلم معه والنظر إليه ﴿٤﴾ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴿٥﴾ من ذنوبهم - كما روي - أولاً يشي عليهم ﴿٦﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾ مؤلم على فعلهم، قيل: نزلت في أحبار كتبوا أمر محمد (ص)، وحرّفوا التوراة للرشوة، أوفي رجل حلف كاذباً في انفاق سلعته، وعن الرضا (ع) في تعداد الكبائر قال: واليمين الغموس^(١) لأن الله يقول: ان الذين... إلخ وعن الباقر (ع): انها نزلت في العهد ﴿٨﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴿٩﴾ يفتلون بها بتلاوته، فيميلونها عن المنزل إلى المحرف ﴿١٠﴾ لَتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿١١﴾ الضمير للمحرف (المحرف) الدال عليه (يلوون) ﴿١٢﴾ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿١٣﴾ تأكيد لقوله: وما هو من الكتاب، وتشنيع عليهم بالكذب لادعائهم ذلك تصريحاً لا تعريضاً ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ تسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه، القمي: كان اليهود يقرءون شيئاً ليس في التوراة ويقولون: هو في التوراة، فكذبهم الله، وعن ابن عباس: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، وغيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة النبي (ص)، ثم أخذت قريظة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١٧﴾ القمي: ان عيسى لم يقل للناس: اني خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله ﴿١٨﴾ وَلَكِنْ ﴿١٩﴾ قَالَ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ ﴿٢١﴾ الرباني: منسوب إلى الرب - بزيادة الالف والنون - وهو: الكامل علماً وعملاً

(١) المقصود باليمين الغموس هو: اليمين الكاذبة، قيل: سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب، وبسبب كونكم دارسين له، إذ ثمرة التعليم والتعلم كسب العلم والعمل، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (تعلمون) أي: عالمن عن النبي (ص) قال: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً قال الله: ما كان لبشر الخ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ نصبه ابن عام وحمزة وعاصم عطفاً على (ثم يقول) و(لا) زیدت تأكيداً لمعنى النفي في (ما كان) أي: ما كان لبشر أن يستنبه ثم يأمر الناس بعبادته، ويأمركم باتخاذ المربوبين أرباباً، ورفع الباقون إستئنافاً، والقمي: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا أن عيسى رب، واليهود قالوا عزيز بن الله فقال الله: أ يأمركم ان تتخذوا الملائكة .. إلخ ﴿أ يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ﴾ إنكار، والمستتر للبشر، أو الله ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ قيل: هو على ظاهره، وإذا كان هذا حكم النبيين كان الأمم به أولى، وعن علي (ع) ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به، ويأمرهم بتصديقه، وقيل: معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم، واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم، وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل، أي: الميثاق الذي واثقه الأنبياء على أممهم، وعن الباقر (ع): انه طرح عنها لفظ الأمم، وعن الصادق (ع): تقديره: وإذا أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبينا، والعمل بما جاء به، وأنهم خالفوهم فيما بعد ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (اللام) موطئة للقسم، لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف، و(ما) يحتمل الشرطية والخبرية، وقرأ حمزة (لما) بالكسر على ان (ما) مصدرية أي: لأجل ايتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق، وقرأ

(لما) أي: حين أتيتكم، أولمن أجل ما آتيتكم على أن أصله (لمن ما) بالإدغام فحذفت إحدى الميمات الثلاثة إستقلاً، وقرأ نافع (أتيناكم) بصيغة المتكلم مع الغير، فإن كان أخذ الميثاق على النبيين فإتاء الكتاب والحكمة إليهم أنفسهم، وإن كان على الأمم فإتيانهما إلى أنبيائهم وهو الإيتاء إليهم ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمد (ص) المصدق للأنبياء والكتب السالفة ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم وساد مسد الشرط على تقدير، واحدهما على تقدير آخر، أي: أخذ الميثاق على النبيين، أو على أممهم، أو عليهم وعلى أممهم، لتؤمنن بذلك الرسول ولتنصرنه، ونصرته من الأنبياء السابقة ان يخبروا أممهم بان يؤمنوا به وبأوصيائه - كما في الاخبار- ﴿قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: عهدي، سمي به لأنه يُصَرَّ أي: يُشَدُّ ﴿قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ فليشهد بعضكم لبعض، أو الخطاب للملائكة، أو الأنبياء، والأخيران مرويان ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعلى أممكم وهو تحذير بليغ، عن الصادق (ع): ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهل جرا إلا ويرجع إلى الدنيا، وينصر امير المؤمنين (ع) وهو قوله: (لتؤمنن به) يعني رسول الله (ص) (ولتنصرنه) يعني: امير المؤمنين (ع) ثم قال لهم في الدنيا: (أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) أي: عهدي قالوا: (أقررنا) قال الله للملائكة: (فاشهدوا وأنا معكم إلخ) وفي آخر: ثم قال لهم في الذر: أأقررتم إلخ ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق والإقرار والشهادة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون من الكفار ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾ عطف على الجملة المتقدمة، وتوسطت بينهما همزة الإنكار، أو على محذوف أي: أيتولون فغير دين الله يبتغون؟ وقدم المفعول لتوجه الإنكار إليه، وقرأ أبو عمرو وحفص بلفظ الغيبة، والباقون بالتاء بتقدير: (وقل لهم)

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ طائعين بالنظر إلى الحجج، وكارهين بالسيف، أومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كشق الجبل وإدراك الفرق وعن الصادق (ع) هو توحيدهم لله، وعنه (ع) معناه أكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائعين، قال (كرهاً) أي: فرقاً^(١) من السيف ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ قرأ حفص بالياء والضمير (للمن).

[سورة آل عمران الآيات ٨٤ - ١٠٠]

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٨٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
 يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِمْ^ط أُولَئِكَ
 لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٨٣﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
 تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ^ط وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾
 كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً^ط لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى
 نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ^ط قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٥﴾ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ^ط فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
 بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى^ط لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ^ط
 وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا^ط وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ
 يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوهَا
 عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ يَٰ أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ
 إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أمر الرسول (ص)
 بأن يخبر عن نفسه ومن معه بالإيمان، أوبان يتكلم عن نفسه تكلم الملوك إجلالاً له،
 والنزول يعدى به (إلى) و(على) لأنه من فوق وينتهي إلى الرسول (ص) ﴿ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ
 أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ منقادون مخلصون
 ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ أي: غير التوحيد والانقياد ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
 الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ لإبطاله الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ﴿ كَيْفَ يَهْدِي
 اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ إستبعاد
 لهدايتهم، فإن الحادث عن الحق بعد ما وضع له منهمك في الضلال، وقيل: نفي
 وإنكار له، ويدل على عدم قبول توبة المرتد، و(شهدوا) عطف على معنى الفعل في
 (إيمانهم) أوحال من (كفروا) بتقدير (قل) ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ بعنادهم

وإصرارهم بعد البيّنات، وأتى بالظاهر موضع المضمّر إشعاراً بالعلية، أو الظالمين أنفسهم بالإخلال بالنظر ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة، أو العقوبة التي استحقوها بها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْتَظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الإرتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا، أودخلوا في الصلاح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عن الصادق (ع): نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد وكان قتل المحذر بن زياد غدرًا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة، ثم ندم فأرسل إلى قومه ان يسألوا رسول الله (ص): هل لي من توبة؟ فسألوا، فنزلت إلى قوله (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) فحملها رجل من قومه إليه فقال: إني لأعلم أنك لصدوق، ورسول الله (ص) أصدق منك، وإن الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ كاليهود كفروا بعبسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد (ص)، أو بمحمد بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرًا بإصرارهم، وطعنهم فيه، وصدّهم عن الإيمان، أو هم قوم ارتدوا ولحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفرًا بقولهم نتربص بمحمد (ص) ريب المنون، وإن راجعنا نأقنا بإظهار التوبة ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لنفاقهم فيها، وشرط قبولها الإخلاص، أولأنهم لا يتوبون إلا عند المعاينة، لا لارتدادهم وزيادة كفرهم، ولذا ترك الفاء فيه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ الثابتون على الضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ اتى بالفاء إيذاناً بان سبب امتناع قبول الفدية الموت على الكفر، و(ذهبا) تمييز ﴿وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ﴾ معطوف على مضمّر، أي: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا، ولو اقتدى به من العذاب في

الآخرة، أو محمول على المعنى، كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، أو المراد: فلن يقبل من أحدهم الإنفاق في سبيل الله بملء الأرض ذهباً، ولو كان على وجه الافتداء من الإنفاق في سبيل الله بملء الأرض ذهباً ولو كان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر، أو المراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ملكه ولو افتدى به ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مبالغة في التحذير، وإقناط من العفو عنهم تفضلاً ﴿كُنْ تَأْلُوا الْبِرَّ﴾ أي: لن تبلغوا كماله، أو لن تكونوا أبراراً، أو لن تدركوا بر الله وثوابه ﴿حَتَّى تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من المال، أو مما يعمه النفس والجاه والبدن في سبيل الله وطاعته ومعاونة الناس، ويعم الانفاق الواجب والفضل، و(من) للتبويض أو التبيين، وعن الصادق (ع): (حتى تنفقوا ما تحبون) قال: هكذا فاقراها ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم بحسبه ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ أي: المطعومات ﴿كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حلالاً لهم، مصدر نعت به ولذا يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: (لا من حل لهم)^(١) ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ عن الصادق (ع): ان إسرائيل كان إذا أكل لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل ان تنزل التوراة، فلما نزلت لم يحرمه ولم يأكله، أي لم يحرمه موسى^(٢) ولم يأكله وقيل: كان به عرق النساء، فنذر إن شفي لم

(١) سورة الممتحنة الآية ١٠.

(٢) لابد من إرجاع الضمير الى موسى (ع) إذ أن التوراة انما نزلت عليه (ع) ولم يدرك يعقوب (ع) نزولها حتى يحرم أو يحلل.

يَأْكُلُ الْعُرُوقَ وَلَحُومَ الْإِبِلِ وَذَلِكَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: أَشَارَتْ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِاجْتِنَابِهِ فَحَرَّمَهُ يَأْذَنُ مِنَ اللَّهِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِظُلْمِهِمْ، وَهُوَ تَكْذِيبُ لِدَعْوَى الْيَهُودِ بِرَأْيِهِمْ مِمَّا بَغَى عَلَيْهِمْ فِي (فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمُ) الْآيَةَ، وَنَحْوَهَا إِذْ قَالُوا: لَسْنَا أَوَّلَ مَنْ حَرَّمَتْ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمِنْ بَعْدِهِ حَتَّى انْتَهَى التَّحْرِيمُ إِلَيْنَا، وَرَدَّ لِمَنْعِهِمُ النِّسْخَ وَإِنْكَارَهُمْ دَعْوَى النَّبِيِّ (ص) مُوَافَقَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي تَحْلِيلِ لَحُومِ الْإِبِلِ ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا مُشْتَرِكًا وَلَا تَبْغُوا الْفِتْنَةَ﴾ أَمْرُ (ص) بِمُخَاصَمَتِهِمْ بِكُتَابِهِمْ، وَتَبْكِيَّتِهِمْ بِمَا فِيهِ مِنْ أَنَّهُ تَحْرِيمُ حَدَثٍ بِظُلْمِهِمْ لَا قَدِيمٌ - كَمَا زَعَمُوا - فَلَمْ يَجْسُرُوا أَنْ يَأْتُوا بِهَا، وَ(بَهَتْ الَّذِي كَفَرَ) ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ بِزَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ أَنْزَالِ التَّوْرَةِ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الَّذِي لَزِمَهُمْ مِنَ الْحُجَّةِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لِأَنفُسِهِمْ بِمُكَابَرَةِ الْحَقِّ بَعْدَ وَضُوحِهِ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ تَعْرِيزُ بِكَذِبِهِمْ، أَيُّ: أَثْبَتَ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا أَنْزَلَ وَأَنْتُمْ الْكَاذِبُونَ ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أَيُّ: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مِثْلُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تَعْرِيزُ بِشُرْكَهُمْ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لِيَكُونَ مَتَعَبَدًا لَهُمْ ﴿لِلَّذِي﴾ لِلْبَيْتِ الَّذِي ﴿بِبَكَّةَ﴾ لُغَةً فِي (مَكَّة) وَقِيلَ: مَوْضِعُ الْمَسْجِدِ، وَ(مَكَّة): الْبَلَدُ، وَعَنْهُ (ص): أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضِعَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، ثُمَّ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَعَنْ عَلِيٍّ (ع): كَانَ قَبْلَهُ بَيْوتٌ لَكِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ لِلْعِبَادَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ قَوْمٌ مِنْ جَرَهُمْ، ثُمَّ الْعَمَالِقَةُ، ثُمَّ قَرِيشٌ، وَقِيلَ: آدَمُ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ - وَفِيهِ رَوَايَاتٌ أُخْرَى - وَعَنْ الصَّادِقِ (ع): أَنَّ (مَكَّةَ): مَوْضِعَ الْبَيْتِ، وَأَنَّ مَكَّةَ الْحَرَمَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: آمَنَّا، مِنْ (بَكَّةَ) إِذَا زَحَمَهُ أَوْ مِنْ (بَكَّةَ) إِذَا دَقَّه لِأَنَّهَا تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ، وَعَنْهُ (ع): سَمِيَتْ بِكَ بَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ

بعضهم بعضاً بالأيدي، وفي آخر لبكاء الناس ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير لمن حجّه واعتمره حال من المستكن في (بيكة)، أو (وضع) ﴿وَهْدَى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه متعبد بهم وقبلتهم ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كإهلاك أصحاب الفيل وغيرهم، ومخالطة السباع للصيد في حرمة ولم يتعرض له، وإن الطير لا يعلوه ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل البعض من (آيات) أو مبتدأ حذف خبره، أي: منها أوعطف بيان لها على أن كلاً من أثر القدم في الحجر، وغوصها إلى الكعبيين، وحفظه مع الأعداء، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية، وسبب هذا الأثر قيامه عليه حين بنى البيت، أوعطف بيان لخبر (إن) إذ الحرم كله مقامه فضلاً عن البيت؛ وسئل الصادق (ع): ما هذه الآيات البيّنات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه والحجر الأسود ومنزله إسماعيل ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ جملة ابتدائية، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى: وآمن من دخله، أي: ومنها آمن من دخله، أوفيه آيات بينات مقام إبراهيم وآمن من دخله، وعن الصادق (ع): من بايع قائماً ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة أصحابه كان آمناً، وعنه (ع): من دخله وهو عارف بحقنا كما هو عارف به خرج من ذنوبه وكفي هم الدنيا والآخرة، عن الباقر (ع): من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم، وعنه (ع): من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً إن يهاج أو يؤذى، وعنه (ع) إذا أحدث العبد في غير الحرم جنابة ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم، ولكن يمنع من السوق، ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإنه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ؛ وإذا جنى في الحرم جنابة أقيم عليه الحد في الحرم لأنه لم ير للحرم حرمة، أقول: فتكون الجملة بمعنى

الأمر، أي: ليؤمن، وروي من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمين ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ قصده على الوجه المخصوص، وعن الصادق (ع): يعني به الحج والعمرة لأنهما مفروضان، وكسر الحاء حمزة والكسائي وحفص ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ بدل البعض من (الناس) سئل الصادق (ع) عن الآية فقال الصحة في بدنه والقدرة في ماله، وسئل (ع): ما السبيل؟ قال: ان يكون له ما يحج، وفي آخر السعة في المال إذا كان يحج ببعض ويبقى بعضاً يقوت به عياله ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ أكد تعالى أمر الحج بإيجابه بصيغة الخبر، والجملة الاسمية، وإيراده على وجه يفيد انه حق الله في رقاب الناس، وتخصيص الحكم بعد تعميمه، وهو تكرير للمراد وبيان بعد إيهام وتغليظ تركه بتسميته كفراً - كما سمي تاركه في الحديث يهودياً أو نصرانياً - وذكر الاستغناء الدال على المقت والسخط وأبدل عنه بـ (عن العالمين) الدال على الاستغناء عنه بالبرهان وعلى عظم السخط، وفي النبوي تارك الحج وهو مستطيع كافر قال الله: (ولله على الناس ... إلخ). ومن سوف^(١) الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً، ونحوه غيره، وعنه (ع) في قوله (ومن كفر) قال: يعني ترك، وقيل للكاظم (ع): من لم يحج منّا فقد كفر؟ قال: لا ولكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد (ص) فيما جاء به من وجوب الحج وغيره، وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب يدل على أن كفرهم أقبح - وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل - فهم كافرون بهما، وإن الكفر ببعض الكتاب كفر ب كله، وحينئذ فالكفر بولاية من له الولاية كفر بجميع آيات الله ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا

(١) سوف الأمر: أي: أخره، من قوله: (سوف أفعل).

تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ والحال انه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم بها ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ تكرير الخطاب، والاستفهام لزيادة التقرير، ونفي العذر لهم وللإشعار بان كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام المرادف للإيمان، قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حال من الواو، أي: طالبين لها اعوجاجاً لتلييسكم على الناس لتوهموا ان فيه عوجاً عن الحق، أو باغرائكم بين المؤمنين ليختل أمر دينهم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ انها سبيل الله والصّاد عنها ضال مضل، وأنتم ثقات عند أهل دينكم يستشهدون بكم في أمورهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم، قيل: لما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله (والله شهيد)، وفي هذه الآية صدهم المؤمنين عن الإسلام، وكانوا يخفونه ويحتالون فيه، قال الله (وما الله بغافل عما تعملون) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون، فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم (يوم يفاث)^(١) وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله (ص) وأصحابه فقال:

(١) يوم من أيام العرب قبل الاسلام وقعت فيه حرب بين الأوس والخزرج وكان النصر فيه للأوس.

أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية، وألف بين قلوبكم فعلم انها نزغة^(١) من الشيطان وكيد من عدوهم، فآلقوا السلاح واستغفروا وعانقوا بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله (ص)، وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه - بعد ما أمر نبيه (ص) بخطاب أهل الكتاب - إجلالا لهم وإيدانا بأنهم الأحقاء بان يخاطبهم.

[سورة آل عمران الآيات ١٠١ - ١٠٨]

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا

(١) النزغ: هو اللقاء الفتنة بين الناس وحمل بعضهم على البعض ونزغ الشيطان: وسوسه التي يحمل بها الناس على المعاصي.

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ استبعاد لكفرهم
حال وجود ما يدعوهم إلى الإيمان ويصرفهم عن الكفر ﴿ وَمَنْ يَغْتَصِم بِاللَّهِ ﴾
يتمسك بدينه، أو يلتجئ إليه في مجامع أموره ﴿ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي:
اهتدى إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ أي: حق تقواه وما يجب منها
من فعل الواجب وترك الحرام، وعن الصادق (ع) - في الآية - يطاع ولا يعصى،
ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر، وعنه (ع): إنها منسوخة بقوله: (فاتقوا الله ما
استطعتم) ^(١) وفيها تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب، وأصل (تقاة): وقية، قلبت
واوها تاء وياؤها الفاء ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ لا تكونن على حال سوى
الإسلام إذا أدرككم الموت، فإن النهي عن المقيّد بحال وغيرها قد يتوجه بالذات

نحو الفعل تارة والقيّد أخرى والمجموع، وكذلك النفي، وعن الصادق (ع): (مسلمون) بالتشديد أي: مستسلمون لما أتى النبي (ص) به منقادون له، وعن الكاظم (ع): وأنتم مسلمون لرسول الله (ص) ثم الإمام من بعده ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ بدينه الإسلام، أو بكتابه لقوله (ص): القرآن حبل الله المتين لأن التمسك به سبب النجاة، القمي: الحبل التوحيد والولاية، وعن الباقر (ع): آل محمد هم حبلٌ أمر بالاعتصام به، وعن الصادق (ع): نحن الحبل، وعن الكاظم (ع): علي بن أبي طالب (ع) حبل الله المتين، وعن السجاد (ع): المعصوم هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)^(١). قيل: ومآل الكل واحد، ويفسره قول النبي (ص): حبلين ممدودين طرف منهما بيد الله وطرف بأيديكم، وإنهما لن يفرقا ﴿جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ عن الحق تفرّق أهل الكتاب، وعن الباقر (ع): إن الله علم أنهم سيتفرقون بعد نبيهم ويختلفون، فنهاهم عن التفرق كما نهى من كان قبلهم فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد (ص) ولا يفرقوا ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الجاهلية متقاتلين ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ متواصلين متحابين، قيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوق بين أولادهما العداوة، وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسوله ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: مشرفين على الوقوع في نار جهنم، إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم فيه، وشفأ الشيء: جرفه كالشفته)، ولأمها واو قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ من الحفرة،

أوالنار، وعن الصادق (ع): فأنقذكم منها بمحمد (ص) هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد (ص) ^(١) ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ دلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تثبتوا على الهدى، أو تزيدوه ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ (من) للتبعض، واحتج به من أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفاية، ومن قال بالعينية جعلها للتبيين، أي: كونوا أمة، وفي قراءة أهل البيت أئمة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ يعم الأفعال والتروك الحسنة شرعاً وعقلاً ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الطاعة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ المعصية، وهو من عطف الخاص على العام - إيذاناً بفضله - وعن الباقر (ع): هذه في آل محمد (ص) ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وفي النهج: وانهاوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي، وقال (ع): لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح، الأحقاء به ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ في الدين كاليهود والنصارى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ والدلائل الموجبة للإتفاق على الحق ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وفيه وعيد للذين تفرقوا، وتهديد على التشبه بهم ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ كنايةان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف، أيوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق الوجه وسعي النور بين يديه ويمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك، و(يوم) نصب بالظرف، و(هولهم) أوب (اذكر) مضمرأ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ

(١) لقد سبق وان ذكرنا ان الروايات التي قد يفهم منها وقوع التحريف في القرآن الكريم ضعيفة سنداً ودلالة وغير معتبرة عند علماء الشيعة والسنة. راجع

(اليان) للسيد الخوئي (ره) و(دفاع عن الحقيقة) للشيخ الوائلي (ره).

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴿١٠١﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ ﴿١٠٢﴾ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٠٣﴾ عَلَى التَّوْبِخِ
 والتعجب من حالهم، وعن علي (ع): هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه
 الأمة، وقيل: هم أهل الكتاب كفروا بالنبي (ص) بعد إيمانهم به قبل مبعثه،
 وقيل: جميع الكفار كفروا بعد إقرارهم حين أشهدهم على أنفسهم، أو تمكنوا
 من الإيمان بالنظر في الحجج ﴿١٠٤﴾ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿١٠٥﴾ أمر إهانة ﴿١٠٦﴾ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٧﴾
 أي: بسبب كفركم ﴿١٠٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْتُمْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿١٠٩﴾ أي: الجنة
 والثواب المخلد عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في
 طاعة الله لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله، قيل: كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم
 ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم ﴿١١٠﴾ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿١١١﴾ استئناف للتأكيد، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فأجيب به ﴿١١٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ
 اللَّهِ ﴿١١٣﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿١١٤﴾ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴿١١٥﴾ متلبسة ﴿١١٦﴾ بِالْحَقِّ ﴿١١٧﴾ لا شبهة فيها
 ﴿١١٨﴾ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ إذ لا يظلم إلا الجاهل، أو المحتاج وهو متزه عن ذلك
 وبين غناه بقوله .

[سورة آل عمران الآيات ١٠٩-١٢١]

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٢١﴾
 كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا
 لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٢﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ

إِلَّا أَذَى^ط وَإِنْ يُقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١﴾
 ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا نَحْبِلٌ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ
 وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ^٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ^٣ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
 وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً^٤ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ
 آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ
 يُكْفَرُوهُ^٥ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ
 عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا^٦ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 فَأَهْلَكَتَهُ^٧ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧﴾ يَتَأَيَّأُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا
 مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ هَاتِثُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا
 تُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
 عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٠﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِن تَصِبْكُمُ سَيِّئَةٌ
 يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ
 مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
 الْأُمُورُ﴾ فيجازي بما وعد وأوعده - كلاً بفعله - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (كان) مجردة عن
 الزمان نعم الأزمنة ولا تختص بالماضي، كقوله تعالى: (كان الله غفوراً رحيمًا)^(١)
 او كنتم في علم الله، أوفي اللوح المحفوظ، أوفيما بين الأمم السالفة، وفي قراءة أهل
 البيت (ع) خير أئمة ﴿أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أظهرت لهم، أولانتفاعهم ﴿تَأْمُرُونَ

(١) تكررت هذه الآية الكريمة في أماكن متعددة في القرآن الكريم منها الآية ٩٦ من سورة النساء.

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾ إِسْتَنَافَ لِيَانِ خَيْرَتِهِمْ، أَوْحَالَ عَنْهَا فَيُفِيدُ اشْتِرَاطَهَا
بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ ﴿٢﴾ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿٣﴾ يَعْمُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَمَرَ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ
﴿٤﴾ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿٥﴾ بِمُحَمَّدٍ (ص) وَمَا جَاءَ بِهِ ﴿٦﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٧﴾ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ
﴿٨﴾ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ ﴿١٠﴾ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾ الْمَتَمَرِدُونَ
فِي الْكُفْرِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ وَلِذَا لَمْ يَعْطَفْ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ قَبْلَهَا ﴿١٢﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ
إِلَّا أَذًى ﴿١٣﴾ أَي: ضَرَرًا يَسِيرًا كَطَعْنٍ وَتَهْدِيدٍ، وَهَذِهِ أَيْضًا مُعْتَرِضَةٌ أُخْرَى وَلَمْ يَعْطَفْ
عَلَى الْأُولَى قَبْلَهَا لِبَعْدِ مَا بَيْنَهُمَا، وَكَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا نَوْعًا آخَرَ مِنَ الْكَلَامِ
﴿١٤﴾ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾ مِنْهَزِمِينَ وَلَا يَضُرُّوكُمْ بِقَتْلِ وَأَسْرِ
﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يُنْصَرُّونَ ﴿١٧﴾ لَا يَعَانُونَ عَلَيْكُمْ وَلَا يَمْنَعُونَ مِنْكُمْ، وَهُوَ عَظْفٌ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ
لَا الْجَزَاءُ فَيَكُونُ نَفْيُ النَّصِيرِ مُطْلَقًا لَا مُقِيدًا بِقِتَالِهِمْ، وَ(ثُمَّ) لِلتَّرَاخِي فِي الْمَرْتَبَةِ،
وَالْآيَةُ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي وَافَقَهُ الْوَاقِعُ مِنْ حَالِ قَرِيظَةِ وَالنَّصِيرِ وَبَنِي قَيْنِقَاعَ وَيَهُودَ خَيْرِ
﴿١٨﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴿١٩﴾ تَمْثِيلٌ، أَي: أَحَاطَتْ عَلَيْهِمْ إِحَاطَةُ الْبَيْتِ الْمَضْرُوبِ عَلَى
أَهْلِهِ وَالذِّلَّةُ هَدْرُ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ، أَوْ ذِلَّةُ التَّمَسُّكِ بِالْبَاطِلِ وَالْجُزْيَةِ، أَوْ كِلَاهُمَا
﴿٢٠﴾ أَيْنَ مَا تُقِفُوا ﴿٢١﴾ وَجَدُوا، الْقَمِي: نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ غَضَبُوا حَقُوقَ آلِ مُحَمَّدٍ (ص)
﴿٢٢﴾ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴿٢٣﴾ عَنِ الْبَاقِرِ (ع) الْحَبْلُ مِنَ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ،
وَالْحَبْلُ مِنَ النَّاسِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع)، قِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ أَعْمِ عَامِ الْأَحْوَالِ، أَي:
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ فِي عَامَةِ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ اعْتَصَامِهِمْ أَوْ تَلْبَسِهِمْ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَبِأَوْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ رَجَعُوا بِهِ مُسْتَوْجِبِينَ لَهُ ﴿٢٦﴾ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴿٢٧﴾

فاليهود غالباً فقراء مساكين ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب والبوء ^(١) ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ ويقتلهم ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ﴾ الكفر والقتل ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله، إذ الإصرار على الصغائر يجر إلى الكبائر، أود ذلك الضرب والبوء بعصيانهم واعتدائهم مع الكفر والقتل، إذ هم مخاطبون بالفروع ايضاً، وعن الصادق (ع) في الآية: والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيا فهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها فقتلوا، فصار اعتداء ومعصية ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في المساءة والحسنة، والضمير لـ (أهل الكتاب) ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على الحق، أو مستقيمة عادلة من (أقمت العود فقام) وهم الذين أسلموا منهم، وهو استئناف لبيان نفي استوائهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يتلون القرآن في تهجدهم، عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وابلغ، في المدح، وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وصفهم بصفات ليست في اليهود فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مدهنون في الاحتساب متباطئون في الخيرات ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه، سمي ذلك (كفراناً) كما سمي توفية الثواب (شكراً) وتعديته إلى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء فيهما ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ بشارة

لهم وإيدان بانه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى، عن الصادق (ع): إن المؤمن مكفر^(١) وذلك ان معروفة يصعد إلى الله فلا ينتشر في الناس، والكافر مشكور وذلك ان معروفة للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ من الغناء وهو- بالفتح بمعنى: النفع، فيكون مصدراً، وقيل: من العذاب بتضمين معنى الإبعاد ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعيد لهم ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ قربة، أو مفاخرة وسمعة، أو رياء وخوفاً، أو في عداوة الرسول ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لأجلها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد، والشائع إطلاقه للريح الباردة كـ(الصرصر) فهو في الأصل - مصدر نعت به، أو نعت وصف به البرد للمبالغة كـ(برد بارد) ﴿اصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَهْلَكْتُهُ﴾ عقوبة لأن الهلاك من سخط أشد، والمراد: تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بآيلاء كلمة التشبيه بالريح دون الحرث، ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ (وليجة) وهو: الذي يعرفه الرجل أسرارَه ثقة به، شبه ببطانة الثوب ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ من دون المسلمين متعلق بـ(لا تتخذوا) أو بمحذوف صفة (بطانة) أي: كائنة من دونكم، أو حال من (بطانة) ان جوز تنكير ذي الحال ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ أي: لا يقصرون لكم في الفساد، والألو: التقصير وأصله أن

(١) أي: أنه لا يشكر على إحسانه.

يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقوله (لا أُلَوِّكْ نَصْحًا) على تضمين معنى
 النقص أو النفع ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنوا عنتكم، وهو شدة الضرر والمشقة ﴿قَدْ بَدَتِ
 الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدأ و(الواو) للحال
 ﴿قَدْ يَتَنَبَّأُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وجوب موالة أولياء الله ومعاداة أعدائه
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما بينا، والجمل الأربع مستأنفات للتعليل، وقيل: الثلاث الأول
 نعوت (لبطانة) ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم﴾ مبتدأ خبره ﴿أولاء﴾ الخاطئون في موالة
 الكفرة ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم، وهو خبر ثان، أو خبر
 (لأولاء) والجملة خبر (أنتم) أو صلة، أو حال عاملها معنى الإشارة ﴿وَتُؤْمِنُونَ
 بِالْكِتَابِ﴾ بجنس الكتاب ﴿كُلِّهِ﴾ كتابكم وكتابهم وهو حال، أي: لا يحبونكم
 والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخ
 بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وَإِذَا لَقُّوَكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نفاقاً
 ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَالِيَكُمْ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من أجله بوصف المغتاض والنادم بعض
 الأنامل، القمي: قال أطراف الأصابع ﴿قُلْ مَوْتُوُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ
 وزيادته بتضاعف قوة الإسلام واهله، حتى يهلكوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
 من خير أو شر، فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحق^(١) وهو يحتمل أن يكون من
 المقول أي: قل لهم: إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً وإن
 يكون خارجاً عنه أي: قل لهم ذلك ولا تعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم، فإني
 عليم بالأخفى من ضمائرهم، و(ذات الصدور): الصور العلمية المتمكنة في الصدور،
 والمراد ب(الصدور): محل العلوم ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ نعمة من إلهة أو ظفر

﴿ تَسْؤُهُمْ ﴾ والمس: مستعار للإصابة ﴿ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ محنة، من فرقة
أوتسلط عدو ﴿ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ لتناهي عداوتهم ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا ﴾ على عداوتهم،
أو على مشاق التكليف ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ موالاتهم، أو المعاصي ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾
لما وعد الله الصابرين والمتقين من الظفر والمخرج، وضم الراء - اتباعاً - وقرأ نافع
وابن كثير وابوعمر (ولا يضركم) من ضاره يضره ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ الصبر
والتقوى وغيرهما ﴿ مُحِيطٌ ﴾ بعلمه وقدرته، يجازيكم ما أنتم أهله ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾
أي: إذ ذكر إذ غدوت، من غدا عليه بكر ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ بالمدينة ﴿ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
تنزلهم، أوتخذ وتهيء لهم ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ مواطن له، واستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان إتساعاً، كـ (مقعد صدق)^(١) وتقوم من مقامك ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم
﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتكم عن الصادق (ع): سبب نزول هذه الآية إن قريشاً خرجت من مكة
تريد حرب رسول الله (ص)، فخرج رسول الله (ص) يتبغي موضعاً للقتال، وروي:
إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فاستشار النبي (ص) أصحابه، فقال عبد الله بن
أبي وأكثر الأنصار: يا رسول الله لا تخرج من المدينة، فما خرجنا منها إلى عدونا إلا
ظفر بنا، ولا دخلها علينا إلا ظفرنا به، فكيف وأنت فينا؟ فدعهم فان أقاموا فبشر
محبس^(٢) وان دخلوا قاتلهم الرجال والنساء والصبيان، وإن رجعوا فبالخيبة، وقال
جماعة: أخرج بنا إليهم وألحوا فخرج (ص) بعد صلاة الجمعة، وأصبح بشعب أحد

(١) سورة القمر الآية ٥٥.

(٢) أي: مستور ومخطط به.

يوم السبت، وصَفْ أصحابه وجعل ظهره إلى أحد، وافرَّ عبد الله بن جبير على الرماة، وقال: انضحوا عنا بالنبل^(١) لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو غلبنا.

[سورة آل عمران الآيات ١٢٢ - ١٤٠]

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا^١ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ^٢ فَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ
يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
قُلُوبُكُمْ بِهِ^٣ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ
الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ^٤

(١) نضح القوم بالنبل : رماهم ففرقهم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّاسِ وَاللَّغِيظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٤٣﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٤٤﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ
مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣﴾

﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من (إذ غدوت) أو متعلق بـ (سميع عليم) ﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ تجنبنا
القمي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه وقومه، وعنهم (ع): هما بنو سلمة
وبنو حارثة حيّان من الأنصار، روي: أنه (ص) خرج في نحو ألف رجل ووعدهم
النصر إن صبروا فانخزل^(١) ابن أبي بثلث الناس، وقال علي (ع): نقتل أنفسنا
وأولادنا، فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم،
فقال ابن أبي: لنعلم قتالاً لا تبعناكم، فهم الجبان باتباعه فعصمهم الله فمضوا
مع النبي (ص)، ثم قال ذلك القائل، والظاهر أنه ما كانت عزيمة لقوله
﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: عاصمهما من إتياع تلك الخطرة،^(٢) أو أريد: والله ناصرهما فما
لهما تفشلان ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لا يعتمدوا في الكفاية إلا عليه
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل، و(بدر) ما بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى (بدرًا) فسمي به ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال، وعدل عن
(ذلائل) ليدل على قلتهم مع ذلتهم لقلة العدة والعدد، وعن الصادق (ع): ما كانوا

(١) انفرد بهم وارتد عن الحرب.

(٢) الخطرة: ما يخطر في القلب.

أذلة وفيهم رسول الله (ص)، وإنما نزل وأنتم ضعفاء، وفي آخر: إنما نزلت وأنتم قليل،^(١) وروي: إن عدتهم كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم نعمة نصره ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف للأنصركم، أو بدل ثان من (إذ غدوت) على أن قوله لهم يوم أحد - مع اشتراط الصبر والتقوى - فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا مخالفة الرسول فلم تنزل الملائكة ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ إنكار أن لا يكفيهم ذلك، وإنما جاء بـ (لن) إشعاراً بأنهم كانوا - لضعفهم وقلة عددهم - كالأيسين من النصر، وشدد ابن عامر (منزلين) (بلى) إيجاب لمنفي (لن) أي: بلى يكفيكم، ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى بقوله ﴿إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ قَوَرِهِمْ هَذَا﴾ مصدر فارت القدر أي: غلت فاستعير للسرعة أي: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ في حال إتيانهم بلا تأخير ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين، من التسويم أي اظهر السیما،^(٢) وقرأ بكسر الواو ابن كثير وابوعمر ووعاصم، وعن الباقر (ع): كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن إليه من الروع^(٣) ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدة، ولا من الملائكة، وإنما أمدتهم

(١) أي أن معناها كذلك.

(٢) السیما: أي العلامة، وفي القرآن الكريم (سیماهم في وجوههم من أثر السجود).

(٣) الفزع والخوف .

ووعدهم به بشارة لهم وتقوية لقلوبهم، حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر
﴿الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي ينصر ويخذل بحسب
المصلحة ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بـ (نصركم) أي: وما النصر، ان كان
اللام فيه للعهد، والمعنى: ليقطع منهم بقتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم^(١)
﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم، والكبت: شدة غيظ يقع في القلب ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾
فينهزموا منقطعي الأمل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ عطف على ما قبله، والمعنى: ان الله مالك أمرهم، فأما ان يهلكهم،
أويهزمهم، أويتوب عليهم - ان تابوا - أيعذبهم - ان اصرّوا - ليس لك من أمرهم
شيء، انما أنت عبد مبعوث لإبذارهم وجهادهم، أو على الأمر بإضمار (أن) أي: ليس
لك من أمرهم، أو من التوبة عليهم، أو من بعد تعذيبهم شيء، وقيل: (أو) بمعنى:
(إلا ان) أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا ان يتوب الله عليهم فتسرّ به، أيعذبهم
فتشتفي، بهم وقيل: شَبَحَ^(٢) يوم أحد فكسرت رباعيته^(٣) فقال: كيف يفلح قوم نالوا
من نبيهم؟ فنزلت، وقيل هَمْ (ص) بالدعاء عليهم فنهاء الله لعلمه أن فيهم من يتوب،
وعن الباقر (ع): أنه قرأ: ليس لك من الأمر شيء ان يتوب عليهم أيعذبهم فإنهم
ظالمون، وعنه (ع) أنه قرأ ان تتوب عليهم اوتعذبهم بالتاء فيهما، وعلى هذا يكونان
بتأويل المصدر بدلاً عن شيء ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ استحقوا العذاب بظلمهم
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، فله الأمر كله ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾

(١) شجعانهم.

(٢) بدا وظهر.

(٣) الرباعية: السّن بين الثنية والتاب، سميت بذلك لأنها أربع: رباعيتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل.

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ يدل على نفي وجوب التعذيب ﴿٢﴾ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ لعباده ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴿٥﴾ لا تأخذوا زيادة مكررة قيل: كان الرجل منهم يربي إلى أجل، ثم يزيد فيه آخر، حتى يستغرق بقليله مال المديون، وقرأ ابن كثير وابن عامر (مضعفه) بتشديد العين ﴿٦﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿٧﴾ فيما نهيتهم عنه ﴿٨﴾ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ راجين للفلاح ﴿١٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ باجتناب ما يوجب دخولها، ودل على انها معدة للكفرة إصالة وللعصاة تبعاً ﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣﴾ ترغيب بالوعد، بعد الترهيب بالوعيد، قيل: و(لعل) و(عسى) في أمثال ذلك يدل على عزة التوصل إلى ما جعل خيرا لهما ﴿١٤﴾ وَسَارِعُوا ﴿١٥﴾ بادروا وحذف الواو نافع وابن عامر ﴿١٦﴾ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٧﴾ أي: أسبابها كالتوبة والطاعة، وعن علي (ع): إلى أداء الفرائض ﴿١٨﴾ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿١٩﴾ أي: عرضها كعرضهما، وذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة لأنه دون الطول، عن الصادق (ع): إذا وضعوهما كذا- وبسط يديه- إحداهما مع الأخرى، وسئل النبي (ص): إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ فقال: سبحانه الله إذا جاء النهار فأين الليل؟ قيل: هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء، وقيل: السرفيه ان إحدى الدارين لكل انسان إنما تكون مكان الأخرى بدلاً منها كما في النهار والليل ﴿٢٠﴾ أُعِدَّتْ ﴿٢١﴾ هَيْثُ ﴿٢٢﴾ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٣﴾ فهي مخلوقة اليوم، وعن علي (ع) فإنكم لن تتالوها إلا بالتقوى ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ نعت للمتقين ﴿٢٦﴾ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴿٢٧﴾ في حال اليسر والعسر، أو كل الأحوال - إذ لا تخلو من مسرة أو مضرة - أي: لا يمنعهم حال عن اتفاق ما قدروا عليه ﴿٢٨﴾ وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴿٢٩﴾ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه، من

(كَظَمَ القربة أي: ملأها وشد رأسها) وعن الصادق (ع): من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين مؤاخذه من جنى عليهم، قال النبي (ص): عليكم بالعفوفان العفولا يزيد العبد الا عزاً فتعافوا يعزكم الله ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (اللام) للعهد إشارة إلى هؤلاء، أول للجنس ويدخلون فيه، روي: ان جارية لعلي بن الحسين (ع) جعلت تسكب الماء ليتها للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجه،^(١) فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: ان الله يقول «والكاظمين الغيظ» فقال: كظمت غيظي فقالت: «والعافين عن الناس» قال: عفا الله عنك قالت: «والله يحب المحسنين» قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ سيئة بالغة في القبح كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، أو أي ذنب كان، وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ليس كذلك ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا نهيه، أو عقابه، أو عظمته ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استغفام معناه النفي، معترض لبيان سعة رحمته ومغفرته، وحث على التوبة، وتقوية للرجاء ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ ولم يقيموا على الذنب ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال، أي: لم يصروا على القبيح عالمين به، وعن الباقر (ع): الإصرار أن يذنب فلا يستغفر الله، ولا يحدث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار، وعن الصادق (ع): والله ما خرج عبد من ذنب بإصرار، وما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار، وعن النبي (ص): لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، وعنه (ص): ما أصر من استغفر - وإن عاد في اليوم سبعين مرة - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فيها ﴿خبر لِّلَّذِينَ﴾ - إن ابتدأ به - وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها - ان عطفت على (المتقين) - أو على (الذين ينفقون) وتنكير (جنات) - على الأول - يدل على أن ما لهم دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة، وأفاد الكلام ان المؤمنين ثلاث طبقات متقون وتائبون - ولهم الجنة والمغفرة استحقاقاً - ومصريون لا يستحقون ذلك ولا ينفي التفضل ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ المخصوص محذوف تقديره: نعم أجرهم ذلك، أي: المغفرة والجنات، عن الصادق (ع): لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: «يا سيدنا لماذا دعوتنا» قال: «نزلت هذه الآية فمن لها؟» فقام عفريت من الشياطين فقال: «انا لها بكذا وكذا» فقال: «لست لها» فقام آخر فقال مثل ذلك فقال: «لست لها»، فقال الوسواس الخناس: «انا لها» قال: «ماذا» قال: «أعدهم وأمنهم، حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الإستغفار فقال: «أنت لها» فوكله بها إلى يوم القيامة ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع سننها الله تعالى في الأمم المكذبة نحو «وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا سَنَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ»^(١) ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم، وعن الصادق (ع): عنى بذلك: انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه ﴿هذا﴾ أي: القرآن، أو إشارة إلى قوله «قد خلت»، أو إلى ما ذكر من أمر المتقين والتائبين، وقوله: (قد خلت) اعتراض ﴿يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ﴾ عامة ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خاصة، أو مع كونه بياناً للمكذبين فهو زيادة تثبت ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا عن الجهاد بما

أَصَابَكُمْ ﴿ وَلَا تَخْزَنُوا ﴾ عَلَى مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ، تسليّة لهم عما أصابهم بأحد ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ والحال انكم أعلى منهم شأنًا، لأن قتالكم لله وقتالهم للشيطان، وقتلاككم في الجنة وقتلاهم في النار، أولأنكم نلتهم منهم بد (بدر) أكثر مما نالوا منكم بـ (أحد)، أو هو إشارة لهم بالغلبة أي: وأنتم الأعلون في العاقبة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا تهنوا إن صح إيمانكم فانه يوجب قوّة القلب والثقة بالله، أو متعلق بالأعلون ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ وضم القاف حمزة والكسائي وأبو بكر وهما لغتان في الجراح، أو الفتح: الجراح، والضم: ألمها، يعني: إن نالوا منكم بأحد فقد نلتهم منهم ببدر ثم لم يهنوا، وأنتم الأعلون لا تهنوا إذ ترجون من الله ما لا يرجون ﴿ وَتِلْكَ ﴾ مبتدأ ﴿ الْآيَاتُ ﴾ وهي أوقات الظفر خبره، أوصفته والخبر ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ نصرفها ﴿ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، والمداولة كالمعاودة يقال: داوت الشيء بينهم فتداولوه ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ المعلن محذوف، أي: وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في أمثاله ليس إلى اثبات علمه تعالى بل إثبات متعلقه، أو المعنى: ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً، أو عطف على علة محذوفة أي: نداولها بالحكم وليعلم الله إيداناً بأن المصلحة فيه غير واحدة وإن فيما يصيبهم مصالح لا يعلمونها ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ ويكرم بعضكم بالشهادة يريد شهداء أحد، أو يتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد، أو شهوداً وعلماء بما ينعم على المؤمنين ويمددهم ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين

يضمرون خلاف ما يظهرون، أو الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يمكنهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين.

[سورة آل عمران الآيات ١٤١-١٥٣]

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ
﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ
أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ
﴿٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا
كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

وَتَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ تَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٨﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿٥٠﴾
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ
مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ ۖ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَانِكُمْ فَاقْصِبْكُمْ غَمًّا بِغَيْرِ لَكَيْلٍ تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وَلِيَمَّخُصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم
﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يهلكهم ان كانت عليهم، و(المحق): فناء الشيء حالاً فحالاً
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بل
أحسبتم ومعناه: الإنكار، أي: لا تحسبوا ان تدخلوها ولما يعلم الله المجاهدين منكم
ولما يجاهد بعضكم بعضاً، ويدل على أن الجهاد فرض على الكفار، والفرق بين (لما)
و(لم) ان فيها توقعاً في المستقبل بخلاف (لم) ﴿وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار
(أن) على ان (الواو) للجمع، عن الصادق (ع): ان الله أعلم بما هو مكنونه قبل ان
يكونه، وهم ذرٌ وعلم من يجاهد ممن لا يجاهد، كما انه يميت خلقه قبل أن يميتهم
ولم يرهم موتهم وهم أحياء ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَنُّونَ الْمَوْتَ﴾ بالشهادة، خطاب لمن لم
يشهدوا بداراً وتمنوا ان يحضروا مشهداً مع الرسول (ص) ليكرم بالشهادة كشهداء
بدر، فآلحوا يوم أحد في الخروج ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ تشاهدوه وتعرفوا شدته
﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ رأيتموه معانين له حين قتل من قتل منكم ونجوا -
على تمنيتهم الموت - ثم انهزامهم ويجوز تمنى الشهادة وان تضمنت غلبة الكفار إذ
لم يقصد به إلا نيل الكرامة فقط، وعن الباقر (ع): إن المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى
بالذي فعل بشهادتهم يوم بدر في منازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك، فقالوا: اللهم أرنا
قتالاً نستشهد فيه، فأراهم الله إياه يوم أحد فلم يثبتوا إلا ما شاء الله منهم فذلك قوله:
(ولقد كتبت تمنون الموت .. إلخ) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾
فسيدخلوا كما خلوا ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لانقلابهم عن
دينهم لخلوه بموت أو قتل مع علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به، وروي:
أن عبد الله بن قمية لما كسر رباعية النبي (ص) وشجّه، ذبّ عنه صاحب الراية

مصعب بن عمير فقتله ابن قمية - ويرى أنه النبي (ص) - فقال: قتلت محمداً وصرخ صارخ: ان محمداً قُتِلَ، فانكفأ الناس وجعل النبي (ص) يدعو: إلي عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون وكشفوا عنه المشركين، وقال بعض المسلمين: ليت ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس منافقون: لو كان نبياً ما قتل ارجعوا إلى دينكم، فقال: أنس بن النضير: ان كان محمداً قتل فربه حي، وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم اني أعذر إليك مما يقولون وابرأ منه، ثم قاتل حتى قتل فنزلت ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ أي: يرتد ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ بارتداده بل يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة الإسلام، أو مطلق النعم كأمر المؤمنين ومن يحدوحدوه، عن الباقر (ع): أصاب علياً يوم أحد ستون جراحة، وان النبي (ص) أمر أم سلمة وأم عطية ان تداوياه فقالتا: انا لا نعالج منه مكاناً إلا إنفتق منه مكان وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة وجعل يمسحه بيده ويقول: ان رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر، فكان القرحة الذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علي (ع): الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله (وسيجزي الله الشاكرين) و(سنجزي الشاكرين) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه وأمره، أي: لكل نفس أجل مسمى في علمه لا يؤخره إحجام عن الجهاد ولا يقدمه إقدام عليه، وفيه تشجيع على الجهاد ﴿كِتَاباً﴾ مصدر مؤكد أي: كتب الموت كتاباً ﴿مَوْجِلاً﴾ مؤقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ تعريض بمن أدخلوا مراكزهم وأقبلوا على الغنائم، فأتاهم المشركون من ورائهم فهزموهم ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيُّنَ﴾ قيل: (أي) دخلت الكاف عليها

وصارت بمعنى (كم) وأصل النون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكاين كـ (كاعن) ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قَاتِلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون على أعباد أوجماعات، و(الربي) منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة، وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمر و(قتل) والفاعل (ريون) أوصمير النبي و(معه ريون) حال عنه ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فما فتروا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل النبي، وبعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ وما خضعوا لعدوهم، أصله استكن فأشبت الفتحة الفاء من السكون إذ الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يشاء، وهذا تعريض بما أصابهم بالإرجاف^(١) بقتله (ص) ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم ويرضى عنهم ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ مع ثباتهم، وقوتهم في الدين، وكونهم ربانيين ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبَتَّ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضمًا لها^(٢) وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم والاستغفار عنها، ثم طلب الثبوت في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الإجابة، وإنما جعل (ان قالوا) اسمًا^(٣) لأنه أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بما قالوا ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ من الجنة والنعيم، وخص بالحسن إشعاراً بفضله، وأنه المعتمد به عنده ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) الإرجاف : إذاعة الأشاعات والأخبار الكاذبة المثيرة للفتن وفي القرآن الكريم : (والمرجفون في المدينة).

(٢) يقال: (هضم نفسه): أي: أنه وضع من قدره تواضعاً.

(٣) أي: في محل الاسم.

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ﴿١٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
 يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٣﴾ عَنْ عَلِيٍّ (ع): نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذْ قَالُوا
 لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدٍ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ: ارْجِعُوا إِلَىٰ إِخْوَانِكُمْ وَارْجِعُوا إِلَىٰ دِينِهِمْ
 ﴿١٤٤﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴿١٤٥﴾ نَاصِرَكُمْ، وَقَرِءَ بِالنَّصَبِ بِمَعْنَى: بَلِ أَطِيعُوا اللَّهَ مَوْلَاكُمْ
 ﴿١٤٦﴾ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَاسْتَغْنَوْا بِهِ عَنْ وِلَايَةِ غَيْرِهِ وَنَصَرِهِ ﴿١٤٨﴾ سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا الرُّغْبَ ﴿١٤٩﴾ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ يَوْمَ أَحَدٍ فَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَقِيلَ: لَمَّا
 رَجَعُوا نَدِمُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَعَزَمُوا أَنْ يَعُودُوا إِلَيْهِمْ لِيَسْتَأْصِلُوهُمْ، فَأَلْقَى اللَّهُ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَضَحَّه ابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ ﴿١٥٠﴾ بِمَا أَشْرَكُوا ﴿١٥١﴾ بِسَبَبِ إِشْرَاكَهُمْ
 ﴿١٥٢﴾ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿١٥٣﴾ آلِهَةٌ لَيْسَ عَلَىٰ إِشْرَاكِهَا حُجَّةٌ، فَالْمُرَادُ نَفْيُ الْحُجَّةِ
 نَزُولُهَا، وَأَصْلُ السُّلْطَانَةِ الْقُوَّةُ ﴿١٥٤﴾ وَمَا وَاهُمُ النَّارُ وَبَشَرٌ مَثْوًى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٥﴾ أَي: مَثْوَاهُمْ،
 وَعَدَلَ إِلَى الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِلتَّغْلِيظِ وَالتَّعْلِيلِ ﴿١٥٦﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿١٥٧﴾ إِيَّاكُمْ
 النَّصْرَ بِشَرَطِ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَىٰ وَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ خَالَفْتُمْ ﴿١٥٨﴾ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴿١٥٩﴾
 تَقْتُلُونَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، مِنْ حَسَّةٍ أَيْ أَبْطَلَ حَسَّهُ، قِيلَ: لَمَّا أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ جَعَلَ الرَّمَاةَ
 يَرِشِقُونَهُمْ وَبَاقِيَ الْمُسْلِمِينَ يَضْرِبُونَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ هَزَمُوهُمْ ﴿١٦٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴿١٦١﴾
 جَبْتُمْ وَضَعَفَ رَأْيُكُمْ بِالْمِيلِ إِلَى الْغَنِيمَةِ ﴿١٦٢﴾ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴿١٦٣﴾ حِينَ انْهَزَمَ
 الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ بَعْضُ الرَّمَاةِ فَمَا مَوْقِفُنَا هَاهُنَا؟ وَقَالَ آخَرُونَ لَا نَخَالِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ،
 فَثَبَّتَ أَمِيرُهُمْ فِي نَفَرٍ دُونَ الْعَشْرَةِ وَنَفَرٍ الْبَاقُونَ لِلنَّهْبِ وَهُوَ مَعْنَى: ﴿١٦٤﴾ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴿١٦٥﴾ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَحَذَفَ جَوَابَ (إِذَا) وَهُوَ (ابْتِلَاكُمْ)
 ﴿١٦٦﴾ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴿١٦٧﴾ وَهُمْ مِنْ أَخْلَوْا مَرَكَزَهُمْ لِلْغَنِيمَةِ ﴿١٦٨﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

الْآخِرَةَ ﴿وَهُمْ مِنْ ثَبَتُوا طَاعَةَ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ كَفَّكُمْ ﴿عَنْهُمْ﴾ إِذْ كَرُّوا عَلَيْكُمْ فَغَلَبُواكُمْ ﴿لِيَتَلَبَّسُوا لِيَمْتَحَنَ صَبْرَكُمْ﴾ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴿بَعْدَ أَنْ عَصَيْتُمْ أَمْرَ الرَّسُولِ﴾ (ص) ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمُ بِالْعَفْوِ، أَوْ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ سِوَاهُ غَلَبُوا أَوْ غَلِبُوا إِذِ الْإِبْتِلَاءِ نِعْمَةٌ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نَصَبَ بِلَا صَرْفِكُمْ، أَوْ لِيَتَلَبَّسُوا، أَوْ بِإِضْمَارٍ (إِذْ كَرُّوا) وَالْإِصْعَادُ: الْإِبْعَادُ فِي الْأَرْضِ ﴿وَلَا تَلَوُّونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ لَا يَقِفُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَكْرُفُهُ الْجَنَّةُ ﴿فِي أَخْرَاقِكُمْ﴾ فِي سَاقَتِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمُ الْآخِرَى ﴿فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ عَطَفَ عَلَى (صَرْفَكُمْ) أَيُّ: فَجَازَاكُمْ غَمًّا بِسَبَبِ غَمٍّ أَذْقَمُوهُ الرَّسُولَ (ص) بِعَصْيَانِكُمْ لَهُ، أَوْ فَجَازَاكُمْ عَنْ فَشْلِكُمْ وَعَصْيَانِكُمْ غَمًّا مُتَصِلًا بِغَمٍّ بِالْإِرْجَافِ بِقَتْلِ الرَّسُولِ (ص)، وَظَفَرَ الْمَشْرُكِينَ وَالْقَتْلَ وَالْجَرْحَ، وَعَنْ الْبَاقِرِ (ع): الْغَمُّ الْأَوَّلُ الْهَزِيمَةُ وَالْقَتْلُ، وَالْغَمُّ الْآخِرُ إِشْرَافُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَيْهِمُ ﴿لِكَيْلَا تَخْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنْ نَفْعٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِنْ ضَرٍّ، أَوْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عَالَمٌ بِأَعْمَالِكُمْ.

[سورة آل عمران الآيات ١٥٤-١٦٥]

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ط
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ تَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكُمْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ

الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ
 عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
 وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
 كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
 الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ
 ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ
 مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا
 رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
 حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۚ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٣٩﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ ﴾ أي: الهزيمة ﴿ أَمَنَةً ﴾ أماناً، مفعول ﴿ نَعَّاساً ﴾ بدل منه، أو هو المفعول و(امنة) حال منه، عن ابي طلحة: غشنا النعاس في مصافنا وكان السيف يسقط من أحدنا فيأخذه ﴿ يَغْشَى ﴾ النعاس، وقرأ حمزة والكسائي

بالتاء للأمنة ﴿ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ خَلَّصَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَطَائِفَةٌ ﴾ هم المنافقون، أي: ومنكم طائفة ﴿ قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ما بهم إلا هم خلاص أنفسهم ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ صَفَةً ﴾ أخرى لطائفة، أوحال، أو استئناف ﴿ غَيْرَ ﴾ الظن ﴿ الْحَقُّ ﴾ الذي يجب أن يظن به، نصب مصدراً ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ بدل له، أي: ظناً يختص بالملة الجاهلية، أو أهلها ﴿ يَقُولُونَ ﴾ للرسول (ص)، وهو بدل (يظنون) ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ هل لنا من أمر الله، أي: النصر والفتح نصيب ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ ﴾ النصر ﴿ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ وأوليائه، وهو اعتراض، ورفع ابو عمرو كله بالابتداء ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ ﴾ استئناف، أوحال من (يقولون) أي: يظهرون أنهم مسترشدون طالبون للنصر ويبطنون الإنكار والتكذيب ﴿ يَقُولُونَ ﴾ في أنفسهم، أو بعضهم لبعض بدل (يخفون) أو استئناف لبيانه ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ ﴾ النصر الذي وعدناه ﴿ شَيْءٌ ﴾ أو كان لنا إختيار ولم نخرج ﴿ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ لما علينا، أو قتل أصحابنا في هذا الموطن ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ﴾ أي: قدر، أو كتب في اللوح المحفوظ ﴿ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ مصارعهم ولم تنفع الإقامة بالمدينة ولم ينج من القتل أحد إذ لا دافع لقضائه والمقدر كائن ﴿ وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ من الإخلاص، وهو علة لمحذوف أي: فعل ذلك ليمتحن ما فيها من الإخلاص والنفاق ﴿ وَلَيَمَحُصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ليخلصه من الشك ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بأسرارها، قبل ظهورها وفيه وعد ووعد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ انهزموا يوم أحد، والجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿ إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: كان السبب في توليتهم أن طلب الشيطان منهم الزلل فأطاعوه، واقتربوا ذنوباً بترك المركز حرصاً على الغنيمة فمنعوا التأيد، وقيل: استرلاله

لهم وتوليهم هو بسبب ذنوب قدموها، إذ الذنب يجر إلى الذنب كالطاعة، وعن الصادق (ع): هم أصحاب العقبة ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم فيهم، ومعنى إخوانهم: إتفاقهم في النسب أو المذاهب ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها، وكان حقه (إذ) لقوله: (قالوا) لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ جمع غاز ك (عفا) ل (عاف) ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مقول (قالوا) ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ (قالوا) و (اللام) للعاقبة كما في (ليكون لهم عدواً وحزناً)^(١) أولاً تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقادهم ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة، وذلك إشارة إلى اعتقادهم الدال عليه قولهم، أو ما دل عليه النهي أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم إذ مخالفتهم تغمهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾ ردّ لقولهم، لا الإقامة والسفر، فقد يحيى المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم، وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء أي: الذين كفروا ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله، وكسر الميم حمزة والكسائي من مات يمات ﴿كَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ﴾ جواب القسم، وأغنى عن الجزاء، والمعنى: إن النفر والغزوليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل، وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون بالموت من المغفرة والرحمة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا أو منافعها لو لم

تموتوا، وعن الباقر (ع): في الآية سبيل الله، علي (ع)، وذريته: من قتل في ولايته في سبيل الله ومن مات في ولايته مات في سبيل الله ﴿وَلَكِنْ مَتَّمْ أَوْقَلْتُمْ﴾ على أي: وجه اتفق ﴿لِلَّهِ تُخْشَرُونَ﴾ في جميع الأحوال ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ (ما) مزيدة للتأكيد، وتقديم الظرف للحصر، أي: ما لنت لهم إلا برحمته، وهي أن وفقك للرفق بهم ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾ جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرقوا عنك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الحرب وغيره مما لم يوح إليك، تطيباً لأنفسهم وتأسيساً لسنة المشاورة للأمة، قال علي (ع): من استبد برايه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وعنه (ص) لا مظاهره^(١) أوثق من المشاورة، وعن الصادق (ع): شاور في أمرك الذين يخشون الله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عقدت قلبك على شيء - بعد الشورى - ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على الأصلح ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فيهديهم للصالح ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ كما نصركم ببدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ كما خذلكم بأحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد خذلانه، أو بعد الله إذا تعدىتموه فلا ناصر لكم، وفيه تنبيه على الموجب للتوكل، وحث على ما يستحق به نصر الله، وتحذير عما يوجب خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لإيمانهم به، وعلمهم أن لا ناصر سواه ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ﴾ وما صح لنبي أن يخون في المغنم - إذ النبوة تنافي الخيانة - يقال: (غل في الغنيمة) إذا أخذ منها خفية كأغل،

(١) المظاهرة: إعلان الرأي أو إظهار العاطفة في صورة جماعية.

القمي: سبب نزولها انه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة^(١) حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص): ما لنا لا نرى القطيفة لا أظن إلا رسول الله (ص) أخذها، فجاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: إن فلاناً غلّ قطيفة فاحفرها هنالك، فأمر رسول الله (ص) بحفر ذلك الموضع فخرج القطيفة، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (يغل) بصيغة المجهول، أي: ما صح له ان يوجد غالاً، أو ينسب إلى الغلول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يأتي بالذي غله يحمله على ظهره - كما روي - أو بما حمل من وباله، وعن الباقر (ع) - في الآية - لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، من غل شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثم يكلف أن يدخل إليه فيخرجه من النار ﴿ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ تعطى جزاءه وافياً، ولم يقل: (يوفى ما كسب) للمبالغة، فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله شمل الحكم الغال وغيره ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقص ثواب محسنهم ولا يزيد عقاب مسيئهم ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بسبب المعصية ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ ومصيره ﴿جَهَنَّمَ وَنَسَّ الْمَصِيرُ﴾ والفرق بينه وبين المرجع ان المصير: يجب أن يخالف الحالة الاولى، ولا كذلك^(٢) المرجع ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ذوا درجات، أو شبهوا بها لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أو انهم وسائل الصعود إلى الله تعالى والهبوط من قربه، والضمير راجع إلى من اتبع، والمراد: الائمة (ع)، وعن الصادق (ع)

(١) القطيفة : كساء له أهداب.

(٢) حق العبارة أن يقال: (وليس كذلك المرجع) كما هو واضح.

الذين اتبعوا رضوان الله هم: الائمة (ع) وهم - والله - درجات عند الله تعالى للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله تعالى لهم أعمالهم ويرفع الله تعالى لهم الدرجات العلى، ونحوه آخر، وزاد والذين باءوا بسخط من الله تعالى هم الذين جحدوا حق علي (ع) وحق الائمة (ع) منا أهل البيت فباءوا لذلك بسخط من الله تعالى، وعن الرضا (ع): الدرجات ما بين السماء والأرض ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتهم، فيجازيهم على حسبها ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم، و(اللام) موطئة للقسم ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وتخصيصهم - مع ان نعمة البعثة عامة - لزيادة انتفاعهم بها ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من جنسهم، عربياً ليسهل عليهم فهم كلامه، أو من نسبهم ليكونوا عارفين صدقه وأمانته ويفخروا به ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي: القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (ان) هي المخففة، و(اللام) هي الفارقة، أي: وإن الشأن كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر، وقد مرّ تفسيرها في البقرة ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ (الهمزة) للتقرير والتفريع، و(الواو) عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد، أو على محذوف، أي: فعلتم كذا وقلتم كذا، و(لَمَّا) وهو ظرفه المضاف إلى أصابتكم، أي: حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أي: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ عن الصادق (ع): كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين، فلما كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً، فاغتموا لذلك فتزلت ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ

أَنْفُسِكُمْ ﴿﴾ باختياركم الفداء يوم بدر - كما عن علي (ع) - أولتر ككم المركز
أولاختياركم الخروج من المدينة ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ فيقدر على النصر
ومنعه.

[سورة آل عمران الآيات ١٦٦ - ١٧٣]

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا^ط
قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ^ط هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَنِ^ع يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ^ط وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا^ط
قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا^ع بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴿٣٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٤٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٦٨﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل ﴿يَوْمَ اتَّقَى الْجَنَعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾
فهو كائن بقضائه بتخليته الكفار، وسماها (إذناً) مجازاً مرسلًا لأنها من لوازمه ليفي بما
شرطتم يوم بدر حين اختياركم ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ لتمييز
الفريقان، فيظهر إيمان المؤمنين بالصبر، ونفاق غيرهم بإظهار طلب وعد النصر،
والإعراض عن الاشتراط وفي إيراد أحد المفعولين بما يدل على الحدث دون الآخر
مدح للمؤمنين بالثبات على الإيمان والمنافقين بعدمه ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على
(نافقوا) داخل في الصلة، أو الكلام مبتدأ ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَادْفَعُوا﴾
تقسيم للأمر عليهم، وتمييز بين أن يقاتلوا للآخرة أولدفع عن الأنفس والأموال، أو معناه:
قاتلوا الكفرة، أوادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين، فان كثرة السواد مما يروّع
العدو ويكسره ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ﴾ أي: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً
لاتبعناكم فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالنفس إلى التهلكة، أولونحسن
قتالاً لاتبعناكم، قالوا ذلك دغلاً^(١) واستهزاء ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

(١) نفاقاً وإخفاءً لطبيعتهم الحقيقية، إذ الدغل في اللغة بمعنى الإخفاء.

إِذْ أَخْزَاهُمْ^(١) وَقَوْلُهُمْ هَذَا أَمَارَةٌ تَوْذَنُ بِكُفْرِهِمْ، أَوْ هُمْ لِأَهْلِ الْكُفْرِ أَقْرَبُ نَصْرَةٍ مِنْهُمْ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، إِذْ كَانَ فَعْلُهُمْ وَقَوْلُهُمْ تَقْوِيَةً لِلْمُشْرِكِينَ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يظهرون خلاف ما يضمرونه، وذكر الأفواه تأكيد لنفي تواطئ قلوبهم لألستهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق فإنه يعلمه مفصلاً باحاطة، وأنتم تعلمونه مجملًا بأمارات ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ مرفوع بدل من واو (يكتُمونه) أو منصوب على الذم، أو الوصف للذين نافقوا، أو مجرور بدل من الضمير في (بأفواههم) أو (قلوبهم) ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم، يريد من قتل بأحد من أقاربهم، أو جنسهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ حال مقدر به (قد) أي: قالوا قاعدين عن القتال ﴿كُلُوا طَاعُونًا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل، وقرأ بالتشديد ﴿قُلْ فَادْرَؤْا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه عنكم كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه، فإنه أحرى بكم، والمعنى: إن القعود غير مغنٍ فإن أسباب الموت كثيرة كما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة، قد يكون الأمر بالعكس فإنه يدفع بالقتال العدو فينجو، وبالقعود يصير العدو جرياً فيغلب عليه فيهلك ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ نزلت في شهداء بدر وأحد - كما عن الباقر (ع) - قيل: ويشمل كل من قتل في سبيلٍ من سبيل الله سواء كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلب رضى الله، أو بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذوقرب منه وتمتع بنعيم الجنة ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة، وهو تأكيد لكونهم أحياء ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ ويسرون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ كَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: ياخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زماناً أورتبه ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من (الذين) والمعنى: أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهوانهم إذا بعثوا لم يصيبهم خوف ولا حزن، وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وازدياد الطاعة، عن الباقر (ع): أتى رجل رسول الله (ص) فقال: اني راغب نشيط في الجهاد قال: فجاهد في سبيل الله فإنك ان تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وان مت فقد وقع أجرك على الله، وان رجعت خرجت من الذنوب إلى الله، هذا تفسير: ولا تحسبن الذين قتلوا .. إلخ، وقيل^(١) له (ع): يروون: ان أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش؟ فقال (ع): لا المؤمن أكرم على الله تعالى من أن يجعل روحه في حواصل طير ولكن في أبدان كأبدانهم وعنه (ع) في الآية .. هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله تعالى، واستيقنوا أنهم كانوا على الحق على دين الله فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ان لا خوف عليهم ... إلخ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر للتأكيد، أو يتعلق به ما هو بيان لقوله: (ان لا خوف)، أو الاول بحال إخوانهم والثاني بحال أنفسهم ﴿بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ﴾ أجراً لأعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه لقوله تعالى

(١) يلاحظ في كثير من الأخبار الصحيحة الواردة عن أهل البيت (ع) رفضهم الشديد للروايات الإسرائيلية المشحونة بالخرافات والأساطير ووقوفهم

الواضح ضدها وتبنيهم أتباعهم على خطورتها حرصاً منهم (ع) على الشريعة الإسلامية وصوناً لها من الأفكار الخرافية وهذه الرواية هي من جملة تلك

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً^(١) وَتَنْكِيرُهُمَا لِلتَّعْظِيمِ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على (فضل) وكسرهما الكسائي استئنافاً معترضاً يفيد أن ذلك أجر لإيمانهم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ صفة للمؤمنين، أونصب على المدح، أو مبتدأ خبره ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ و(من) للبيان إذ المستجيبون كلهم محسنون متقون، روي: لما رجع أبوسفیان وأصحابه فبلغوا الروحا^(٢) ندموا وهموا بالعود، فبلغ ذلك النبي (ص) فندب أصحابه لطلبهم وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج في جماعة مع ما بهم من القرح حتى بلغوا حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ أي: نعيم - كما روي عنهم (ع) - لأنه من جنس الناس كما يقال (فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد) أولأنه انضم إليه ناس من المدينة وقيل يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ قيل: لما انصرف أبوسفیان من أحد نادى: (يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت) فقال (ص): (إن شاء الله تعالى) فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل من الظهران، فألقى الله تعالى عليه الرعب فبدا له، فلقي نعيم بن مسعود - وقد قدم معتمراً - فجعل له عشرةً من الإبل أن ثبط^(٣) المسلمين، فاتى فوجدهم يتجهزون فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت

(١) سورة يونس الآية ٢٦.

(٢) اسم بقعة بالحجاز.

(٣) ثبطه عن الأمر: أي عوقه وأوقفه.

منكم إلا شريداً^(١) فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم؟ ففتروا، فقال (ص):
 (والذي نفسي بيده لا خرجن ولو وحدي) فخرج في سبعين وهم يقولون: (حسبنا
 الله) فالمراد بالناس الثاني: ابوسفیان وأصحابه ﴿فَزَادَهُمْ﴾ المقول، أو القول أو القائل
 ﴿إِيمَاناً﴾ إذ لم يصغوا له بل قوى يقينهم والعزم على الجهاد، ويفيد إن الإيمان
 يزداد وينقص - كما في الأثر- ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ حسبنا وكافيناً من (أحسبه) أي:
 كفاه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ونعم الموكل إليه هو.

[سورة آل عمران الآيات ١٧٤ - ١٨٠]

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ
 اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ
 فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ
 يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ
 لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا
 الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا
 تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ

(١) هكذا وردت في النسخة الخطية والأصح: (شريد).

لِيَزِدَادُوا إِثْمًا ۚ وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا ۚ لَهُمْ بَلٌّ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فرجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بعافية وزيادة إيمان ﴿وَفَضْلٍ﴾ وربح في التجارة التي وافوا بها سوق بدر ﴿لَمْ يَمَسِّنْهُمْ سُوءٌ﴾ من كيد عدو ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قد تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا، وفيه تحسير^(١) لمن تخلف إذ حرم نفسه ما نالوا ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني الذي ثبط نعيماً وأبا سفيان، و(الشيطان) خبر (ذلكم) وما بعده بيان لشيطنته، أوصفته وما بعده الخبر، أو الإشارة إلى القول على نية مضاف أي: انما ذلكم قول الشيطان اي إبليس ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ القاعدين عن الخروج مع النبي (ص)، أو يخوفكم من أوليائه اي سفيان وأتباعه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني: الناس - على الاول - وأوليائه - على الثاني -

(١) إجبار لهم على أن يندموا ويتحسروا.

﴿وَخَافُونَ﴾ فَأَطِيعُوا رَسُولِي وَجَاهِدُوا مَعَهُ، وَأَثَبْتُ أَبُو عَمْرٍو الْبَاءَ وَصَلَاً ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي إِثَارَ خَوْفِ اللَّهِ عَلَى خَوْفِ النَّاسِ ﴿وَلَا يَخْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يَقْعُونَ فِيهِ سَرِيعاً حَرْصاً عَلَيْهِ خَوْفٌ أَنْ يَضْرُوكَ وَيَعِينُوا عَلَيْكَ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ، أَوْ قَوْمٌ ارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ أَي: أَوْلِيَاءَهُ بِكُفْرِهِمْ وَأَنْمَا يَضْرُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴿شَيْئاً﴾ مَفْعُولٌ، أَوْ مُصْدَرٌ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً﴾ نَصِيباً مِنَ الثَّوَابِ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَمَادِي طَغْيَانِهِمْ وَمَوْتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَإِنْ كُفْرُهُمْ بَلَغَ الْغَايَةَ حَتَّى أَرَادَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ حِزْبٌ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بَدَلَ الثَّوَابِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ، أَوْ تَعْمِيمٌ لِلْكُفْرَةِ بَعْدَ تَخْصِيصٍ مِنْ نَافِقٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ، أَوْ مِمَّنْ ارْتَدَّ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ خُطَابٌ لِلرَّسُولِ (ص)، أَوْ لِكُلِّ أَحَدٍ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَفْعُولٌ ﴿أَنْمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ﴾ بَدَلَ مِنْهُ نَابِ مَنْابِ الْمَفْعُولِينَ وَلِكُونِهِ الْمَعْمُولِ عَلَيْهِ اقْتَصَرَ عَلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، أَوْ الْمَفْعُولِ الْآخِرِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَي: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابَ أَنْ إِمْلَأْنَا خَيْرَ لَهُمْ، أَوْ لَا تَحْسَبَنَّ حَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ إِمْلَأْنَا خَيْرَ لَهُمْ، وَ(مَا) مُصْدَرِيَّةٌ حَقَّهَا الْفَصْلُ خُطأً وَأَنْمَا وَصَلَتْ تَبَعاً لِلرَّسْمِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ وَالْكَسَائِيُّ بِالْبَاءِ، فَ(الَّذِينَ) فَاعِلٌ وَإِنْ مَا فِي خَبَرِهَا نَائِباً لِمَفْعُولِينَ، وَفَتَحَ سِينَهُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةٌ، وَالْإِمْلَاءُ: الْإِمْهَالُ وَإِطَالَةُ الْعَمْرِ ﴿إِنْمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا﴾ اسْتِثْنَاءٌ يَحُلُّ مَا قَبْلَهُ، وَ(مَا) كَافَّةٌ وَ(الْإِمْلَاءُ) لِلْعَاقِبَةِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهَيِّنٌ ﴿١﴾ وعن الباقر (ع): الموت خير للمؤمن والكافر لأن الله يقول (وما عند الله خير للأبرار) ^(١) ويقول: «ولا يحسبن الذين كفروا ... إلخ» ﴿٢﴾ ما كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ ﴿٣﴾ لِيَتْرَكَ ﴿٤﴾ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴿٥﴾ أيها الخالص والمنافقون من اختلاطكم لا يعرف مخلصكم من منافقكم ﴿٦﴾ حَتَّى يَمِيزَ ﴿٧﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿٨﴾ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿٩﴾ ياخبار رسوله (ص) بأحوالكم، أوبالتكاليف الصعبة كبذل النفس والمال لله، ليظهر به ما تضمرون ﴿١٠﴾ وما كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴿١١﴾ وما كَانَ لِيُؤْتِيَ أَحَدَكُمُ الْعِلْمَ الْغَيْبِ فَيُطْلِعَ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ ﴿١٢﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ ﴿١٣﴾ يَخْتَارُ لِرِسَالَتِهِ ﴿١٤﴾ مَنْ يَشَاءُ ﴿١٥﴾ فيعرفه بعض المغيبات بوحي أُنْصِبَ دَلِيلٌ ﴿١٦﴾ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿١٧﴾ مخلصين، أوبأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب، وتعلموهم عباداً مجتبيين لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يقولون إلا ما أوحى إليهم، نقل أن الكفرة قالوا: ان كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَلْيُخْبِرْنَا مِنْ يَوْمٍ وَمِنْ يَكْفُرُ، فَتَزَلَتْ ﴿١٨﴾ وَإِنْ تُؤْمِنُوا ﴿١٩﴾ حَقَّ الْإِيْمَانِ ﴿٢٠﴾ وَتَتَّقُوا ﴿٢١﴾ النِّفَاقَ ﴿٢٢﴾ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿٢٤﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢٥﴾ بالقراءتين: التاء على نية مضاف أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذا الياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول لواحد، وان جعل (الذين) فالمفعول الاول محذوف يدل عليه (يبخلون) أي: ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ﴿٢٦﴾ بَلْ هُوَ ﴿٢٧﴾ الْبَخْلُ ﴿٢٨﴾ شَرٌّ لَّهُمْ ﴿٢٩﴾ ويفسره: ﴿٣٠﴾ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣١﴾ سيلزمون وباله إلزام الطوق، عن الباقر والصادق (ع): ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً

من نار مطوق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله تعالى سيطوقون ... إلخ الآية، وعنه (ص): ما من ذي زكاة مال - نخل أو زرع، أو كرم - يمنع زكاة ماله إلا قلّد الله تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله فيهما مما يتوارث، فما لهم يبخلون عليه بملكه؟ أو انه يرث ما يمنعونه ويبقى عليهم وباله ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من إعطاء ومنع ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيهم به، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات.

[سورة آل عمران الآيات ١٨١ - ١٩١]

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ
﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ
﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةُ^ط فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ^ط وَمَا الْحَيَوةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿٣٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا^ط وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط فَبُئْسَ
مَا يَشْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُحِبُّونَ أَن
يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤١﴾

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قيل: قاله اليهود لما سمعوا: (من ذا الذي يقرض الله ..) والمعنى: انه لم يخفَ عليه وأنه اعدَ لهم العقوبة عليه، القمي: والله ما رأوا الله فيعلمون أنه فقير ولكنهم رأوا اولياء الله فقراء فقالوا: لو كان غنياً لأغنى أولياءه ففخروا على الله بالغنَى، وعن الباقر (ع): هم الذين يزعمون إن الإمام يحتاج إلى ما يحملونه ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ في صحف الحفظة، أوسنحفظه في علمنا وقرن بقوله: ﴿وَقَتَلَهُمُ الْآنبيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إيذاً بأنهما في العظم سيان، وان هذا ليس بأول عظمة اجترحوها، وان من قتل الأنبياء لم يستبعد منه هذا القول، وقرأ حمزة (سيكتب) بالياء بصيغة المجهول ورفع (قتلهم) ويقول بالياء، وعن الصادق (ع): أما والله ما قتلوهم بأسيا فهم، ولكن أذاعوا أمرهم وأفشوا عليهم فقتلوا ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ومنتقم منهم بهذا القول، واستعمل الذوق له إتساعاً ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: بما عملتم من المعاصي، وذكر (الأيدي) لأن أكثر الأعمال بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على (بما قدمت) وسببته انه يستلزم العدل الموجب معاقبة المسيء واثابة المحسن ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ هم جماعة من اليهود ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا ﴿إِنَّ﴾ بان ﴿أَلَّا تُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل، وهو ان يقرب قربان هو ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة، أو غيرها فيقوم النبي فيدعو فتزل نار من السماء فتحرق قربان من قبل منه، وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم إذ أكل النار القربان لم توجب الإيمان إلا لكونه آية فهو وسائر الآيات سواء ﴿قُلْ﴾ في إلزامهم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ الْكثِيرَةِ الْمَوْجِبَةِ لِلتَّصَدِيقِ﴾ وبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴿وَاقْرَأْتُمْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تؤمنون

بذلك، عن الصادق (ع): كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ تسلياً له (ص) عن تكذيب قومه واليهود ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع (زبور): وهو الكتاب المتضمن للحكم أو الزواجر، وقرأ ابن عامر (وبالزبر) بإعادة الباء للتأكيد ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ المشتمل على الشرائع والأحكام، وقيل: التوراة والإنجيل والزبور ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وعد ووعد للمصدق والمكذب، وعن الباقر (ع): من قتل لم يذوق الموت، ثم قال: لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت، وعنه (ع): من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم من ثواب وعقاب وافياً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يوم قيامكم عن قبوركم، وأما نعيم القبر وعذابه فبعض الأجور لا توفىها ﴿فَمَنْ زُخْرِحَ﴾ نُحِيَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فقد ظفر بالبغية ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: شهواتها وزينتها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ شبهت بمتاع يغربه طالبه بالتدليس^(١) حتى يشتريه، و(الغرور): مصدر، أوجمع غار ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: والله لتمتحنن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وآفات تصيبها ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسر والجراح والمصائب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ من هجاء النبي (ص)، والطعن في الدين، والصد عن الإيمان، أخبروا بذلك قبل كونه ليوطنوا أنفسهم على الصبر حتى لا يرهقهم وقوعه ﴿وَإِنْ تَصَبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من

معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو مما عزم الله عليه أي: أوجبه ﴿وَإِذْ﴾
 واذكر إذ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: العلماء به، والقمي: عن
 الصادق (ع) يعني في محمد (ص) ﴿لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: إذا خرج وقرأ
 بالياء فيهما، و(اللام) جواب قسم نابه أخذ ميثاقهم، وقيل: الهاء للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾
 أي: الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه، والنبد وراء الظهر مثل في الطرح وترك
 الاعتناء ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من عَرَض الدنيا وحطامها^(١)
 ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ عن النبي (ص): من كتم علماً من أهله أُلجم بلجام من نار،
 وعن علي (ع): ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن
 يُعَلِّمُوا ﴿لَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا﴾ يعجبون بما فعلوا من التدليس وكتمان
 الحق، أو من الطاعات والحسنات والخطاب للرسول (ص)، ومن ضم الباء جعل
 الخطاب له وللمؤمنين، والمفعول الاول (الذين يفرحون) وقرأ ابن كثير
 وابوعمر ووابن عامر بالياء وفتح الياء فيه وضم الياء في الآتي على أن (الذين) فاعل
 ومفعولاه محذوفان يدل عليهما مفعولاً مؤكداً وهو يحسنهم الثاني، أو المفعول الاول
 محذوف والثاني تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ﴾
 يَفْعَلُوا ﴿من الوفاء بالميثاق، وإظهار الحق، والإخبار بالصدق أو كل خبر﴾
 ﴿فَلَا تَخْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ فائزين بفوز ونجاة منه، وعن الباقر (ع): يبعد
 منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم وتدليسهم ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
 فهو يملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم، وقيل: هوردة

لقولهم: **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴿١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢﴾** على هذا الطرز العجيب والنمط الغريب وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والمياه والنبات ﴿٣﴾ واختلاف الليل والنهار ﴿٤﴾ في الطول والقصر، أوتخالفهما وتعاقبهما ﴿٥﴾ لآياتٍ لأولي الألباب ﴿٦﴾ لدلائل واضحة على توحيده وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته لذوي العقول الخالصة ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﴿٨﴾ في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات ﴿٩﴾ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴿١٠﴾ وعن الباقر (ع): الصحيح ^(١) يصلي قائماً وقعوداً، والمريض الذي يصلي جالساً وعلى جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلي جالساً، وعنه (ع) لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً أو جالساً أو مضطجعا أن الله يقول: الذين يذكرون الله ... الآية ﴿١١﴾ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٢﴾ معتبرين بهما، عن الصادق (ع): أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته، وعن الرضا (ع): ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنما العبادة التفكير في أمر الله تعالى، وعن النبي (ص): تفكر ساعة خير من قيام سنة وفي آخر ستين سنة ﴿١٣﴾ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴿١٤﴾ أي: يتفكرون قائلين ذلك أي: ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة ﴿١٥﴾ سُبْحَانَكَ ﴿١٦﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل، وهو اعتراض ﴿١٧﴾ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨﴾ لاخلالنا بالتفكر فيه، و(الفاء) تفيد أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض دعاهم إلى الاستعاذة .

[سورة آل عمران الآيات ١٩٢ - ٢٠٠]

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ
 ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا
 رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
 رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا
 تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ
 مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
 مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
 وَلَا أُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ
 ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ
 اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تِلْكَ
 مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ
 إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا
 وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ أَبْلَغْتَ فِي أَخْزَائِهِ، وَنَظِيرُهُ (فَقَدْ فَازَ) وَعَدَلَ عَنْ (أَحْرَقْتَهُ) لِأَنَّ الْخَزْيَ عَذَابٌ رُوحَانِي وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْجِسْمَانِي ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَوَضَعَ الْمَظْهَرُ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ظَلَمَهُمْ صَارَ سَبِيلاً لِدُخَالِهِمُ النَّارَ، وَانْقِطَاعِ النَّصْرَةِ عَنْهُمْ فِي الْخِلَاصِ مِنْهَا، وَعَنِ الْبَاقِرِ (ع): مَا لَهُمْ مِنْ أُنْمَةٍ يَسْمُونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ. ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ وَهُوَ الرَّسُولُ، أَوِ الْقُرْآنَ، وَالنِّدَاءَ وَنَحْوَهُ يَعْدَى بِ(أَلَى) وَ(الْلَامِ) لِتَضَمُّنِهِ الْإِنْتِهَاءَ وَالْإِخْتِصَاصَ، وَأَوْقَعَ الْفِعْلَ عَلَى الْمَسْمُوعِ وَحَذَفَ الْمَسْمُوعَ لِفُغَاءِ صِفَتِهِ عَنْهُ، وَفِي إِطْلَاقِ الْمُنَادَى ثُمَّ تَقْيِيدِهِ تَفْخِيمَ لِسَانِهِ ﴿ أَنْ ﴾ أَي: بِأَنْ، أَوْ أَيْ ﴿ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا ﴾ فَأَجَبْنَا ﴿ رَبَّنَا فَاعْفُ رُبَّنَا فَاعْفُ رُبَّنَا ﴾ كِبَائِرُنَا فَإِنَّهَا ذَاتُ تَبَعَاتٍ ﴿ وَكَفَّرْنَا عَنَّْا سَيِّئَاتِنَا ﴾ صَغَائِرُنَا فَإِنَّهَا مُسْتَقْبَحَةٌ وَلَكِنَّا مَكْفَرَةٌ عَمَّنْ تَجَنَّبَ الْكِبَائِرَ ﴿ وَتَوَقَّأْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ مَخْصُوصِينَ بِصَحْبَتِهِمْ مَعْدُودِينَ فِي زِمْرَتِهِمْ ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ أَي: عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، أَوْ عَلَى تَصْدِيقِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ، أَوْ مُتَعَلِّقٍ بِمُحْذُوفٍ أَي: مَا وَعَدْتَنَا مِنْزِلًا عَلَى رُسُلِكَ، وَإِنَّمَا سَأَلُوا مَا وَعَدُوا - مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ مُخْلَفٍ وَعَدُهُ - تَعْبُدُوا أَوْ اسْتَكَانَةً وَمَخَافَةً أَنْ يَكُونُوا مُقْصَرِينَ فِي الْإِمْتِثَالِ ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بِأَنْ تَعْصِمَنَا عَمَّا يَقْتَضِي الْخَزْيَ، أَوْ لَا تَفْضَحْنَا،

أولا تهلكنا ﴿ إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْمِيعَادَ ﴾ ياثابة المؤمن وإجابة الداعي وتكرير (ربنا) للمبالغة في الابتغال، والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ طلبتهم، وهو أخص من الإجابة لجواز ان تكون الإجابة بالرد ويعدى بنفسه وبـ (اللام) ﴿ أَنِّي ﴾ أي: باني ﴿ لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ يان لا عامل ﴿ بَغَضُكُمْ مِنْ بَغْضٍ لَأَنَّ الذَّكَرَ مِنَ الْأُنْثَى بِالْعَكْسِ ﴾ لأنهما من أصل واحد، أولفرط الاتصال والاتحاد، أوللا اجتماع، أوالاتفاق في الدين، وهي معترضة لبيان شركة النساء مع الرجال فيما وعد العمال، قيل: قالت أم سلمة: يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فنزلت ﴿ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الأوطان، أوالعشائر، أوالشرك للدين ﴿ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي ﴾ من أجل ديني، وسببه ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ المشركين ﴿ وَقُتِلُوا ﴾ واستشهدوا، وعكس حمزة والكسائي، والمراد أنه لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا، أولأن (الواو) لا توجب ترتيبا، وشدد ابن كثير وابن عامر (قتلوا) للتكثير ﴿ لَا كُفِّرْنَ ﴾ لأمحون. ﴿ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا ﴾ أي: أثيبهم بذلك أثابه ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ يستحقونه منه ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ على الأعمال لا يقدر عليه سواه ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ خطاب للرسول (ص) أريد به الامة، أولكل أحد، والنهي للمخاطب، وجعل للتقلب مبالغة بتزليل السبب منزلة المسبب، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من البيعة والحظ ولا تغتر بما ترى من تصرفهم في البلدان يكسبون ويتجرون، قيل: كان بعض المؤمنين يرون المشركين في سعة ورضاء فيقولون: ان أعداء الله في العيش الرضي وقد هلكنا جوعاً، فنزلت ﴿ مَتَاعٌ ﴾ أي: تغلبهم متاع ﴿ قَلِيلٌ ﴾ في جنب ما اعد للمؤمنين، أولزواله ﴿ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ أي: ما مهدوا لأنفسهم ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ النزول: ما يعد للنازل من الكرامة، ونصب حالا من جنات والعامل لهم، أو مصدرا

موكداً أي: أنزلوها أنزالاً ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلب فيه الفجار لزواله وشوبه^(١) بالآلام ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قيل: نزلت في ابن سلام وأصحابه، وقيل: في أربعين من نجران، واثنتين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا، وقيل: في اضخمه النجاشي لما نعاه جبرئيل إلى رسول الله (ص) فخرج فصلى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج^(٢) نصراني لم يره قط، ودخلت (اللام) في اسم (ان) لفصل الظرف بينهما ﴿وَمَا أَنزَلِ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أَنزَلِ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل (يؤمن) وجمعه باعتبار المعنى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعل المحرفون من أحبارهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الأجر المختص بهم الموعود في (أولئك يؤتون أجرهم مرتين)^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلمه بالأعمال وما يستوجه كل عامل من الجزاء، فأجرهم الموعود سريع الوصول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على المصائب ﴿وصابروا﴾ على الفرائض ﴿ورابطوا﴾ على الأئمة - كما عن الصادق (ع) - وعنه (ع): اصبروا على المصائب، وصابروهم على الفتنة، و رابطوا على ما تقتدون به، وعنه (ع): اصبروا على دينكم، وصابروا عدوكم ممن يخالفكم، و رابطوا إمامكم، وعن الباقر (ع): صابروا على التقية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باجتنب المعاصي ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ لكي تظفروا بالبغيه.

تَمَّت - ولله الحمد - سورة آل عمران وتفسيرها.

(١) اختلاطه.

(٢) العَلَج: الجاف الشديد في الرجال.

(٣) سورة القصص الآية ٥٤.

فهرس الكتاب

٥ مقدمة التحقيق

١١ مقدمة المؤلف

[سورة الفاتحة]

١٣ الآيات (٧-١)

[سورة البقرة]

٢٦ الآيات (٥-١)

٣٠ الآيات (١٦-٦)

٣٦ الآيات (٢٤-١٧)

٤٢ الآيات (٢٩-٢٥)

٤٧ الآيات (٣٧-٣٠)

٥١ الآيات (٥٣-٣٨)

٥٧ الآيات (٦١-٥٤)

٦٢ الآيات (٧٢-٦٢)

٦٦ الآيات (٨٣-٧٣)

٧١ الآيات (٨٨-٨٤)

٧٤ الآيات (٩٩-٨٩)

٧٩ الآيات (١٠٤-١٠٠)

٨٢ الآيات (١١٢-١٠٥)

٨٥ الآيات (١١٩-١١٢)

٨٩	الآيات (١٢٠-١٢٦)
٩٣	الآيات (١٢٧-١٣٤)
٩٦	الآيات (١٣٥-١٤١)
١٠٠	الآيات (١٤٢-١٤٥)
١٠٤	الآيات (١٤٦-١٥٣)
١٠٧	الآيات (١٥٤-١٦٣)
١١١	الآيات (١٦٤-١٦٩)
١١٦	الآيات (١٧٠-١٧٦)
١١٩	الآيات (١٧٧-١٨١)
١٢٤	الآيات (١٨٢-١٨٦)
١٢٩	الآيات (١٨٧-١٩٠)
١٣٤	الآيات (١٩١-١٩٦)
١٣٩	الآيات (١٩٧-٢٠٢)
١٤٣	الآيات (٢٠٣-٢١٠)
١٤٧	الآيات (٢١١-٢١٥)
١٥٠	الآيات (٢١٦-٢١٩)
١٥٤	الآيات (٢٢٠-٢٢٤)
١٥٩	الآيات (٢٢٥-٢٣٠)
١٦٤	الآيات (٢٣١-٢٣٣)
١٦٩	الآيات (٢٣٤-٢٣٧)

١٧٣	الآيات (٢٤٥-٢٣٨)
١٧٧	الآيات (٢٤٨-٢٤٦)
١٨٠	الآيات (٢٥٢-٢٤٩)
١٨٣	الآيات (٢٥٦-٢٥٣)
١٨٧	الآيات (٢٥٩-٢٥٧)
١٩١	الآيات (٢٦٤-٢٦٠)
١٩٥	الآيات (٢٦٩-٢٦٥)
١٩٨	الآيات (٢٧٤-٢٧٠)
٢٠١	الآيات (٢٨١-٢٧٥)
٢٠٥	الآية (٢٨٢)
٢٠٨	الآيات (٢٨٦-٢٨٣)

[سورة آل عمران]

٢١٢	الآيات (٩-١)
٢١٥	الآيات (١٥-١٠)
٢١٩	الآيات (٢٢-١٦)
٢٢٢	الآيات (٣٧-٢٣)
٢٣١	الآيات (٥٢-٣٨)
٢٣٨	الآيات (٧٠-٥٣)
٢٤٤	الآيات (٨٣-٧١)
٢٥٢	الآيات (١٠٠-٨٤)
٢٦١	الآيات (١٠٨-١٠١)

٣١٨ فهرس الكتاب
الآيات (١٠٩-١٢١) ٢٦٥
الآيات (١٢٢-١٤٠) ٢٧٣
الآيات (١٤١-١٥٣) ٢٨٢
الآيات (١٥٤-١٦٥) ٢٨٨
الآيات (١٦٦-١٧٣) ٢٩٦
الآيات (١٧٤-١٨٠) ٣٠١
الآيات (١٨١-١٩١) ٣٠٥
الآيات (١٩٢-٢٠٠) ٣١١
فهرس الكتاب ٣١٨